جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

أَدب الإِعْرَاضِ في القرآن الكريم

إعداد

وائل خليل عبد العزيز أبو عرقوب

إشراف

د . محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين.

2012

أَدب الإِعراض في القرآن الكريم

إعداد

وائل خليل عبد العزيز أبو عرقوب

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2012/3/6م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة: **التوقيع**

-الدكتور محسن سميح الخالدي / مشرفًا ورئيسًا .....

- الدكتور حاتم جلال التميمي / ممتحنًا خارجيًّا .....

-الدكتور خالد خليل علوان / ممتحنًا داخليًّا .....

الإهداء

إلى روح من قال الله ﷻ فيهما: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [1].

إلى التي شاركتني آمالي وشاطرتني آلامي ... زوجتي المخلصة

إلى قرة عيني وفلذات كبدي ... أبنائي وبناتي الأحباء.

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين السائرين على نهج النبوة أدبًا وخلقًا وسلوكًا.

إلى كل من علمني حرفًا وأسدى إليّ نصحًا ورَبا شوقه أن يراني أبلغ هذه الدرجة.

إليهم جميعًا أهدي هذا الجهد المتواضع وفاءً وعرفانًا.

الباحث

[1] سورة الإسراء، الآية: 23.

شكر وتقدير

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويدفع نقمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1].

أما بعد:

فأول ما يلهج لساني بشكره إلهي خالقي وسَندي ومعيني، فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

كما ويطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور (محسن سميح الخالدي) على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولِمَا بذله من جهد مخلص، وأبداه من توجيهات وإرشادات سديدة وتعليقات نفيسة ومتابعة جادة فأعطاني من وقته وجهده ما ذلل أمامي العقبات وكان لذلك الأثر الكبير في سير هذا البحث وتسديده وتقويمه والارتقاء بمستواه، كل ذلك بتواضع جم وصدر رحب وسَمْتٍ آسِر، فجزاه الله عني خير ما جزى أستاذًا عن تلميذه.

وكذا الشكر موصول إلى الأستاذين الفاضلين: الدكتور حاتم جلال التميمي والدكتور خالد خليل علوان اللذين تكرما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملحوظاتهما وتحريراتهما الدقيقة ؛ إسهامًا في تخليص هذه الرسالة وتشذيبها من الهفوات والهَنات فجزاهما الله ﷻ بذلك جزاءً موفورًا.

كما أدين بخالص الشكر والعرفان بالجميل لجامعتي الزاهرة -جامعة النجاح الوطنية- ممثلة في كلية الدراسات العليا - قسم أصول الدين وجميع الأساتذة الفضلاء الذين تشرفتُ بالتتلمذ على أيديهم فجزاهم الله ﷻ عني خير الجزاء.

وأختم بطاقات الشكر لكل من كان لي عونًا على إتمام هذا البحث وإخراجه إلى النور بهذه الصورة أو دعا لي دعوة صالحة في ظهر الغيب.

لهم مني جميعًا عاطر الثناء وفائق الاحترام ووافر التقدير.

الباحث

[1] سورة إبراهيم، الآية: 7

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أَدب الإِعراض في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced .Is the researcher's own work and has not been submitted from anywhere else , for any other degree or qualification.

اسم الطالب:	Student's name:
التوقيع:	Signature:
التاريخ:	Date:

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ت
شكر وتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	س
مقدمة	1
أهمية الموضوع	3
أسباب اختيار الموضوع	4
إشكالية الدراسة	4
أهداف الدراسة	5
فرضيات الدراسة	5
حدود الدراسة	6
الصعوبات والعقبات	6
الدراسات السابقة	6
منهجية الدراسة وإجراءاتها	8
خطة الدراسة	10

الفصل الأول: تعريف أدب الإعراض ودلالات وروده في السياق القرآني	13
المبحث الأول: : تعريف أدب الإعراض	15
المطلب الأول: الأَدب في اللغة	15
المطلب الثاني: الأدب في الاصطلاح	18
المطلب الثالث: الإعراض في اللغة	20
المطلب الرابع: الإعراض في الاصطلاح	22
المطلب الخامس: تعريف أدب الإعراض	23
المبحث الثاني: أهمية الأدب وأنواعه ومجالاته	25
المطلب الأول: أهمية الأدب ومنزلته	25
المطلب الثاني: أنواع الأدب ومجالاته	28
المبحث الثالث:الإعراض في ضَوْء السياق القرآني	34
المطلب الأول: عرض صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ في القرآن الكريم	34
المطلب الثاني: ملاحظات عامة لورود صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ومشتقاتها في القرآن الكريم	39
المطلب الثالث: ملاحظات ولطائف ولفتات لورود صيغة: ﴿ أَعْرَضَ ﴾ واشتقاقاتها في القرآن الكريم	43
المطلب الرابع: معاني الإعراض في القرآن الكريم	48

المطلب الخامس: أنواع الإعراض في القرآن الكريم	53
المبحث الرابع: نظائر الإعراض في القرآن الكريم	57
المطلب الأول: التولي	58
المطلب الثاني: الإباء	60
المطلب الثالث : الصد	62
المطلب الرابع : الصَدْف أو (الصُدُوف)	63
المطلب الخامس : الصفح	65
المطلب السادس : الصَّعَر	67
المطلب السابع: الهجر	68
المطلب الثامن: الاعتزال	69
المطلب التاسع: ذره تركًا	70
المطلب العاشر: العفو	71
المطلب الحادي عشر: الغض	72
المطلب الثاني عشر: الزهد	73
الفصل الثاني: مقامات أدب الإعراض في ضَوْء القرآن الكريم	75
المبحث الأول: المتأدبون بأدب الإعراض في القرآن الكريم	77
المطلب الأول: أدب الإعراض عند الأنبياء عليهم السلام	77
الفرع الأول: أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام	77

الفرع الثاني: التأديب ليوسف عليه السلام بأدب الإعراض	78
الفرع الثالث: أدب الإعراض عند صالح عليه السلام	79
الفرع الرابع: أدب الإعراض عند شعيب عليه السلام	80
الفرع الخامس: أدب الإعراض عند موسى عليه السلام	80
الفرع السادس: أدب الإعراض عند يعقوب عليه السلام	81
الفرع السابع: أدب الإعراض عند النبي محمد ﷺ	83
المطلب الثاني: أدب الإعراض عند المؤمنين	85
الفرع الأول: أدب الإعراض عند مؤمني أهل الكتاب	85
الفرع الثاني: أدب المؤمنين في الإعراض عن زوجاتهم	86
الفرع الثالث: تأديب المؤمنين لإعراض نفرٍ منهم عن الاستماع لخطبة الجمعة	89
المبحث الثاني: المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم	91
المطلب الأول: المشركون	91
المطلب الثاني: الجاهلون	95
المطلب الثالث: الخائضون في آيات الله تعالى	99
المطلب الرابع: أهل الكتاب (اليهود)	101
المطلب الخامس: المنافقون	103
المطلب السادس: الكافرون والمستهزئون (اللاعبون اللاهون)	105
المطلب السابع: اللغو	108

المطلب الثامن: المسيئون من الناس	110
المطلب التاسع: ذوو القربى والمسكين وابن السبيل	111
المطلب العاشر: المسيئون من ذوي القربى المسلمين	112
المطلب الحادي عشر: الشهادة	113
المطلب الثاني عشر: ابن أُمِّ مكتوم	115
المطلب الثالث عشر: المرأة المرغوب عنها من بعلها	116
الفصل الثالث: مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم	119
المبحث الأول: الإعراض القلبي	121
المبحث الثاني: الإعراض الجسمي	124
المطلب الأول: ترك القعود ومغادرة المجلس	125
المطلب الثاني: التولي والانصراف	127
المطلب الثالث: الإشاحة بالوجه	130
المطلب الرابع: الهجر	132
المطلب الخامس: الاعتزال	135
المطلب السادس: غض البصر	139
المطلب السابع: كف العينين عن النظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها	141
المبحث الثالث:الإعراض السلوكي	144
المطلب الأول: عدم الالتفات والإصغاء	144

المطلب الثاني: الإقلال من المحادثة والمؤانسة للزوجة	145
المطلب الثالث: الكف عن المجادلة	147
المطلب الرابع: التغافل والإغضاء	148
المطلب الخامس: المقاطعة مع الإهمال والمقت	151
المطلب السادس: السكوت	153
المطلب السابع: العفو والصفح عن المسيء	154
المطلب الثامن: الاستعفاف	156
المطلب التاسع: الحِلْم	159
الفصل الرابع: ضوابط أدب الإعراض ومنهج القرآن الكريم في عرضه والتوجيه إليه	161
المبحث الأول: ضوابط أدب الإعراض	163
المطلب الأول: إعلان المفاصلة والمفارقة (البراءة)	163
المطلب الثاني: القول الميسور	165
المطلب الثالث: الوعظ والقول البليغ	166
المطلب الرابع: الإعراض حال الخوض في الآيات مع عدم القعود بعد الذكرى مع الظالمين	169
المطلب الخامس: الانتظار حتى حين	170
المطلب السادس: التولي مع رفع الملام	172
المطلب السابع: الصفح الجميل	173

المطلب الثامن: الصبر مع الهجر الجميل	174
المطلب التاسع: صبر النفس، وعدم طاعة الغافلة قلوبهم ومتبعي الهوى، ومن كان أمره فُرُطا	176
المطلب العاشر: التوكل على الله تعالى	177
المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض أدب الإعراض والتوجيه إليه.	179
المطلب الأول: الدعوة لأدب الإعراض بصريح اللفظ	179
المطلب الثاني: الإشارة والتوجيه لأدب الإعراض بأسلوب الكناية والتعريض (الأسلوب الضمني)	180
المطلب الثالث: أدب الإعراض من أخلاق الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين	182
المطلب الرابع: التأدب بأدب الإعراض يكون مع المؤمنين ومع الكافرين	184
المطلب الخامس: القرآن الكريم يقيم النكير والذم على المعرضين إعراضًا سلبيًا	185
المطلب السادس: تخصيص القرآن الكريم وتشريفه للمتصفين بأدب الإعراض	186
المطلب السابع: الرَّبط بين أدب الإعراض والتقوى	187
المطلب الثامن: اقتران أدب الإعراض بالوعيد والتهديد	187
المطلب التاسع: التأديب والتعزير يكونان بأدب الإعراض	188

المطلب العاشر: الإعراض الأُخروي	189
الفصل الخامس: نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم وجزاء المتأدبين بهذا الأدب	190
المبحث الأول: نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم	192
المطلب الأول: أدب الإعراض من خلال مقطع من قصة إبراهيم عليه السلام	192
المطلب الثاني: أدب الإعراض من خلال قصة أصحاب الكهف	195
المطلب الثالث: أدب الإعراض من خلال حادثة الإفك	197
المطلب الرابع: أدب الإعراض من خلال قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك.	203
المبحث الثاني: جزاء المتأدبين بأدب الإعراض	210
المطلب الأول: الكفاية والطمأنة بعدم وقوع الضرر	210
المطلب الثاني: المُرَاغَم والسعة	212
المطلب الثالث: هبة الذرية لإبراهيم عليه السلام وجعلهم أنبياء كرماء	214
المطلب الرابع: زكاة النفس وطهارتها	215
المطلب الخامس: محبة الله تعالى	215
المطلب السادس: المغفرة والرحمة والتقوى والأجر	217
المطلب السابع: دخول الجنة ووراثة الفردوس والخلود فيها	219
الخاتمة	221

الفهارس	224
فهرس الآيات الكريمة	225
فهرس الأحاديث الشريفة	232
فهرس الأشعار	234
فهرس الأَعلام	236
فهرس الأماكن	238
فهرس الغريب	239
فهرس المراجع والمصادر	241
الملاحق	267
Abstract	B

أدب الإعراض في القرآن الكريم

إعداد

وائل خليل عبد العزيز أبو عرقوب

إشراف

الدكتور محسن سميح الخالدي

الملخص

هذه الرسالة بعنوان (أدب الإعراض في القرآن الكريم)، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على جملة من المناهج البحثية؛ كالمنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي والتطبيقي.

وهي دراسة تُعْنى بتجلية أدب الإعراض في حدود القرآن الكريم؛ حيث سعى الباحث من خلالها إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ على رأسها بلورة تعريف واضح ومحدد لأدب الإعراض ، وبيان مقامات هذا الأدب ومظاهره، ومحاولة حصر ضوابطه، والسعي لاكتشاف المنهج القرآني في عرض هذا الأدب، وإبراز هذا الأدب من خلال نماذج تطبيقية مع ذكر جزاء المتأدبين بهذا الأدب.

وقد قام الباحث بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول:

أما الفصل الأول: فيدور حول تعريف أدب الإعراض ودلالات وروده في السياق القرآني وقد خلص الباحث إلى تعريف أدب الإعراض؛ فهو: فضيلة تدعو صاحبها لكف نفسه عن مباشرة ما فيه إخلال بصلاح دينه ودعوته وكريم مقامه في معاشه ومعاده.

والفصل الثاني: تَمَحْوَرَ حول دراسة مقامات أدب الإعراض في القرآن الكريم، فظهر من خلال هذا الفصل أن أدب الإعراض قد تأدب به الأنبياء والمؤمنون مع الأشخاص من المؤمنين أنفسهم في الحياة الخاصة والعامة، ومع المخالفين من مشركين وأهل كتاب ومنافقين في مواقف ومقامات مختلفة.

والفصل الثالث: تناول الباحث فيه مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم ، وتبين أنها ثلاثة مظاهر؛ هي الإعراض القلبي وهو أساس كل إعراض، والإعراض الجسدي المتمثل في الحركة الجسدية الكلية أو الجزئية، والإعراض السلوكي .

وكان الكلام في الفصل الرابع عن ضوابط أدب الإعراض، ومنهج القرآن الكريم في عرض هذا الأدب والتوجيه إليه، وتبين وجود محددات وضوابط لهذا الأدب، كما أن للقرآن الكريم أساليب متعددة مباشرة وغير مباشرة في التأديب بهذا الأدب.

وجاء الفصل الخامس للحديث عن بعض النماذج لأدب الإعراض وجزاء المتأدبين بهذا الأدب؛ فتبين أن إبراهيم عليه السلام كان ملتزمًا بهذا الأدب، وبرز ذلك الأدب في قصة أصحاب الكهف، والمؤمنين المُخَلَّفِين في غزوة تبوك، وحادثة الإفك، كما تبين أن القرآن الكريم وضَّح جزاء المتأدبين بهذا الأدب من خير في الدنيا، وجنة ونعيم مقيم في أعلى الجنان في الآخرة.

ثم كانت الخاتمة والتي ضَمَّنَها الباحث خلاصة ما توصل إليه من نتائج، وأهم ما ارتآه من توصيات.

وأتبع الباحث الخاتمة بملحق يشتمل على مجموعة من الخرائط التي تبين مواقع عدد من الأماكن الوارد ذكرها في الرسالة.

ثم ذَيَّلَ الباحث هذه الدراسة بمجموعة من الفهارس الفنية مرتبة حسب منهجية البحث العلمي وأصوله.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم، وأَدَّبهم بشرعه المبين والصلاة والسلام على رسوله المبعوث رحمةً للعالمين وإمامًا للمربين وقدوةً للدعاة المرشدين ونبراسًا للمعرضين عن المشركين والجاهلين وصلوات الله وسلامه على آله وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجهم وتزين بأدبهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أجلِّ آلاء الله تعالى وأعظمها على خلقه أنْ أنزل القرآن الكريم نورًا وهدىً وبرهانًا قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[1]، ولَمّا كان شرف العلم بشرف المعلوم كان علم التفسير من أشرف العلوم وأجلِّها لأنه الموصل إلى فهم مراد الله تعالى من كتابه، وكان التفسير الموضوعي "تفسير هذا العصر وهو تفسير المستقبل"[2] سبيلًا يسلكه الباحثون لحل ما أشكل واستجلاء ما غَمُضَ ولَمِّ شمل ما تبعثر فجاءت هذه الدراسة إبرازًا لأدب الإعراض من خلال كتاب الله الكريم.

إن القرآن الكريم بحر زاخر لا ساحل له فهو أصل الآداب السامية والأخلاق الرفيعة وهو أساس الفضائل والشيم الرَضِيَّة، ومنهل التهذيب والتوجيه، ومنبع التربية والتقويم للنفوس؛ فمن نوره تقتبس الهداية، ومن زاده يستعان على طول الطريق، وفي ثناياه وتضاعيفه يكون الأُنْس في زمن الغربة وأوقات الوِحدة.

ويُلحظ جليًا تَعَرُّض القرآن الكريم للحديث عن الإنسان في شتى أحواله ومختلف توجهاته سواء أكان في حال الطاعة والامتثال أم في حال الصدود والإعراض فكان القرآن الكريم خير مصدر يُفَسَّرُ من خلاله سلوك البشر وتفهم على أساسه نزعات الإنسان المتباينة.

---

[1] سورة النساء الآية: 174.

[2] الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**. ط2. عمان- الأردن: دار النفائس.1428هـ - 2008م.(ص:56).

وتضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحدثت عن الإعراض بنوعيه (المحمود والمذموم)، فجاءت هذه الآيات لتكون معالم بينة ومفارق صريحة تميز بين المنحيين وتفرق بين السلوكين لاختلاف الدوافع إليهما.

فجاء هذا البحث الذي وسمه الباحث بـــ(أدب الإعراض في القرآن الكريم) ليكون في نطاق دائرة الإعراض المحمود حيث يسعى الباحث إلى التركيز على دراسة الأبعاد والمضامين الأدبية والأخلاقية للإعراض المحمود وإبرازها؛ وليكشف عن أدب قرآني عظيم، فيتجلى لقارئ كتاب ربنا ﷻ وهو يؤدب ويرشد ويوجه العباد إلى خير الآداب وفضائل الفعال، وليكشف عن أدب تأدب به الأنبياء والمؤمنون على نحو يظهر رقي الذوق وسمو الحس وحسن التعاطي مع الأشخاص من ذوي العقائد والتصورات والأفكار الأخرى من خصوم ديننا العظيم بل ومع المسلمين أنفسهم في مواقف وأحوال شتى ومقامات مختلفة.

إن هذا البحث محاولة جادة لاستجلاء هذا الأدب في نطاق الآيات القرآنية التي يلمس المتدبر لها دفعًا باتجاه التزام هذا الأدب والتخلق به، وهذا يظهر بجلاء من خلال دعوة القرآن الصريحة لالتزام هذا الأدب أو من خلال ظلال المواقف والأحداث التي أشار إليها القرآن الكريم والتي دارت بين المُعْرِضين والمُعْرَض عنهم كل ذلك في سياق تأديب العباد بهذا الأدب ولفت أنظارهم نحو الارتقاء إلى المقامات العالية والنأي بأنفسهم عن التسفل والهبوط والارتكاس في حضيض المقامات الهابطة وصون النفس عمَّا من شأنه أن يخل بالشرف أو يحط من الكرامة أو يخرم المروءة ويثلمها، بل والانشغال في مناكفات تبدد الجهد وتضيع الوقت الثمين لحملة هذا الدين العظيم من الدعاة والغيورين عليه والمسلمين عامة.

فجاء أدب الإعراض ليمثل مظهرًا من مظاهر التَصَوّن والسمو النفسي لصفوة الخلق ذوي الصدور الرحبة والآفاق الفسيحة والعقول الكبيرة من ذوي الرد الجميل والأدب اللطيف.

لقد عرض القرآن الكريم أدب الإعراض على نحو يعبر عن قوة في الموقف وجدية في التعاطي مع الأشخاص والمواقف، فأدب الإعراض لم يكن ولن يكون عَرَضًا لحالة من الضعف والانهزام والانكسار أو الانسحاب السلبي، وإنما يكون في مواقف لا تجدي فيها المواجهة أو لا تَحْسُنُ فيها المصارحة؛ وذلك لَمَّا يعثر ذوو الهيئات أو عندما يستبد الهوى بصاحبه فيُمْعِنُ في اللَّجَاج والإعجاب بالرأي فيكفي حينئذ من الأمر اللمحة والإشارة .

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة في نظر الباحث؛ ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

1 -إن هذا الموضوع متعلق بجانب من جوانب الأدب في القرآن الكريم، والدعوة لالتزام الأدب إحدى الغايات الكبرى لهذا الدين والتي تقترن مع إصلاح العقائد والتصورات، و"لقد ركز الوحي نصف مدته على تربية الأمة الإسلامية على العقيدة والأخلاق"[1].

2 -هذه الدراسة تسهم في تقديم الكثير من الإجراءات الوقائية التي تمنع كثيرًا من دواعي الاختلاف وبواعث التنافر المؤدية إلى تعقيد المواقف وتأزيم العلاقات وتوتير الأجواء بل وضرب النسيج الاجتماعي للمجتمع المسلم؛ فيكون أدب الإعراض سبيلًا لنزع فتيل الاشتعال للكثير من الأزمات التي ربما تعصف باستقرار الأفراد والمجتمع فيبقى هنالك هامش لمعاودة الحوار واستئنافه والتواصل مع الآخرين في ظروف ومناخات مستقبلية قد تكون أكثر ايجابية وقابلية للتغيير المأمول.

3 -إن هذه الدراسة فيها ارتقاء بالمسلم نحو الكمال الأدبي والسمو الأخلاقي، بل وفيها تزكية للنفوس وتهذيب للطباع على نحو ينزع بالإنسان نحو الفضائل والمكارم والمعالي والنأي عن السفاسف والدنايا.

---

[1] جريشة، الدكتور علي محمد: **المشروعية الإسلامية العليا**. 1مج. ط1. مصر: مكتبة وهبة.1396هـ- 1976م. (ص:63).

4 -هذه الدراسة تقدم أساليب وطرائق تربوية وتقويمية وإصلاحية من شأنها أن تسهم في تصحيح مسارات الآخرين، وتقويم اتجاهاتهم المختلفة.

5 -هذه الدراسة تسهم في تعميق المعرفة والوعي لدى المسلم بأساليب التعامل مع الخصوم من غير المسلمين في مقامات مخصوصة.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن إجمال أهم الأسباب والدواعي لاختيار هذا الموضوع في الأمور الآتية:

1 -خدمةً لكتاب الله ﷻ، ورفدًا للمكتبة الإسلامية بشكل عام والدراسات القرآنية الموضوعية بشكل خاص.

2 -إن الباحث لم يجد في حدود بحثه واطلاعه المتواضع دراسة وافية متكاملة في هذا الموضوع، بل كل ما وجده مباحث جزئية وشُذور مبثوثة في بعض المصنفات لذا عزم على التأصيل لهذا الأدب وإخراجه بصوره متكاملة مستوفاة مستمدًا العون من الله تعالى.

3 -تعرض القرآن الكريم للحديث عن أدب الإعراض من خلال العديد من الآيات القرآنية الكريمة سواء أكان ذلك تصريحًا أم تلميحًا.

4 -دراسة أدب الإعراض كأدب راقٍ وملمح من ملامح الذوق الرفيع يوجه القرآن الكريم نَحْوَهُ ويدعو إليه.

5 -دراسة أدب الإعراض كأحد أشكال الاتصال الإنساني إذ يتم من خلاله إطلاق رسائل قوية تحمل في طياتها تعبيرًا عن الرأي والموقف، وهذا الأمر يستحق الوقوفَ عنده وتأملَه وإيلاءَهُ أهميته ومكانته.

إشكالية الدراسة:

تبرز إشكالية هذه الدراسة من خلال محاولة الإجابة على جملة من التساؤلات من أهمها:

1 -ما تعريف أدب الإعراض وَحَدُّهُ في السياق القرآني؟

2 -ما هي مقامات أدب الإعراض من خلال القرآن الكريم؟

3 هل عرض القرآن الكريم مظاهِرَ وصورًا لأدب الإعراض؟

4 ما هي أهم الضوابط والمحددات لأدب الإعراض في القرآن الكريم؟

5 ما أبرز نقاط المنهج القرآني في عرض هذا الأدب والدعوة إليه؟

6 هل ثمة نماذج من خلال القصص القرآني تجلي هذا الأدب وتسلط الضوء عليه؟

7 ما هو جزاء المتأدبين بأدب الإعراض؟

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تحقيق جملة من الأهداف على رأسها:

1 بلورة تعريف واضح ومحدد لأدب الإعراض في القرآن الكريم.

2 التوصل إلى تحديد أنواع الإعراض ومعانيه في القرآن الكريم.

3 إبراز مقامات أدب الإعراض من خلال استقصاء أحوال المتأدبين بهذا الأدب والمُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم.

4 استجلاء مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم بصورها المختلفة.

5 حصر ضوابط أدب الإعراض في القرآن الكريم.

6 اكتشاف المنهج القرآني في عرض هذا الأدب.

7 عرض بعض المواقف القرآنية التي تجلي هذا الأدب وتبرزه.

8 استخلاص جزاء هذا الأدب وأثره في المتأدبين به.

فرضيات الدراسة:

يفترض الباحث مجموعة من الفرضيات تتمثل في النقاط الآتية:

1 أن القرآن الكريم قد تناول أدب الإعراض بشكل مستوفى لأهميته ومكانته في ضبط العلاقات الإنسانية بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم.

2 أن القرآن الكريم تحدث عن المعرضين والمُعْرَض عنهم.

3 أن القرآن الكريم قد عرض أدب الإعراض من خلال مظاهر وصور متعددة.

4 أن القرآن الكريم وضع ضوابط لهذا الأدب.

5 أن القرآن الكريم له منهجه في عرض أدب الإعراض والتوجيه إليه.

6 أن القرآن الكريم حوى نماذج من القصص القرآني والمواقف التي من شأنها أن تبرز تطبيقات هذا الأدب.

7 أن القرآن الكريم وعد بالجزاء الحسن للمتأدبين بهذا الأدب.

حدود الدراسة:

إذا كان عنوان هذا البحث(أدب الإعراض في القرآن الكريم) فإن هذا يعني أن آيات القرآن الكريم الخاصة بهذا الموضوع هي مجال هذا البحث، وعليه فسيقتصر الباحث على الدراسة الموضوعية للآيات الناطقة بهذا الأدب صراحة مضافًا إليها ما جاء من آيات كريمة ورد فيها أشباه ونظائر للإعراض وكذلك النصوص التي تشير لهذا الأدب من خلال ظلالها ودلالتها. أما السنة المشرفة وأقوال الصحابة والسلف وأئمة اللغة فللشرح والتفصيل والبيان والترجيح وهي لا تشكل عناصر أساسية حفاظًا على قرآنية موضوع الدراسة[1]، وكذا مقولات وأشعار أهل الحكمة والأدب.

الصعوبات والعقبات:

لقد واجهت الباحث بعض الصعوبات في طريق هذا البحث وقد ذُللت بعون الله تعالى وتوفيقه ومن أبرزها:

1 -أنه موضوع بِكْر غير مسبوق لا برسالة علمية ولا بكتاب مستقل في حدود الاطلاع المتواضع للباحث، وقد استلزم هذا جهدًا عقليًا وفكريًا مضاعفًا، ووقتًا إضافيًا لاسيما وإنه تأصيل لأدب لم يسبق إفراده بالتصنيف من قبل.

2 -إدعاء عدد من المفسرين أن بعض الآيات الكريمة ذات الشأن المباشر بموضوع البحث منسوخة، وهذا ما دعاهم إلى عدم الخوض في تفسيرها ومحاولة استخلاص ما فيها من معان ومضامين تثري البحث وتغنيه.

الدراسات السابقة:

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى بعض الدراسات التي أشارت إلى بعض جوانب هذا الموضوع، ومنها:

---

[1] انظر: مسلم، الأستاذ الدكتور مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**. ط5. دمشق سوريا: دار القلم. 1428هـ - 2007م. (ص: 39).

1 أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضَوْء القرآن الكريم[1]؛ حيث ورد في المبحث الرابع من الفصل الثالث من هذه الرسالة حديث عن الخائضين في آيات الله تعالى والدعوة إلى الإعراض عنهم، وكذا دعوة القرآن إلى الإعراض عن اللغو.

2 -الإعراض ونظائره في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)[2]؛ حيث تناولت الباحثة موضوع الإعراض وبعض نظائره في القرآن الكريم بعموم وإيجاز.

3 الإعراض في القرآن الكريم[3]؛ قمت بمحاولة الإطلاع على ما كُتب في هذه الرسالة من خلال الانترنت فلم أتوصل لذلك ، ولكن الذي يبدو من عنوان الرسالة أنها تتناول موضوع الإعراض بشكل عام.

4 آيات الإعراض في القرآن الكريم[4] قام الباحث بمحاولة الإطلاع على ما كُتب في هذه الرسالة من خلال الانترنت فلم يتوصل لذلك ، ولكن الذي يبدو من عنوان الرسالة أنها تتناول دراسة موضوع الإعراض من خلال الآيات الكريمة بشكل عام.

5 الهجر في الكتاب والسنة[5]؛ حيث تناول الباحث الهجر الممنوع، والهجر المشروع؛ كهجر أهل البدع والفسق، وهجر الزوجة، وهي دراسة متخصصة ومنحصرة في الهجر وأنواعه من خلال القرآن الكريم والسنة المشرفة.

6 الذكر في القرآن الكريم (تفسير موضوعي)[6]؛ وقد تناول الباحث في الفصل الخامس من رسالته الإعراض عن ذكر الله تعالى وأسبابه وعواقبه، وهذا يعني: أن ما تناوله الباحث قاصر على الإعراض المذموم وليس الإعراض كأدب يتحلى به المسلم.

---

[1] عبد الله، الدكتور عودة عبد عودة: **أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضَوْء القرآن الكريم**. 1مج. ط1. عمان الأردن: دار النفائس. 1425هـ - 2005م.

[2] صالح، آلاء جهاد فوزي: **الإعراض ونظائره في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**.(رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1431هـ - 2010م..

[3] موسى، حمد نور الدين: **الإعراض في القرآن الكريم**. (رسالة ماجستير). إشراف: أ.د. الطاهر أحمد عبد القادر. جامعة أم درمان الإسلامية. السودان.

[4] بني سلامة، حسام الدين: **آيات الإعراض في القرآن الكريم**. (رسالة ماجستير). إشراف: د. زياد الدغامين. جامعة أم القرى - مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية.

[5] سلمان، مشهور حسن محمود: **الهجر في الكتاب والسنة أو إضاءة الشموع في بيان الهجر الممنوع والمشروع**. ط1. الدَمَّام السعودية: دار ابن القيم. 1409هـ - 1989م.

[6] التركستاني محمد عطاء الله: **الذكر في القرآن الكريم (تفسير موضوعي)**. (رسالة ماجستير). جامعة الإيمان. اليمن. بدون تاريخ.

7 حقوق الرسول ﷺ في القرآن الكريم[1]؛ حيث تناول الباحث في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الثاني من رسالته التعريف بالإعراض وذكر صورًا للإعراض المذموم وبعض صور الإعراض المحمود وجزاء المعرضين إعراضًا مذمومًا في الدنيا والآخرة.

8 مجلس عقد البيع بين النظرية والتطبيق[2]، حيث تناول الباحث في المطلب الثاني من المبحث الرابع من الفصل الثاني من رسالته موضوع الإعراض فتحدث عن الإعراض بالقول والفعل والسكوت؛ كل ذلك مما له علاقة بمجلس عقد البيع، وهو بحث فقهي يختلف عن الدراسة القرآنية والموضوعية.

9 أصول الدعوة[3]، فقد أشار المؤلف لبعض الأخلاقيات والمظاهر التي لها علاقة بالإعراض والتي يجدر بالداعي التخلق بها كالعفو والصفح، كما تطرق للحديث عن مخالفة الداعية وعزلته للمدعويين وفقه ذلك.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

ارتأى الباحث أن تقوم هذه الدراسة على مجموعة من المناهج البحثية المتكاملة وَفق البيان الآتي:

1 -المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع الدراسة، ومن ثم تصنيفها وتوزيعها على فصول الدراسة وَفق ما هو متعارف عليه في منهجية الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم.

2 -المنهج التحليلي والاستنباطي: وذلك عبر قيام الباحث بمحاولة استنطاق النصوص القرآنية والكشف عما تحتويه من دلالات وهدايات وإشارات بُغية توظيفها في تجلية موضوع الدراسة وإبرازه في صورته اللائقة.

---

[1] التركي، لهيم بن عبد الرشيد محمد أحمد: **حقوق الرسول ﷺ في القرآن الكريم**. (رسالة ماجستير). جامعة الإيمان. اليمن. 1426هـ - 2005م.

[2] إبراهيم، باسم محمد سرحان: **مجلس عقد البيع بين النظرية والتطبيق**. ط1. عمان- الأردن: دار النفائس. 1432هـ - 2011م.

[3] زيدان، الدكتور عبد الكريم زيدان بهيج العاني: **أصول الدعوة**. 1مج. ط6. بغداد - العراق: مكتبة القدس، المنصورة- مصر: دار الوفاء.1413هـ - 1992م.

3 -المنهج التطبيقي: وهذا المنهج تظهر الحاجة إلى تفعيله عند التعرض لدراسة بعض المواقف، والجوانب من بعض القصص القرآني التي سلطت الضوء على أدب الإعراض.

وقد اتبع الباحث جملة من الإجراءات المنهجية بالإضافة إلى ما سبق بيانه فقام الباحث بالآتي:

1 -كتابة الآيات الكريمة - مكتملة أم مجزأة -بخط المصحف الشريف (الرسم العثماني)، سواء أكان في متن البحث أم في حواشيه.

2 -عزو الآيات الكريمة إلى مواطنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية وإثبات ذلك في حواشي البحث، فإذا ورد مقطع من الآية أو كلمة منها فيكتفي الباحث بالعزو الأول للآية مكتملة إلا إذا ابتعد المقطع عن الآية فيكرر العزو مرة أخرى.

3 -الرجوع إلى أُمَّات كتب التفسير الأصيلة بالدرجة الأولى للإطلاع على ما قاله المفسرون على اختلاف مدارسهم ومناهجهم، ومن ثم الرجوع إلى ما لَزِم من كتب التفسير الحديثة والاستفادة مما أضافه المحدثون مراعيًا في ذلك كله التسلسل الزمني والعزو وفق الأسبقية الزمنية في حواشي البحث، بالإضافة إلى الرجوع إلى المصادر والمراجع الأخرى في العلوم والفنون المتنوعة حيثما لزم ذلك في ثنايا البحث .

4 -الرجوع للسنة الشريفة مع تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها؛ فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالإحالة إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان الحديث في غيرهما أعزوه لمصدره مع محاولة بيان درجته من أقوال أهل العلم بالحديث الذين حكموا عليه.

5 -عزو الأقوال والنصوص المنقولة عامة لقائليها مع الإحالة للمصدر المقتبس منه والتوثيق المفصل عند إيراد المرجع لأول مرة، ومن ثَمَّ الاقتصار على ذكر اسم الشهرة للمؤلف واسم الكتاب مختصرًا أحيانًا، والجزء والصفحة إذا تكرر الرجوع إليه.

6 -إذا لم يجد الباحث البطاقة التعريفية لمصدر ما مكتملة في الجامع الكبير لكتب التراث، يرجع للمطبوع ويعزو إليه، وإن لم يعثر على المصدر مطبوعًا وكان الرجوع إليه ملحًا يعتمد على النسخة الموجودة في الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي، الإصدار الرابع، 1428هـ -1429هـ/ 2007م - 2008م. مع الإشارة لذلك في حواشي البحث.

7 -استخدم الباحث كلمة (انظر) عندما يتصرف في النص؛ فيورده بمعناه مُلَخَّصًا.

8 -التعريف والتوضيح للمفردات والألفاظ الغريبة والغامضة وضبطها وتشكيلها من خلال الرجوع لمعاجم اللغة الأصيلة، وكتب الغريب والمصطلحات، وغيرها من الكتب، وإثبات ذلك في حواشي البحث.

9 -الترجمة للأعلام المغمورين ترجمة موجزة خصوصًا لمن ترد أسماؤهم أو تتم الإشارة إليهم ولا يُنْقَل من كتبهم، وإثبات ذلك في حواشي البحث.

10 - توثيق الأشعار ونسبتها لقائليها ما أمكن مع عزوها إلى مواضعها في دواوين الشعر مع الضبط والتشكيل.

11 - التعريف بالأماكن والبلدان غير المشهورة من خلال الرجوع للمصادر المتخصصة وإيراد ذلك بشكل موجز مُفْهِم في حواشي البحث.

12 - وضع علامات الترقيم والتشكيل حيثما لزم في البحث.

13 - تم تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة تُلَخَّصُ فيها أبرز النتائج وتُذكر فيها أهم التوصيات وملحقًا يضم عددًا من الخرائط التي يظهر عليها عدد من المواقع الوارد ذكرها في الرسالة، مع تذييل البحث بالفهارس الفنية اللازمة.

خطة الدراسة:

تتألف خطة هذه الدراسة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

- **مقدمة**: تضمنت الإشارة إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالية الدراسة، وأهدافها، وفرضياتها، وحدودها، وأبرز الصعوبات والعقبات التي واجهها الباحث، والجهود والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، وخطتها.
- **الفصل الأول: تعريف أدب الإعراض ودلالات وردوه في السياق القرآني، وقد اشتمل على أربعة مباحث هي:**
  - **المبحث الأول: تعريف أدب الإعراض.**
  - **المبحث الثاني: أهمية الأدب وأنواعه ومجالاته.**

- ❖ **المبحث الثالث: الإعراض في ضَوْء السياق القرآني.**
- ❖ **المبحث الرابع: نظائر الإعراض في القرآن الكريم.**

- **الفصل الثاني: مقامات أدب الإعراض في ضَوْء القرآن الكريم، وقد اشتمل على مبحثين هما:**
  - ❖ **المبحث الأول: المتأدبون بأدب الإعراض في القرآن الكريم.**
  - ❖ **المبحث الثاني: المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم.**
- **الفصل الثالث: مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث هي:**
  - ❖ **المبحث الأول: الإعراض القلبي.**
  - ❖ **المبحث الثاني: الإعراض الجسمي.**
  - ❖ **المبحث الثالث: الإعراض السلوكي.**
- **الفصل الرابع: ضوابط أدب الإعراض ومنهج القرآن الكريم في عرضه والتوجيه إليه، وقد اشتمل على مبحثين هما:**
  - ❖ **المبحث الأول: ضوابط أدب الإعراض.**
  - ❖ **المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في العرض والتوجيه لأدب الإعراض.**
- **الفصل الخامس: نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم وجزاء المتأدبين بهذا الأدب وقد اشتمل على مبحثين هما:**
  - ❖ **المبحث الأول: نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم.**
  - ❖ **المبحث الثاني: جزاء المتأدبين بأدب الإعراض.**
- **الخاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث وأبرز التوصيات.**

وبعد:

فهذا جهد المقل ولا أدعي لنفسي إصابة الغاية وبلوغ النهاية، فهو من عمل البشر وعُرْضَة لأن يعتريه النقص والخطأ والتقصير ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى، وما أغفلت في هذه الدراسة من شيء إلا ما نَدَّ الفكر عنه أو ظننته استطرادًا لا ضرورة لذكره، ويقول الباحث في هذا المقام كما قال السيوطي عن كتابه الإتقان: "إني لا أبيعه بشرط البراءة من

كل عيب، ولا أدعي أنه جمع سلامة"[1]. وحسبي أني بذلت ما في وسعي، فما كان في هذا البحث من حق وصواب فمن فضل الله ﷻ وتوفيقه ، وما كان من خطأ فمن نفسي الخطَّاءة ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، وأسأله ﷻ الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن وأن يكون عملي هذا حجة لي لا عليّ، وأن يجعله الله ﷻ في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين

الباحث

[1] السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. ت: 911هـ: **الإتقان في علوم القرآن**. 2 مج. تحقيق: سعيد المندوب. ط1. لبنان: دار الفكر. 1416هـ - 1996م. (539/4).

الفصل الأول

تعريف أدب الإعراض ودلالات وروده في السياق القرآني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف أدب الإعراض

المبحث الثاني: أهمية الأدب وأنواعه ومجالاته

المبحث الثالث: الإعراض في ضَوْء السياق القرآني

المبحث الرابع: نظائر الإِعراض في القرآن الكريم

تمهيد

في هذا الفصل يتطرق الباحث للحديث عن تعريف أدب الإعراض، كما سيتطرق بالحديث عن أهمية الأدب وأنواعه ومجالاته بإيجاز واقتضاب، وسيتم تتبع معاني الإعراض في السياق القرآني، وعرض نظائر الإعراض في القرآن الكريم، والصفحات القادمة تنبئ عن ذلك كله بمشيئة الله ﷻ.

المبحث الأول

تعريف أدب الإعراض

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأَدب في اللغة:

يأتي الأدب في اللغة بعدة معان هي:

أولًا: الدعوة والاجتماع.

أ - وقد يكون في المكارم وحسن الأخلاق:

قال الخليل بن أحمد: "أَدُبَ رجل أديب يؤدب غيره ويتأدب بغيره"[1].

"الأَدَب: الذي يتأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس، سُمي أَدَبًا لأنه يَأْدِبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح"[2].

ب -وقد يستخدم الأَدْب بسكون الدال في الدعوة إلى الطعام:

قال الأزهري: "أصل الأَدْب الدعاء، وقيل: للصنيع يُدْعى إليه الناس مَدْعَاةٌ ومَأْدَبَةٌ"[3]

قال ابن فارس: "فالأَدْب أن تَجمع الناسَ إلى طعامِك وهي المأَدَبة والمأْدُبة، والآدِب الداعي"[4].

ومن العلماء من فَرَّق؛ فجعل المأْدُبة دعوة للطعام، والمأَدَبة للأَدَب[5].

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت:175هـ: **كتاب العين**.8 مج. تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. بدون ط. دار ومكتبة الهلال. (85/8).

[2] ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ت:711هـ: **لسان العرب**.15مج. ط1 بيروت: دار صادر.. (206/1). وانظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. ت:1205هـ: **تاج العروس من جواهر القاموس**.40مج . تحقيق: مجموعة من المحققين. بدون ط. دار الهداية. (12/2).

[3] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. ت: 370هـ: **تهذيب اللغة**. 15 مج ت. تحقيق: محمد عوض مرعب ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1422هـ- 2001م. (147/14).

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت:395هـ: **معجم مقاييس اللغة**. 6 مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط2. بيروت- لبنان: دار الجبل. 1420هـ- 1999م. (74/1). وانظر: اليماني، نشوان بن سعيد الحميري. ت:573هـ: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**.12مج. تحقيق: أ.د. حسين بن عبد الله العربي أ. مطهر بن علي الإرياني د. يوسف محمد عبد الله. ط1. بيروت: دار الفكر. 1420هـ-1999م. (211/1). والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـ: **القاموس المحيط**. 1مج. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة. (ص:75).

[5] انظر: الزبيدي: **تاج العروس**. (13/2).

ثانيًا: البراعة والحُسْنُ:

عُرِّف الأدب بـــ: "الظرف وحسن التناول"[1]. وذكر الزبيدي أنَّ "الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه"[2]. قال الكرمي: "الأدب حسن الخلق بحسب قواعد الظرف والملاطفة في الكلام أو السلوك... والأدب تعويد المرء على الفضائل وكرم الأخلاق"[3].

ثالثًا: الترويض والتذليل:

قال الأزهري: "ويقال للبعير إذا رِيْضَ وُذلِّلَ: أَدِيْبٌ مُؤَدَّب"[4]، قال مُزَاحِمُ العُقَيْلِيُّ:[5]

"وَهُنَّ يُصَرِّفْنَ النَّوَى[6] بَيْنَ عَالِجٍ[7] وَنَجْرانَ[8] تَصْرِيفَ الأَدِيْبِ المذَلَّلِ"[9]

وقيل في تعريف الأدب:" اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل"[10].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب** (206/1). والفيروز آبادي: **القاموس المحيط**. (ص:75).

[2] الزبيدي: **تاج العروس**. (12/2).

[3] الكرمي، حسن سعيد. ت: 1428هـــ: **الهادي إلى لغة العرب**. 4 مج. ط1. بيروت - لبنان: دار لبنان للطباعة والنشر. 1412هـــ- 1992م. (48/1).

[4] الأزهري: **تهذيب اللغة**. (147/14).

[5] العُقيلي: هو" مُزاحِم بن الحارث العقيلي كان رجلًا، عَزْلًا*، وكان شجاعًا، وكان شديد أسر الشِّعر حلوه، وكان مع رقة شعره صعب الشِّعر هَجّاءً وَصّافًا". الجمحي محمد بن سلام. ت:231هـــ: **طبقات فحول الشعراء**. 2مج. تحقيق: محمود محمد شاكر. بدون ط. جدة: دار المدني. (770/2).

* عَزْلًا: صفة مدح تطلق على الرجل ذي البأس والنجدة وهو الذي لا يحمل السلاح. انظر: الأزهري: **تهذيب اللغة**. (81/2).

[6] النَّوَى:"الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد وهي مؤنثة لا غير، وأما النَّوَى الذي هو جمع نواة التمر فهو يذكر ويؤنث وجمعه أنواء، والنَّواة خمسة دراهم.". الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. ت: 721هـــ: **مختار الصحاح**. 1مج. طبعة جديدة. تحقيق: محمود خاطر.. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1415هـــ- 1995م. (ص:286).

[7] عالج: هي رَمْلَة بالبادية ، على طريق مكة لا ماء بها ، وقيل: رمل عالج هو المتصل بوبار*. انظر: الحموي أبا عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. ت:626هـــ: **معجم البلدان**. 5مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. (70/4).

* وَبَار: قيل: هي أرض بين نجران وحضرموت ناحية اليمن، كانت أرض خصبة ذات ماء وشجر وثمر. انظر: الحموي: **معجم البلدان**. (356/5).

[8] نجران: قرية عظيمة في جزيرة العرب كان أهلها أهل شرك يعبدون الأصنام، ثم دخلوا النصرانية، وامتحنوا في دينهم على يد ذي النواس اليهودي الذي حفر للمؤمنين الأخدود، وفتحت في زمن النبي ﷺ في السنة العاشرة صلحًا مقابل الفيء، وعلى أن يتقاسموا العشر ونصف العشر. انظر: الحموي: **معجم البلدان** (267/5 -268).

[9] الأزهري: **تهذيب اللغة**. (147/14).

[10] المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي. ت:610هـــ: **المغرب في ترتيب المعرب**. 2مج. بدون ط. (33/1). انظر المرجع في: الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي. الإصدار الرابع. 1428هـــ - 1429هـــ/2007م - 2008م. والزبيدي: **تاج العروس** (12/2).

رابعًا: العلم:

"أَدَّبَهُ فَتَأَدَّب: عَلَّمَهُ، واستعمله الزجاج[1] في الله ﷻ، فقال: وهذا ما أَدَّبَ الله تعالى به نبيه ﷺ"[2]، قال الفيومي: "أَدّبْتُه أَدَبًا...علَّمْته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق"[3]، "أَدَّبَهُ: عَلَّمَهُ فَتَأَدَّب واستَأدَب"[4].

خامسًا: العقوبة:

"(أَدَّبْتُهُ) (تَأْدِيْبًا) إذا عاقبته على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأَدَبِ"[5].

سادسًا: الكثرة

"يقال: جاش أَدَبُ البحرِ؛ وهو كَثْرَةُ مَائِهِ"[6].

سابعًا: الامتلاء:

"(آدَبَ البلادَ) يُؤْدِبُ(إِيْدَابًا: مَلأَهَا) قِسْطًا وَعَدْلًا"[7].

ثامنًا: العَجَب:

"الأَدْب: العَجَب"[8].

وبعد هذا العرض للمعاني اللغوية المتعددة لكلمة الأدب يرى الباحث أنها تحمل في طياتها العديد من الدلالات يمكن إجمالها فيما يأتي:

- هذه المعاني المتعددة تحمل معنى الحركة والتفاعل والانتقال.
- إن هذه المعاني تقتضي من النفس بذل جهد ومجاهدة.
- إن الغايات فيها إيجابية وسامية وذات دلالات تربوية تقويمية.

---

[1] الزَّجَّاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، كان من أهل الدين والعلم، أخذ الأدب عن المبرد، وله العديد من المصنفات منها الأمالي والاشتقاق، توفي قريبًا من سنة311هـ. انظر: ابن خلكان، أبا العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. ت: 681هـ: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. 8مج. تحقيق: إحسان عباس. بدون ط. لبنان: دار الثقافة. (49/1 - 50).

[2] ابن منظور: **لسان العرب**. (206/1).

[3] الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري. ت:770هـ: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. 1مج. بدون ط. بيروت: المكتبة العلمية دار الكتب العلمية. (9/1).

[4] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط** (ص:75). وانظر: الزبيدي: **تاج العروس** (12/2).

[5] الفيومي: **المصباح المنير**. (9/1)

[6] ابن منظور: **لسان العرب**: (207/1). وانظر: الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**: (ص: 75).

[7] الزبيدي: **تاج العروس**: (13/2).

[8] ابن منظور: **لسان العرب**: (207/1). والزبيدي: **تاج العروس** (13/2).

المطلب الثاني: الأدب في الاصطلاح:

تعددت تعريفات الأدب في الاصطلاح، يذكر الباحث منها ما يأتي:

عرَّف ابن قيم الجوزية الأدب أنه:"اجتماع خصال الخير في العبد"[1]. وعرَّفه الجرجاني بقوله: "الأدب: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[2]. وذكر المناوي والكفوي: "أن الأدب: رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل"[3]. وقال صاحب فتح الخلّاق:" الأدب هو: التحلي بأحسن صفات الكمال والتخلي عن الرذائل والبعد عن النقائص بحيث يكون الإنسان في جميع أحواله ومعاملاته في المجتمع الإنساني على مقتضى العقل الكامل والذوق السليم فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ولا يقع منه ما يخل بشرفه أو يحط من قدره"[4].

من خلال ما سبق من تعريفات للأدب يمكن استخلاص الأمور الآتية:

1- إن الأدب يتحقق من خلال الاجتماع والمعرفة والرياضة النفسية والاتصاف بالمكارم والتحرر من الرذائل .

2- إن الأدب بمعناه الكامل هو محصلة لجملة من الصفات الحسنة.

3- إن الأدب يستغرق كل أحوال الإنسان وأزمانه.

4- غاية الأدب الوصول بالإنسان للخيرية والسمو النفسي .

5- إن قلة الأدب تحط من القدر، وتخل بالشرف، وتلحق المذمة واللوم، وتوقع في الزلل.

---

[1] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت751هـ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. 3مج. راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. بدون ط. القاهرة: دار الحديث. (391/2).

[2] الجرجاني، علي بن محمد بن علي. ت:816هـ: **التعريفات**: 1مج: تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ - 1984م. (ص:29).

[3] المناوي، محمد عبد الرءوف: ت: 1031هـ: **التوقيف على مهمات التعاريف**. 1مج. تحقيق: د.محمد رضوان الداية. ط1. بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر دار الفكر. 1410هـ- 1980م. (ص:44). وانظر: الكفوي أبا البقاء أيوب بن موسى الحسيني. ت:1094هـ: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. 1مج: تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. بدون ط بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ- 1998م. (ص:65).

[4] الدجوي، محمد سعيد: **فتح الخلَّاق في مكارم الأخلاق**: تحقيق: عبد الرحيم ماردیني. ط2. دمشق - سوريا: دار المحبة. 1418هـ- 1997م. (ص:3).

ومع تضمن هذه التعريفات لهذه المعاني المشار إليها إلا أن الباحث يمكنه أن يُسطر عليها الملحوظات الآتية:

- أما ما يتعلق بتعريف الجرجاني فيبدو للباحث أن المعرفة وحدها لا تكفي للاتصاف بالأدب وأنه تم التركيز في التعريف على جانب البُعد والتحرز عن الأخطاء، وحقيقة الأدب أنه أعم من مجرد ترك المناهي والمقابح.
- وما ذكره المناوي والكفوي فالذي يظهر للباحث أن هذا نَقْل من كلام أبي زيد الأنصاري[1] والذي سبق إيراده في التعريف اللغوي، وذكره المطرزي في المغرب[2]، والزبيدي في التاج[3]، وهو يشير إلى الرياضة النفسية طريقًا لتحصيل الفضائل، فكان التركيز في التعريف على طريق التحصيل للفضائل أكثر من حقيقة الأدب نفسه.
- أما فيما يخص تعريف الدجوي للأدب فإنه يتسم بالإسهاب والإطالة والتفصيل.

والتعريف الذي يميل الباحث إلى ترجيحه واختياره هو تعريف ابن قيم الجوزية وذلك للاعتبارات الآتية:

1 - إن هذا التعريف بنظر الباحث جامع مانع لأنه:

- استخدم كلمة (اجتماع) فهذه اللفظة تستوعب معاني: العلم والمعرفة والرياضة والاتصاف، وهي ألفاظ وردت في التعريفات المختلفة للأدب.
- استخدم عبارة (خصال الخير) فإذا اجتمعت خصال الخير، فهذا يعني تحقق مفهوم الشمول والاستغراق لمعنى الخير الذي إذا ما حلّ وتحقق اقتضى انزواء الشر والرذيلة وعندها يوصف الإنسان بأنه مؤدب.
- قال: (في العبد)، ويفهم من هذا التعبير معنى الأصالة والاستقرار حتى يصير خُلقًا.

2 - هذا التعريف يتسم بالإيجاز في اللفظ والغنى والخصوبة في المعنى وهذا خير الكلام.

---

[1] أبو زيد الأنصاري: هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الأنصاري البصري النحوي، أحد الأعلام ، قيل: كان يحفظ ثلثي اللغة ، مات سنة 215هـ. انظر: اليمني صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري. ت: 923هـ: **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. 1مج. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط5. حلب/بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر. 1416هـ - 1995م. (ص: 136).

[2] انظر: المطرزي: **المغرب**. (33/1).

[3] انظر: الزبيدي: **تاج العروس**. (12/2).

وبناء على هذه الاعتبارات يكون ما قاله: ابن قيم الجوزية هو التعريف الأشمل والأجمع لمعنى الأدب في ظن الباحث والله أعلم.

فرع: الفرق بين الأدب والخُلُق:

عُرِّف الخُلُق بأنه: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"[1]، وبناء على ذلك يكون الأدب مقدمةً وطريقًا لتحصيل الخُلق، فإذا ما استقر الأدب ورسخ في نفس المتأدب صار خُلقًا لصاحبه يتصف به دون تكلف أو عناء فينقلب إلى سجية من سجاياه. وأيضًا فإن وصف الخلق للمحمود والمذموم من الصفات، أما الأدب ففي الصفات المحمودة فحسب.

المطلب الثالث: الإعراض في اللغة:

تعددت المعاني اللغوية للإعراض، قال ابن فارس: "عَرَضٌ" العين والراء والضَّاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العَرْض الذي يخالف الطول"[2] ويمكن للباحث إجمال المعاني اللغوية للإعراض فيما يأتي:

أولًا: إشاحة الوجه وتنحيته:

"قال ابن الأعرابي[3]: "أعرض بوجهه وأشاح، أي جَدَّ في الإعراض"[4] "وأعرض بوجهه: أي مال قال تعالى: ﴿ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[5][6].

---

[1] الجرجاني: **التعريفات**. (ص:136).

[2] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (269/4).

[3] ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي. كان إمامًا في النحو، والنسب، والتاريخ، كثير السماع والرواية، من كتبه: النوادر، والأنواء، وتاريخ القبائل، وكان أعرج، أَحْوَل، ولد سنة 150هـ، وتوفي سنة 231هـ. انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. ت: 817هـ: **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**. 1مج. تحقيق: محمد المصري. ط1. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي.1407هـ - 1986م. (ص: 196).

[4] الزبيدي: **تاج العروس** (515/6).

[5] سورة آل عمران، الآية:23.

[6] اليماني: **شمس العلوم**. (4497/7).

ثانيًا: التولي والإضراب:

يأتي الإعراض بمعنى التولي والإضراب إذا عدي بـــ(عن) فيكون معنى: "الإعراض هو: أن تولي الشيء عرضك أي جانبك ، ولا تقبل عليه"[1]. وفي المصباح المنير (أعرضت) عنه: أضربت ووليت عنه"[2].

ثالثًا: الصَدّ:

تقول: أَعْرَضْتُ بوجهي عنه، أو أَعْرَضْتُ عن الشيء، معناه: صَددت[3].

رابعًا: الحَيْد: قال الطالقاني:"وَأَعْرَضَ عني: حاد"[4].

خامسًا: الظهور والبروز:

قال ابن فارس: "يقال: أَعْرَضَ لك الشيء من بعيد فهو مُعْرِض، وذلك إذا ظهر لك وبدا، والمعنى أنك رأيت عَرْضَه"[5]، ويلاحظ تعدية الإعراض بحرف الجر اللام، وقال الرازي:"وعَرَضَ الشيء فَأَعْرَضَ أي أظهره فظهر"[6]. وقال الفيومي:"عَرَضت الشيء عَرْضًا...فأَعْرَضَ... أي أظهرته وأبرزته فظهر هو وبرز"[7].

سادسًا: الإشراف:

قال ابن منظور: "أَعْرَضَ: أَشْرَفَ"[8]. "والمَشْرَف: المكان تشرف عليه وتعلوه ومشارف الأرض أعاليها"[9]. "وأَعْرَضَ لك بالخير : أَشْرَفَ"[10]

---

[1] السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، ت330هـــ: **غريب القرآن**. 1مج: تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. بدون ط دار قتيبة. 1416هـــ- 1995 م. (ص:111). وانظر: الراغب الأصفهاني، أبا القاسم الحسين بن محمد. ت:502هـــ: **المفردات في غريب القران.** 1مج. راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن. بدون ط . مصر: المكتبة التوفيقية. (ص:333). والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـــ: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. 6مج. تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار. بدون ط. بيروت - لبنان: المكتبة العلمية.(44/4).

[2] الفيومي: **المصباح المنير**. (402/2).

[3] انظر: الفراهيدي: **العين.** (272/1). والرازي: **مختار الصحاح.** (ص:178). وابن منظور: **لسان العرب**. (182/7). والفيروز آبادي: **القاموس المحيط**. (ص:834).

[4] الطالقاني أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس. ت: 385هـــ: **المحيط في اللغة**.11مج. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين. ط1. بيروت - لبنان: عالم الكتب. 1414هـــ - 1994م. (206/1).

[5] ابن فارس: **مقاييس اللغة.** (272/4).

[6] الرازي: **مختار الصحاح.** (ص:178).

[7] الفيومي: **المصباح المنير.** (402/2).

[8] ابن منظور: **لسان العرب.** (182/7).

[9] الفراهيدي: **العين.** (252/6).

[10] المِلْيَاني، موسى بن محمد الأحمدي.ت: 1420هـــ: **معجم الأفعال المتعدية بحرف**: 1مج. ط1. 1397هـــ1977م. (ص:233).

سابعًا: الخِلْقة العريضة:

يقال: أَعْرَضَت المرأة أولادها، ولدتهم عِراضًا"[1].

ثامنًا: التوسع في الأمر:

قال المطرزي:"ولقد أَعْرَضت المسألة أي جئت بها واسعةً عريضةً"[2] وفي المَثَل : "أَعْرَضَت القِرْفَة"[3] ، والمعنى؛ أي اتسعت، وهو مثل يُضرب لمن يتوسع في توجيه التهمة لجهة ما، كقبيلةٍ بأَسْرِها[4].

تاسعًا: النسيان:

يقال: "أعرض لُبي عن كذا إذا نسيته"[5].

ويسجل الباحث عقب إيراد هذه المعاني اللغوية للإعراض الملحوظتين الآتيتين:

1 - أن جُلّ هذه المعاني اللغوية الواردة يجمعها قاسم الانصراف والبعد عن الشيء.

2 - أن المعاني الأربعة الأولى للإعراض واردة في القرآن الكريم بشكل مباشر وباقي المعاني لم ترد والله أعلم.

المطلب الرابع: الإعراض في الاصطلاح:

عرّف السمعاني الإعراض بقوله: "الإعراض صرف الوجه عن الشيء، أو إلى من هو أولى منه أو لإذلال من يصرف عنه الوجه"[6]. وقال الكفوي: "الإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب"[7]. قال ابن عاشور: "الإعراض: عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه"[8].

---

[1] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (270/4). وانظر:اليماني: **شمس العلوم**. (4498/7). والفيروز آبادي: **القاموس المحيط**. (ص:834).

[2] المطرزي: **المغرب**. (53/2).

[3] العسكري، الشيخ الأديب أبوهلال.ت: 382هـ: **جمهرة الأمثال**. 2مج. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الفكر.1408هـ-1988م. (159/1).

[4] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (185/7). والزبيدي: **تاج العروس**. (430/18).

[5] الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي، ت:538هـ: **أساس البلاغة**. 1مج. بدون ط. دار الفكر. 1399هـ- 1979م. (ص:414). والمِلْيَاني: **معجم الأفعال المتعدية بحرف**. (ص:234).

[6] السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. ت:489هـ: **تفسير السمعاني**. 6مج. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. السعودية: دار الوطن- الرياض. 1418هـ - 1997م (235/3).

[7] الكفوي: **الكليات**. (ص:28).

[8] ابن عاشور، محمد الطاهر. ت:1284هـ: **التحرير والتنوير**. 30مج. بدون ط. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. 1418هـ- 1997م. (108/5).

من خلال التعريفات الآنفة الذكر يمكن للباحث أن يستخلص مما قيل في معنى الإعراض أن الإعراض يعني الانصراف عن الشيء:

- إما بإشاحة الوجه أو الجسم وهذه صور حسية للإعراض.
- وإما بانصراف القلب وهذه صورة نفسية معنوية.

وبناء على هذا الفهم فإن الباحث يميل إلى ترجيح ما قاله ابن عاشور في تعريف الإعراض وذلك لما يأتي:

1 - لأنه التعريف الأشمل لمعنى الإعراض:

أ - فقد يرد مصطلح الإعراض في مقام الرفض للهداية وهذا الغالب في التعبير القرآني.

ب -وقد يرد هذا المصطلح في مقام الأدب والترفع عن اللغو والخوض وعبارة ابن عاشور تستوعب المقامين.

2 - لأن عبارة ابن عاشور تستوعب صورتيْ الإعراض الحسية والمعنوية.

المطلب الخامس: تعريف أدب الإعراض:

من خلال هذا المطلب يحاول الباحث التوصل إلى تعريف أدب الإعراض من خلال إلقاء الضوء على ما قاله بعض العلماء، وتجدر الإشارة إلى أن الجاحظ قد أطلق مصطلح (خُلُق التصوُّن) الذي يتضمن ما يسميه الباحث "أدب الإعراض" الذي هو محور هذه الدراسة، فقد ذكر الجاحظ من أقسام الأخلاق المستحسنة خُلُق التَصوُّن الذي هو: التحفظ من التبذل، وضرب أمثلة على هذا التَصوُّن كالتحفظ من الهَزْ القبيح، ومخالطة أهله، وحضور مجالسه، وضبط اللسان من الفحش، والانقباض من أدنياء الناس وأصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم، وغير ذلك من الأمثلة[1].

ويلحظ الباحث أن بعض العلماء أشاروا إلى أدب الإعراض من خلال إطلاقات أخرى على حقيقة هذا الأدب. ومن ذلك ما قاله ابن محرز[2] في تعريف (المروءة): "التَصوَّن والسمت

---

[1] انظر: الجاحظ، أبا عثمان عمرو بن بحر. ت:255هـ: **كتاب تهذيب الأخلاق**. عني بنشره: محمد كرد علي. بدون ط. دمشق - سوريا: مطبعة البطريركية الأرثوذكسية. 1342هـ- 1924م. (ص:18 -19).

[2] ابن مُحْرِز: هو أبو ذؤيب، خويلد بن خالد الهذلي، شاعر مجيد مخضرم، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ وأسلم، توفي في غزو أفريقيا. انظر: الحموي، أبا عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. ت: 626هـ: **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.** 5مج. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ- 1991م. (3/306- 309).

الحسن وحفظ اللسان وتجنب السُّخْف والمجون والارتفاع عن كل خلق رديء"[1]. والإعراض عند ابن عاشور: "الترك والإمساك عن المخالطة والمحادثة"[2]. وقد يكون هذا من باب الأدب.

وقبل الخوض في تحليل ما قاله العلماء في هذا الشأن، لا بد من الإشارة مسبقًا إلى أمرين أساسيين هما:

1- أن المفسرين والعلماء - في حدود اطلاع الباحث- لم يطلقوا تعريفًا خاصًا ومحددًا لما يسميه الباحث "أدب الإعراض".

2- أن المفسرين والعلماء فسروا معنى الإعراض المحمود من خلال الآيات التي تدعو لهذا الأدب، وعليه لم يكن هنالك تعريفٌ جامعٌ مانعٌ لأدب الإعراض عندهم.

وبعد الإشارة إلى هذين الأمرين يسعى الباحث إلى محاولة استخلاص أهم ما ذكر من خلال التعريفات الآنفة الذكر والتي تلتقي مع أدب الإعراض بغية التوصل إلى تعريف محدد لهذا الأدب من خلال ما يأتي:

1- أدب الإعراض يدخل في عموم معنى خلق التَصوُّن الذي ذكره الجاحظ.

2- إن أدب الإعراض يتمثل في التحوُّل والانصراف عما يكون قبيحًا من الأقوال والأفعال إلى ما يكون محمودًا منها.

3- إن أدب الإعراض يلتقي مع مسميات أخرى لبعض الآداب كالتصون والمروءة، والفضل والتكرم ويشترك معها في مضامينها.

4- إن أدب الإعراض يبدو للباحث أنه أكثر شمولية في مضمونه مما ذكر من آداب كالتَصوُّن والمروءة والفضل والتكرم.

وعليه فإن الباحث يعرِّفُ أدب الإعراض بما يأتي:

أدب الإعراض: فضيلة تدعو صاحبها لكف نفسه عن مباشرة ما فيه إخلال بصلاح دينه ودعوته وكريم مقامه في معاشه ومعاده.

---

[1] القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. ت:684هـ: **الذخيرة**.14مج. تحقيق: محمد حجي. بدون ط. بيروت: دار المغرب. 1415هـ- 1994م. (202/10). والمغربي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن. ت: 954هـ: **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**. 6مج. ط2. بيروت: دار الفكر. 1398هـ- 1978م. (152/6).

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (108/5).

المبحث الثاني

أهمية الأدب وأنواعه ومجالاته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الأدب ومنزلته:

من خلال إنعام النظر في أحكام الإسلام وهداياته يُلْحَظُ أنها متلبسة بالأدب؛ إذ ليس من الممكن فصل الأدب عن أي شعيرة أو شِرعة من شرائع هذا الدين؛ ذلك لأن "أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب"[1]، وكل شرائع الإسلام جاءت لتحقيق سعادة الإنسان في الدارين.

وخير ما يبرز الأدب، ويجلّي أهميته كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وما ورثناه من علم وسمت السلف الصالح رضوان الله عليهم. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2]. قال علي بن أبي طالب ﷺ في تفسير هذه الآية: "علموهم أدبوهم"[3]، وهذا أمر من الله ﷻ لعباده بعمل ما فيه وقاية للنفس والأهل من النار، وهو الأدب والعلم كما فسره علي ﷺ.

وفي الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري[4] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أدّب الرجل أَمَتَه فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران..."[5]

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (407/2).

[2] سورة التحريم الآية: 6.

[3] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد. ت:310هـ: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 30مج. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الفكر. 1984م - 1405هـ. (165/28).

[4] هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار ، يكنى بأبي موسى الأشعري، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان ﷺ ،وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. انظر : : ابن حجر. أبا الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ت:852هـ: **تقريب التهذيب**. 1مج: تحقيق: محمد عوامة. ط1. سوريا: دار الرشيد. 1406هـ - 1986م. (ص: 318).

[5] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. ت: 256هـ: **الجامع الصحيح المختصر**. 6مج: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3. بيروت- لبنان: دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ - 1987م. كتاب: الأنبياء. باب: قوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا... ﴾ . رقم الحديث. (3262). (1271/3).

فقد قرن إحسان التعليم مع التأديب؛ "لأن التأديب والتعليم أكمل للأجر، إذ تَزَوُّجِ المرأة المُؤَدَّبَة المُعَلَّمَةِ أكثر بركة وأقرب إلى أن تعين زوجها على دينه"[1].

يقول ابن عبد ربه: "العلم والأدب فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا وفَرْق بين الإنسان وسائر الحيوان"[2].

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في التزام الأدب "وانظر أدب الصدِّيق ﷺ مع النبي ﷺ في الصلاة: أن يتقدم بين يديه، فقال: "ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ"[3]، كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده؟ فكان ذلك التأخر إلى خَلْفِهِ - وقد أومأ إليه أن اثبت مكانك - جَمْزًا[4] وسعيًا إلى قُدَّام. بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قُدَّام" تنقطع فيها أعناق المَطِّي"[5] والله أعلم"[6].

والناظر في عبارات السلف الصالح يلحظ بكل جلاء إدراكهم لقيمة الأدب ومنزلته، فقد قال عبد الله بن المبارك[7]:"من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب

---

[1] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد.ت: 855هـ: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**.12مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (119/2).

[2] ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي. ت: 328هـ: **تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين**. 1مج. تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم. بدون ط. مصر: مكتبة القرآن. (ص:19).

[3] انظر: البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الأحكام. باب: الإمام يأتي قومًا فيصلح بينهم. رقم الحديث: (6767). (2629/6). ومسلم، أبا الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت:261هـ: **صحيح مسلم**. 5مج .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بدون ط . بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب: الصلاة. باب: تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم. رقم الحديث. (421). (316/1).

[4] جَمْزًا: الجَمْز: هو العَدْو والإسراع من الإنسان، والوثب من الفرس. انظر: السعدي، أبا القاسم علي بن جعفر. ت:515هـ. **الأفعال**. 3مج. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1403هـ - 1983م. (151/1). والمطرزي: **المغرب**. (157/1).

[5] هذه المقولة قالها عبد الله بن المبارك لأبي إسحاق الطالقاني وهو يروي حديثًا عن شهاب بن خراش عن الحجاج بن دينار عن رسول الله ﷺ. والحجاج هذا من تابعي التابعين، فقال ابن المبارك: إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي؛ وفي ذلك استعارة تدل على انقطاع السند؛ فأقل ما يمكن أن يكون بين الحجاج وبين النبي ﷺ اثنان التابعي والصحابي فكان هناك انقطاع كبير في السند. انظر: النووي، أبا زكريا يحيى بن شرف بن مري. ت:676هـ: **صحيح مسلم بشرح النووي**. 9مج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ - 1972م. (88/1-89).

[6] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (408/2).

[7] ابن المبارك: هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي، المولود سنة 118هـ، اتصف بالزهد، وكثرة العبادة والتقوى، وسعة العلم، وكثرة السفر، وكان تاجرًا، توفي سنة 181هـ. انظر: الذهبي، أبا عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.ت: 748هـ: **تذكرة الحفاظ**. 4مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (274/1-279).

بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة"[1]، فيظهر أن التهاون في الأدب باب للشقاء ونافذة للحرمان، فلا بد من رياضة النفس بالأدب لتسهل قيادتها "لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة... وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يُكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدُّرْبَة والمعاطاة"[2].

إن المسلم مطالب بحمل نفسه على التزام الأدب في كل أحواله وأزمانه في ظاهره وباطنه "قال بعضهم: إلزم الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرًا، وما أساء أحد الأدب باطنًا إلا عوقب باطنًا"[3]، فما غرس المرء غرسًا إلا حصد مثله وهذا تأكيد لقاعدة "الجزاء من جنس العمل"[4].

ويظهر للباحث أن الأدب يأخذ هذه الأهمية والمنزلة الرفيعة؛ لأن في المحافظة على الأدب صيانةً وحفظًا للدين الذي هو أغلى ما يحوزه الإنسان، فقد قال الحسن البصري[5]:"يا ابن آدم دينك دينك؛ فإنه هو لحمك ودمك إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله فإنها نار لا تطفى وجرح لا يبرأ وعذاب لا ينفد أبدًا ونفس لا تموت"[6]. حقًا إنها عبارة تشف عن فهم سديد، وإيمان عميق بمكانة الدين في حياة الإنسان فهو مصدر كل خير في المعاش والمعاد، وكمال المرء يكون باجتماع الخلق والدين، فبهما يَسْعدُ ويدركُ الحَظوة في الدارين، ويكون عند الخالق والخَلْق محمودًا قال الشافعي(من الطويل):

"صُنِ النَّفسَ واحْمِلْهَا على ما يَزِيْنُها تَعِشْ سَالِمًا والقولُ فيكَ جَمِيْلُ"[7]

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (397/2).

[2] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. ت:450هـ: **أدب الدنيا والدين**. 1مج. تحقيق وتعليق: مصطفى السَّقا. ط4. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1398هـ - 1978م. (ص: 226).

[3] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (397/2).

[4] البصري أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي. ت:384هـ: **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**. 2مج. تحقيق: مصطفى حسين عبد الهادي. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2004م. (331/2). وابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت:751هـ: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. 4مج. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بدون ط. بيروت: دار الجبل. 1393هـ- 1973م. (196/1).

[5] الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار الأنصاري البصري، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، كان يرسل ويدلس، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة 110هـ وكان عمره قريبًا من التسعين. انظر: ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص:160).

[6] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. ت:430هـ: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. 10مج. ط4. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ- 1984م. (145/2).

[7] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس. ت204هـ: **ديوان الإمام الشافعي**. جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الجيل. مؤسسة الزعبي.(ص:70).

وقال الرّصافي (من البسيط):

"فاحْرِصْ عَلى أَدَبٍ تَحْيا النُّفُوْسُ بِهِ فإنَّما قِيْمَةُ الإِنسانِ بالأَدَبِ"[1]

المطلب الثاني: أنواع الأدب ومجالاته

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أنواع الأدب:

تعددت تقسيمات العلماء لأنواع الأدب، ومن ذلك قول بعض الحكماء: "الأدب أدبان: أدب شريعة، وأدب سياسة؛ فأدب الشريعة: ما أَدَّى الفرض، وأدب السياسة: ما عَمَر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان؛ لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خَرَّب الأرض فقد ظلم غيره"[2]، ويفهم من هذا التقسيم أن الأدب بنوعيه فيه صلاح للدين وللدنيا.

وقيل: "الأدب نوعان: نفسي وكسبي؛ فالنفسي: بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الأفعال الدالة على كرم الطباع. والكسبي؛ ما استفادته الأنفس من أحاسن الأقوال الآخذة بأعنة القلوب والأسماع"[3]، وفي هذه القسمة إشارة إلى طريقين يُتَحَصَّ على الأدب من خلالهما؛ فالطريق الأول هبة ربانية، والثاني كسب وسعي بشري.

الفرع الثاني: مجالات الأدب:

يمكن أن تقسم مجالات الأدب إلى الأقسام الآتية:

أولًا: الأدب مع الله تعالى:

عرَّفه ابن القيم بقوله: "هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا"[4]. ويفصِّل ابن القيم الأدب مع الله تعالى من خلال ثلاثة مرتكزات لا بد من اجتماعها، وهي:

- المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته.

---

[1] الرّصافي، معروف. ت: 1875هـ: **ديوان الرّصافي.** 1مج. ط6. بيروت، بغداد: دار مكتبة الحياة، محمود حلمي. (ص:265).

[2] الماوردي: **أدب الدنيا والدين.** (ص:136).

[3] الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين الكتبي.ت: 718هـ: **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة.** 1مج. بدون ط. بيروت: دار صعب. (ص:143).

[4] ابن القيم: **مدارج السالكين.** (403/2).

- المعرفة بالدين والشرع وما يحب ويكره.
- النفس اللينة المستعدة لتلقي الحق والإذعان له علمًا وعملًا وحالًا[1].

ومن أمثلة الأدب مع الله تعالى: أدب إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[2]، "ولم يقل: وإذا أمرضني؛ لأنه حَفِظَ أدبَ الخطاب"[3]، فقد عزا المرض لنفسه وإن كان يؤمن حق الإيمان أن المرض والموت والحياة وكل شيء بيد الله تعالى.

ولقد تأدب أيوب عليه السلام مع ربه عز وجل، فقال الله تعالى على لسان أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[4]، "فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء"[5]. والأمثلة على أدب الأنبياء عليهم السلام مع الله تعالى كثيرة وفيرة في كتاب الله عز وجل وما دمنا مأمورين أن نقتدي بهدى الأنبياء عليهم السلام فلا بد إذن من التأدب مع الله تعالى في الدعاء والقول والعمل والسر والعلن.

ثانياً: الأدب مع الرسول ﷺ:

لقد بيّن ابن القيم المقصود بالأدب مع الرسول ﷺ فقال هو: " كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق"[6]، ومن ذلك، قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[7] ، "وهذه الآية على إيجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه"[8]، فالسمع

---

[1] انظر: **المرجع السابق**. (403/2).

[2] سورة الشعراء الآية: 80.

[3] القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري. ت:465هـ: **تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**. 3مج. تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1420هـ - 2000م. (402/2).

[4] سورة الأنبياء الآية: 83.

[5] ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني الدمشقي. ت:728هـ: **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**. 3مج تحقيق: د. محمد السيد الجليند. ط2. دمشق- سوريا: مؤسسة علوم القرآن. 1404هـ- 1983م .(362/2).

[6] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (403/2).

[7] سورة النور الآية: 51.

[8] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي.ت: 606هـ: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**. 32مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ- 2000م. (21/24).

والطاعة لرسول الله ﷺ أدب وتوقير، قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1]، "قال ابن عباس: ويعزروه يعني الإجلال، ويوقروه يعني التعظيم"[2]، وكثيرة هي الآيات الدالة على وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ.

وعن أبي بكْرةَ رضي الله عنه قال: خطبَنَا النبي ﷺ يوم النَّحْرِ، قال: "أَتدْرونَ أَي يومٍ هذا؟ قلنا: الله ورسولُه أَعلم ... قال: أَيُّ شهرٍ هذا؟ قلنا: الله ورَسولُه أَعلم ... قال: أَيُّ بلدٍ هذا؟ قلنَا: الله ورسوله أَعلَم..."[3]، فإجابة الصحابة رضي الله عنهم تدل على درجة عالية من التأدب مع رسول الله ﷺ فهم وإن كانوا يعلمون الإجابة فإنهم لم يسارعوا إليها أدبًا مع رسول الله ﷺ وانتظارًا لما عساه أن يقول.

ومن صور الأدب مع الرسول ﷺ: لزوم إكرامه، وتعظيمه، وعدم التقدم بين يديه بالقول، والاستماع اليه وعدم رفع الصوت بين يديه ومناداته بأشرف ما يحب أن ينادى به وبعد موته ذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته وتعظيم أهل بيته وصحابته[4].

هذه بعض الأمثلة على صور الأدب مع النبي ﷺ وهي كثيرة يطول إحصاؤها وحصرها وليس هذا موضع بسطها وتفصيلها.

والتأدب مع الرسول ﷺ أساس السعادة والفلاح، وسوء الأدب معه يقترن به الشقاء والبوار والخسران، وهي الخيانة لأمانة الاتباع، "وإذا أخللت بسنة من السنن أو أدب من آداب الشرع فتلك خيانة الرسول ﷺ"[5].

ثالثًا: أدب النفس (تربيةً وتهذيبًا ورعايةً):

قال ابن القيم معَرِّفًا منزلة التهذيب والتصفية: "هو سَبْك[6] العبودية في كِيْرِ[7] الامتحان طلبًا لإخراج ما فيها من الخَبَثِ والغِشِّ"[8].

---

[1] سورة الفتح، الآية: 9.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (74/26).

[3] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الحج. باب: الخطبة أيام منى. رقم الحديث. (1654). (620/2).

[4] انظر: القاضي عياض أبا الفضل عياض بن موسى اليَحْصبي. ت:544هـ: **كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ. 1مج. قدَّم له وخرَّج أحاديثه: كمال بسيوني زغلول المصري. ط1. بيروت- لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية. 1416هـ-1995م. (30/2-35).

[5] القشيري: **لطائف الإشارات**. (390/1).

[6] سَبَكَ: أَذَابَ وَخَلَّصَ من الخَبَثِ. انظر السعدي: **الأفعال**. (141/2). والمطرزي: **المغرب**. (380/1). وابن منظور: **لسان العرب** (438/10).

[7] كِيْر: الكِيْر "كير الحداد: منفخه من زق أو جلد غليظ ذو حافات". الرازي: مختار الصحاح.(244/1).

[8] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (102/2).

"والمراد من تزكية النفس تطهيرها من نزعات الشر والإثم، وإزالة حظ الشيطان منها، وتنمية فطرة الخير فيها"[1].

قال تعالى في وصف العباد المتأدبين: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾[2] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾. "إشارة إلى المتصفين بما فُصِّ ... وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل"[3].

قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا ٧ فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[4] ، والمعنى:"أنماها بالعلم والعمل... أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه"[5]

يقول المحاسبي: "فاعرف يا أخي نفسك، وتفقد أحوالها، وابحث عن عقد ضميرها بعناية منك وشفقه منك عليها مخافة تلفها فليس لك نفس غيرها فإن هلكت فهي الطامة الكبرى والداهية العظمى"[6].

ويؤكد الغزالي ضرورةَ ترويض النفس على الطباع الجميلة والآداب الرفيعة، فيقول: "الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تَكَلُّف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعًا انتهاء"[7]. فلا بد إذن من تعهد النفس وترويضها؛ لتَسْلس قيادتها، وتصفى من كدرها، ولتكون نفسًا خيرةً زكيةً.

---

[1] الميداني، الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. 2مج. دمشق - سوريا: دار القلم.1420هـ - 1999م. (39/1).

[2] سورة الفرقان، الآيات: 63 - 76.

[3] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. ت:951هـ: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. 9مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (231/6).

[4] سورة الشمس، الايآت: 7 - 9.

[5] البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (496/5).

[6] المحاسبي، أبو عبد الله حارث بن أسد. ت:243هـ: **آداب النفوس**. 1مج. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الجيل. 1405هـ - 1984م. (ص:41).

[7] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد. ت: 505هـ: **إحياء علوم الدين**. 4مج. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. (59/3).

رابعًا: الأدب مع الخلق:

عرَّفه ابن القيم بقوله: "هو معاملتهم -على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم"[1]. والوالدان أولى الخلق أن يتأدب أولادهم معهم في الأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[2] "﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾: ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك. والنَّهْيُ والنَّهْرُ والنَّهْمُ أخوات،﴿ وَقُل لَّهُمَا ﴾ (بدل التأفيف والنهر)﴿ قَوْلًا كَرِيمًا ﴾: جميلاً ، كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة، وقيل : هو أن يقول: يا أبتاه، يا أماه، كما قال إبراهيم لأبيه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾[3]. مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفا وسوء الأدب"[4]، ففي الآية الكريمة تعليم وتأديب لما تقتضيه مكارم الأخلاق مع الوالدين.

والأدب يتعدى ليشمل ذوي الأرحام، فعن أَنس بن مالك ﷺ، قال: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: "من سَرَّه أَن يُبْسَطَ له في رزقه أو يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فليصل رحمَه"[5]، فصلة الرحم أدب مع الأقارب من الناس ومجلبة للخير في العاجل والآجل.

والأدب مطلوب مع عموم المسلمين، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾[6]، ومعنى: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، "رقيقة قلوب بعضهم لبعض لينة أنفسهم لهم هيِّنة عليهم لهم"[7] وهذا من الأدب وكرم الأخلاق.

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**. (406/2).

[2] سورة الإسراء، الآيتان: 23- 24 .

[3] سورة مريم ، الآية: 42.

[4] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. ت: 538هـ: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. 4مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (615/2).

[5] البخاري: **الجامع المختصر الصحيح**: كتاب: البيوع. باب: من أحب البسط في الرزق. رقم الحديث. (1961). (728/2). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها. رقم الحديث. (2557). (1982/4).

[6] سورة الفتح، الآية: 29.

[7] الطبري: **جامع البيان**. (109/26).

والتأدب مع الآخرين بحاجة إلى الصبر والحلم وسعة الصدر، وحمل النفس على المكاره "فما من شيء أدل على زكاة النفس في الإسلام من أدب العلاقات وليس هناك شيء أصعب على النفس من الأدب في بعض الأحوال لذلك كانت مجاهدة النفس لحملها على الكمال في أدب العلاقات من أعظم ما يطالب به المسلم"[1].

كما يجب أن يكون الحلال والحرام ميزاناً لهذا الأدب؛ "فإن آداب السلوك الاجتماعي يجب أن تكون منضبطة مع أوامر الدين ونواهيه، متقيدة بما أمر الله تعالى، منتهية عما نهى الله تعالى عنه في الكتاب العظيم والسنة المطهرة الصحيحة"[2].

وتوجيهات ديننا للتأدب مع الخلق وحسن المخالقة لهم على اختلاف درجات قربهم كثيرة ووفيرة وقد صنف بعض أهل العلم[3] في الأدب مع الخلق وحسن العشرة ما يغني وليس هذا مقام بسط هذه المسألة.

---

[1] حَوَّى، سعيد محمد ديب محمود النعيمي. ت: 1409هـ: **أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري**. ط1. دار الأرقم. 1403هـ - 1983م. (ص:20).

[2] العلي، إبراهيم محمد. ت:1425هـ: **صور من أدب السلوك الاجتماعي في الإسلام**. بدون ط. عمان - الأردن: دار النفائس للنشر. (ص:14 - 15).

[3] ولمزيد من التفصيل، انظر: الغَزّي، أبا البركات محمد بن محمد بن محمد. ت:984هـ: **آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة**. بدون ط.. واليمني، الحسين بن منصور بالله القاسم بن محمد بن علي. ت:1050هـ: **آداب العلماء والمتعلمين**. بدون ط. انظر الكتابين في: الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي. الإصدار الرابع.

المبحث الثالث

الإعراض في ضَوْء السياق القرآني

وفيه خمسة مطالب:

تشتمل على عَرْضٍ لصيغةِ ﴿ أَعْرَضَ ﴾ وملحوظات عامة لورود هذه الصيغة ومشتقاتها في القرآن الكريم، مع ذكر لفتات ولطائف لهذه الصيغة واشتقاقاتها، ثم عرض لمعاني الإعراض وأنواعه في القرآن الكريم.

المطلب الأول: عرض صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ في القرآن الكريم:

فيما يأتي عرض لصيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾على اختلاف اشتقاقاتها كما وردت في القرآن الكريم وسيقوم الباحث بعرض الآيات التي وردت فيها هذه الصيغة على اختلاف اشتقاقاتها وفقًا لتكرار ورودها في القرآن الكريم مرتبةً وفقًا لترتيب التلاوة من سورة الفاتحة حتى سورة الناس ذاكرًا رقم الآية، واسم السورة، ومكية الآية أو مدنيتها؛ وذلك للوقوف على التنوع الدلالي لمصطلح الإعراض في القرآن الكريم، وفيما يأتي بيان لذلك[1]:

المفردة وعدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	رقم الآية	بيان المكي والمدني من الآيات	المسند إليه
أَعْرَضَ	1-	أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ	الإسراء	83	مكية	الكافر

[1] انظر: صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ عند: عبد الباقي، محمد فؤاد. ت: 1388هـ: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.** 1مج. ط2. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1412هـ - 1992م. (ص:580-581).

(8 مرات)	2 -	ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا	الكهف	57	مكية	الكافر
	3 -	مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ	طه	100	مكية	المشرك
	4 -	وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِى	طه	124	مكية	الكافر
	5 -	ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ	السجدة	22	مكية	المشرك
	6 -	فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ	فصلت	4	مكية	الكفار
	7 -	أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ	فصلت	51	مكية	الكافر
	8 -	عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٍ	التحريم	3	مدنية	محمد ﷺ
أَعۡرَضۡتُمۡ (مرة واحدة)	9 -	فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ	الإسراء	67	مكية	الكفار
أَعۡرَضُوا	10	وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ	القصص	55	مدنية[1]	المؤمنون

[1] سورة القصص مكية، وقد أشار السيوطي إلى أن هذه الآية مدنية النزول وأنها نزلت لمّا قدم رهط من أهل الكتاب وأعلنوا إسلامهم أمام الرسول ﷺ تعرضوا للأذى ممن حولهم من الناس فنزلت الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ ... إلى قوله: ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴾ سورة القصص، الآيات: (52 -55). انظر: السيوطي، أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. ت:911هـ: **لباب النقول في أسباب النزول**. 1مج. بدون ط . بيروت- لبنان: دار إحياء العلوم. (ص:165).

(4 مرات)		أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ				
	11	فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا	سبأ	16	مكية	أهل سبأ (الكفار)
	12	فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ	فصلت	13	مكية	المشركون
	13	فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ	الشورى	48	مكية	المشركون
تُعۡرِض (مرة واحدة)	14	وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا	المائدة	42	مدنية	محمد ﷺ
تُعۡرِضَنَّ (مرة واحدة)	15	وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ	الإسراء	28	مكية	محمد ﷺ
تُعۡرِضُوا (مرتين)	16	وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ	النساء	135	مدنية	المؤمنون
	17	لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ	التوبة	95	مدنية	المؤمنون
يُعۡرِضۡ (مرة واحدة)	18	وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ	الجن	17	مكية	الكفار
يُعۡرِضُوا (مرة واحدة)	19	وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ	القمر	2	مكية	المشركون
أَعۡرِضۡ	20	فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	النساء	63	مدنية	محمد ﷺ
	21	فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	النساء	81	مدنية	محمد ﷺ

(11مرة)	22	فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	المائدة	42	مدنية	محمد ﷺ
	23	تَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ	الأنعام	68	مكية	محمد ﷺ
	24	وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	الأنعام	106	مكية	محمد ﷺ
	25	وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ	الأعراف	199	مكية	محمد ﷺ
	26	يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ	هود	76	مكية	إبراهيم عليه السلام
	27	يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا	يوسف	29	مكية	يوسف عليه السلام
	28	وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	الحجر	94	مكية	محمد ﷺ
	29	فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ	السجدة	30	مكية	محمد ﷺ
	30	فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا	النجم	29	مكية	محمد ﷺ
إِعۡرَاضًا	31	نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا	النساء	128	مدنية	الزوج (المؤمن)

(مرة واحدة)						
إِعۡرَاضُهُم (مرة واحدة)	32	وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ	الأنعام	35	مكية	المشركون
مُعۡرِضُون (14مرة)	33	وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ	البقرة	83	مدنية	أهل الكتاب (اليهود)
	34	ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ	آل عمران	23	مدنية	أهل الكتاب (اليهود)
	35	لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ	الأنفال	23	مدنية	المشركون
	36	وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ	التوبة	76	مدنية	المنافقون
	37	يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ	يوسف	105	مكية	المشركون
	38	وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ	الأنبياء	1	مكية	المشركون
	39	لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ ۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ	الأنبياء	24	مكية	المشركون
	40	وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ	الأنبياء	32	مكية	المشركون

	41	عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ	الأنبياء	42	مكية	المشركون
	42	وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ	المؤمنون	3	مكية	المؤمنون
	43	فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ	المؤمنون	71	مكية	المشركون
	44	إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ	النور	48	مدنية	المنافقون
	45	أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ	ص	68	مكية	المشركون
	46	وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ	الأحقاف	3	مكية	الكفار
مُعۡرِضِين (5مرات)	47 -	إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ	الأنعام	4	مكية	المشركون
	48 -	فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ	الحجر	81	مكية	قوم صالح الكافرون
	49 -	إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ	الشعراء	5	مكية	المشركون
	50 -	إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ	يس	46	مكية	المشركون
	51 -	فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ	المدثر	49	مكية	المشركون

المطلب الثاني: ملاحظات عامة لورود صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ومشتقاتها في القرآن الكريم:

الفرع الأول: الملحوظات الإحصائية:

1- عدد السور التي وردت فيها صيغة﴿ أَعْرَضَ ﴾ ومشتقاتها في القرآن الكريم واحد وثلاثون سورة، وهذا العدد يشكل ما نسبته 27.19% من سور القرآن الكريم عمومًا وفق التفصيل الآتي:

أ- وردت في ثلاث وعشرين سورة مكية بنسبة 26.74% منها.

ب- وردت في ثماني سور مدنية بنسبة 25.57% منها.

2- عدد مرات ورود صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ومشتقاتها في القرآن الكريم واحدٌ وخمسون موضعًا من خلال خمسين آية وفق التفصيل الآتي:

أ- في سبع وثلاثين آية مكية.

ب- في ثلاث عشرة آية مدنية.

3- المقصودون بصيغة الإعراض موزعون على واحدٍ وخمسين موضعًا في القرآن الكريم وفق الأعداد والنسب المُوَضَّحَة في الجدول الآتي:

المجموعة	الأفراد	عدد المواضع	مجموع المواضع	نسبة الأفراد	نسبة المجموعة	النسبة العامة
المؤمنون	إبراهيم عليه السلام	1	19	%1.96	%37.24	%37.24
	يوسف عليه السلام	1		%1.96		
	محمد ﷺ	12		%23.52		
	عامة المؤمنين	5		%9.80		
الكفار	المشركون	18	30	%35.29	%58.81	%62.73
	أهل الكتاب (اليهود)	2		%3.92		
	الكافرون عمومًا	10		%19.60		
المنافقون	المنافقون	2	2	%3.92	%3.92	

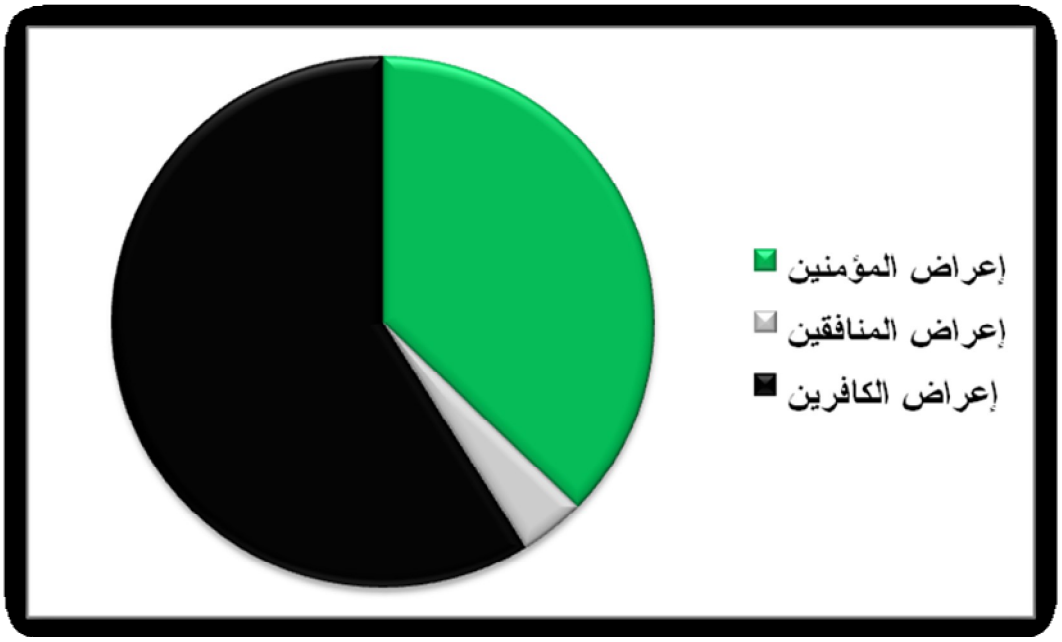

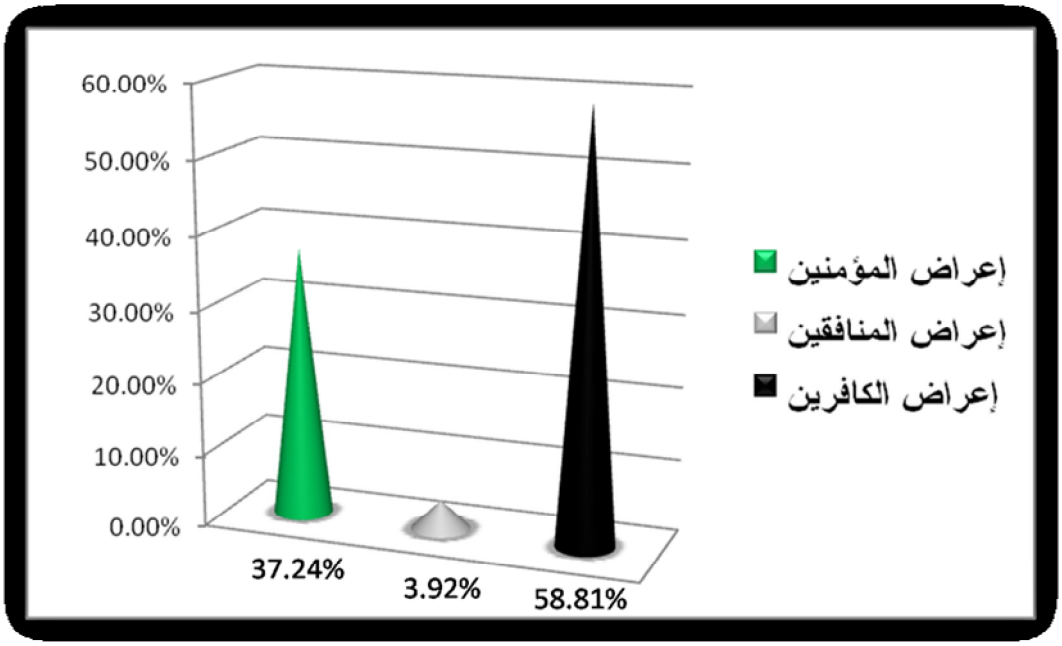

الفرع الثاني: الدلالات الإحصائية:

بعد إيراد هذه الملحوظات الإحصائية يمكن قراءة أبعادها الدلالية من خلال ملاحظة الأمور الآتية:

1 - إنَّ صيغة (الإعراض) ومشتقاتها وردت في عدد من السور يُشكل قريبًا من ربع عدد سور القرآن الكريم ، ولهذا الورود والحضور دلالة واضحة على أهمية الموضوع.

2 - أكثر نسبة لورود صيغة الإعراض بمشتقاتها كانت في السور والآيات المكية مما يشير إلى طبيعة تلك المرحلة:

أ - من حيث موقف المشركين الرافض والمُعْرِض عن الدين الجديد.

ب - ومن حيث طريقة الرسول ﷺ في التعامل مع نفوس وقلوب أُلِفت الوثنية، فكان إعراض الرسول عليه الصلاة والسلام مدخلًا وسبيلًا للولوج إلى القلوب المشركة، ونزعًا لفتيل المواجهة المادية مع الجاهلية في تلك المرحلة الدقيقة من الدعوة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يدلل على أن المرحلة المكية التي سبقت قيام دولة الإسلام كانت مرحلة تربية وتأديب وإعداد للنواة الصلبة من المسلمين الذين قامت على كواهلهم دولة الإسلام فيما بعد.

3 - انقسام المعرضين إلى مجموعتين أساسيتين هما:

أ - المؤمنون: من رسل وأفراد، فعلى صعيد الرسل هناك دلالة على أن الإعراض المحمود قد مارسه الأنبياء الذين سبقوا الرسول محمدًا ﷺ، وقد مارسه أيضًا الرسول محمد ﷺ القدوة والداعية، وكذلك المؤمنون وهذا النوع من الإعراض يشكل ما نسبته 37.24% من مواضع الإعراض الوارد باللفظ الصريح في القرآن الكريم.

ب -الكافرون:

1 - من المشركين في المرحلة المكية؛ وهو إعراض كفر وعناد وجحود واستكبار.

2 - وكذلك ظهر الإعراض من اليهود الكفار في المرحلة المدنية؛ ليدل على رفضهم وكراهيتهم للنبي ﷺ وللدين الجديد.

3 - إعراض الفئة (المنافقة) التي ظهرت في المدينة، وما إعراضهم إلا دليل على ما تمتلئ به قلوبهم من الكراهية والبغضاء لدين الإسلام مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقوم به يهود المدينة من دور كبير في تحريض المنافقين لإذكاء روح العداوة للإسلام.

ومحصلة هذا النوع من الإعراض (السلبي) تشكل ما نسبته 62.73% من مواضع الإعراض المذكور باللفظ الصريح في القرآن الكريم.

4 - عند إطلاق مصطلح الإعراض يكون المتبادر للذهن إعراض العصيان، وذلك راجع إلى أن أكثر الآيات التي تتحدث عن الإعراض كانت بهذا الخصوص.

5 - إن الإعراض في الجانب المحمود، وهو ما يطلق عليه الباحث (أدب الإعراض) كان أسلوبًا راقيًا في التعامل مع بعض الأشخاص والمواقف، وهو شكل من أشكال الاتصال غير اللفظي[1] وقد مورس في المرحلتين المكية والمدنية في مقامات معينة سيتم بحثها لاحقًا بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثالث: ملاحظات ولطائف ولفتات لورود صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ واشتقاقاتها في القرآن الكريم:

قام الباحث بتقسيم تصريفات صيغة ﴿ أَعْرَضَ ﴾ إلى خمسة أقسام هي:

أولًا: اسم الفاعل: وقد وردت هذه الصيغة تسع عشرة مرة على النحو الآتي:

1 - ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾: بصيغة جمع المذكر السالم، وقد وردت أربع عشرة مرة.

❖ ورد اسم الفاعل ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ ، مرة واحدة في حق المؤمنين، والتعبير باسم الفاعل المرفوع يدل على أصالة هذا الأدب عند المؤمنين ويدل على الثبات والاستمرار على تأدب المؤمنين بالإعراض عن اللغو، ويذكر السامرائي أن استخدام الصيغة الاسمية يدل على الحقيقة الثابتة[2]، واسم الفاعل﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ مرفوع؛ ويعد الرفع أقوى علامة إعرابية[3]، وفي ذلك دلالة على قوة تميز المؤمنين في إعراضهم عن اللغو.

❖ وردت صيغة اسم الفاعل ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾، ثلاث عشرة مرة في حق المخالفين والعصاة والكافرين، وفي ذلك دلالة واضحة ومؤشر على ما يتصف به هؤلاء من بُعْدٍ

---

[1] أورد الدكتور محمد الأمين موسى أحمد عددًا من تعريفات الاتصال غير اللفظي منها، أنه: "عبارة عن مرشح صامت له تأثير واسع على محيطنا الاجتماعي، إنه يمدنا بأسلوب في نقل الرسائل الاتصالية دون استخدام اللغة اللفظية. وربما يقوم الاتصال غير اللفظي بتدعيم الاتصال اللفظي أو يسلب جزءًا منه، وينظم العلاقات بالتأثير في تقديم التفاعل واستمراره". أحمد، الدكتور محمد الأمين موسى: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. 1مج. ط1، الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام. 1424هـ- 2003م. (ص:38). التعريف المذكور، نقلًا عن لوريل ج. دون Laurel J.Dunn من قسم علم النفس بكلية ميسوري الغربية (في الولايات المتحدة الأمريكية). انظر: **المرجع السابق**. (ص:38).

[2] انظر: السامرائي، الدكتور فاضل صالح: **التعبير القرآني**. 1مج. ط5. عمان - الأردن: دار عمار.1428هـ- 2007م. (ص:30).

[3] انظر: الورَّاق، أبا الحسن محمد بن عبد الله. ت:325هـ: **علل النحو**. 1مج. تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. ط1. الرياض - السعودية: مكتبة الرشد.1420هـ- 1999م. (ص: 229). و الأنباري، أبا البركات عبد الرحمن بن محمد النحوي.ت:577هـ:**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**. 2مج. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بدون ط. دمشق: دار الفكر. (713/2).

وتَولٍّ وإعراضٍ عن الحق، فالضلال والعصيان ملازم ومميز لهم فهو متأصل متجذر فيهم.

2 - ﴿ مُعْرِضِين ﴾: وقد ورد بهذه الصيغة (خمس) مرات؛ وجميع هذه الصيغ وردت في حق العصاة الكافرين، فهم قوم عادتهم الإعراض وهو حالهم على الدوام. فاستخدام اسم الفاعل له دلالتان هما:

1 - إنه يدل على دوام وقوع الحدث، يعني تكراره.

2 - إنه يدل على ثبات الوصف وعدم تحوله[1]، وهذا ينطبق على الكافرين.

ثانيًا: المصدر: ورد المصدر على صيغتين هما:

أ - ﴿ إِعْرَاضًا ﴾: ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[2].

استعمال المصدر تأكيدًا لفعل الإعراض وإلحاق التنوين بالمصدر للإبهام؛ أي نشوزًا أيَّ نشوز، أو إعراضًا أيَّ إعراض، والحكمة من التعبير بالمصدر هي تكرار الحدوث، أي أنه يصار إلى الصلح إذا تكرر النشوز أو الإعراض، مما يدل على أنه ليس أمرًا عابرًا.

ب - ﴿ إِعْرَاضُهُمْ ﴾: مصدر مضاف إلى ضمير الغائب ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾[3]، فالتعبير بالمصدر فيه دلالة التكثير لفعل الإعراض الصادر من المشركين، "ولعل التعبير بالإعراض دون التكذيب مع أن التسلية على ما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[4] كانت عنه

---

[1] انظر: هنداوي، الدكتور عبد الحميد أحمد: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**. 1مج. ط1. عمان. إربد- الأردن: جدارا للكتاب العالمي عالم الكتب الحديث. 1429هـ - 2008م. (ص:99).

[2] سورة النساء الآية: 128.

[3] سورة الأنعام الآية: 35.

[4] سورة الأنعام الآية: 34.

لتهويل أمر التكذيب"[1] الذي أدى إلى الإعراض، ولعل في هذا التهويل بيانًا لعِظَم المعصية وفي ذلك تحذير للمكذبين المعرضين.

ثالثًا: فعل ماض وقد ورد بثلاث صيغ هي:

أ- ﴿ أَعْرَضَ ﴾ ورد بهذه الصيغة (ثماني) مرات: وجميع المقصودين بهذه الصيغة هم عصاة ناكبون عن الحق والآيات والرسول ﷺ والنِّعَم... إلا صيغة واحدة جاءت عن الرسول محمد ﷺ تحدثت عن إعراضه بالغض عن بعض الحديث مع زوجه تكرمًا، واستعمال الماضي للدلالة على الثبوت والاستقرار وتحقق الوقوع للفعل الصادر.

ب- ﴿ أَعْرَضْتُمْ ﴾: فعل ماض مضاف إلى ضمير المخاطب، ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾[2]. فقد ورد الفعل ﴿أَعْرَضْتُم ﴾ مضافًا إليه ضمير المخاطب وفي ذلك تشنيع وزجر وتوبيخ؛ لأن سلوك الإعراض في هذا المقام ينبئ عن نفوس جاوزت الحد في كفران نعمة النجاة، وأساءت الأدب بعدم الشكر.

ج-﴿ أَعْرَضُوا ﴾: فعل ماض اتصلت به واو الجماعة. ورد بهذه الصيغة (أربع) مرات في القرآن الكريم هي:﴿ أَعْرَضُوا ﴾[3] ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾[4] ﴿ أَعْرَضُوا ﴾[5] ﴿ أَعْرَضُوا ﴾[6].

- الصيغة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾[7]. وردت هذه الصيغة في الإعراض المحمود، فكان التعبير بالماضي؛ إشارة إلى استقرار هذا الأدب وثباته في نفوس المسلمين، فإذا ما سمعوا اللغو أعرضوا لأن "أدب أهل الإسلام الإعراض عنه"[8].

---

[1] الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. ت: 1270هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. 30مج. بدون ط . بيروت: دار إحياء التراث العربي. (138/7).

[2] سورة الإسراء الآية: 67.

[3] سورة القصص الآية: 55.

[4] سورة سبأ الآية: 16.

[5] سورة فصلت الآية: 13.

[6] سورة الشورى الآية: 48.

[7] سورة القصص، الآية :55.

[8] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. 5مج. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.1413هـ - 1993م. (292/4).

- وبقية الصيغ: منها صيغة واحدة عن أمةٍ سابقة وهم أهل سبأ[1]، وهذا للتحذير والتنبيه من عاقبة الإعراض. والصيغتان الأخريان تحكيان إعراض الكافرين ووصف حالهم وما اتصفوا به وما آل أو سيؤول إليه مصيرهم، فاستعمال صيغة الفعل الماضي في هذه المواطن ليدل على معنى التحقق[2].

رابعًا: فعل مضارع: وقد ورد على خمس صيغ هي:

أ- ﴿ تُعۡرِضۡ ﴾: ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا ﴾[3]. لقد خُيِّرَ الرسول ﷺ بين الحكم أو عدمه بين اليهود فجاءت الآية الكريمة "بيانًا لحال الأمرين إثر تخييره ﷺ بينهما، وتقديمُ حال الإعراض للمسارعة إلى بيان أن لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر"[4].

ب- ﴿ تُعۡرِضَنَّ ﴾: فعل مضارع مُسْنَد إلى ضمير المخاطب اتصلت به نون التوكيد الثّقيلة ورد مرة واحدة في حق الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ﴾[5]. فجاء الفعل بصيغة المخاطب مع التأكيد.

ج- ﴿ تُعۡرِضُواْ ﴾: ورد بهذه الصيغة (مرتين) في القرآن الكريم هما: قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ ﴾[7]. جاء الفعل بصيغة المضارع للمخاطب لتقرير الأمر في الأذهان

---

[1] سَبَأ: "بفتح أوله وثانيه وهمز آخره وقصره أرض باليمن، مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان... وكان اسم سبأ عامرًا وإنما سمي سبأ؛ لأنه أول من سبى السبي... ويقال: سبأ رجل ولد عشرة بنين فسميت القرية باسم أبيهم". الحموي: **معجم البلدان**. (181/3).

[2] موسى، الدكتور محمد السيد: **الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم دراسة وتطبيق**. 1مج. ط1. المنصورة- مصر: مكتبة الإيمان. 1427هـ - 2006م. (ص: 22).

[3] سورة المائدة الآية: 42.

[4] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (39/3).

[5] سورة الإسراء الآية: 28.

[6] سورة النساء الآية: 135.

[7] سورة التوبة الآية: 95.

سواء أكان في الحال أم المستقبل؛ وذلك لأن الفعل المضارع "صالح للحال والاستقبال"[1] فهو يفيد معنى التجدد والحدوث والتكرر.

د -﴿ يُعۡرِضۡ ﴾: ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴾[2]. استعمال الفعل المضارع هنا للإشارة إلى أنه متى تحقق وتجدد فعل الإعراض عن ذكر الله فإن الشقاء ملازم له في كل وقت وحين.

هـ- ﴿ يُعۡرِضُوا ﴾: فعل مضارع ورد بهذه الصيغة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾[3]، استعمال المضارع؛ ليصور حال المعرضين عن التفكر في الآيات والإيمان بالله تعالى، وأن هذا السلوك الإعراضي هو ديدنهم وصفتهم الملازمة لهم في الحال والاستقبال.

خامسًا: فعل أمر: ورد على صيغتين هما:

أ- ﴿ أَعۡرِضۡ ﴾: وقد ورد بهذه الصيغة (إحدى عشرة) مرة:

ورد فعل الأمر ﴿ أَعۡرِضۡ ﴾ موجهًا ليوسف وإبراهيم عليهما السلام مرة واحدة لكل منهما، وللرسول محمد ﷺ تسع مرات بالإعراض عن المخالفين بأصنافهم المختلفة من جاهلين -"فقد أُمِرَ بالإعراض عن الجاهلين وهو أيسر من الإحسان إلى من أساء"[4] -، ومشركين وأهل كتاب كل ذلك في معرض التوجيه والتأديب والتشريع.

---

[1] السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. ت:911هـ: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. 3مج. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بدون ط. مصر: المكتبة التوفيقية. (36/1).

[2] سورة الجن الآية: 17.

[3] سورة القمر الآية: 2.

[4] السامرائي: **التعبير القرآني**. (ص: 142).

ب- ﴿ فَأَعْرِضُوا ﴾: فعل أمر ورد بهذه الصيغة (مرتين) في القرآن الكريم هما: قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾[2]، والأمر للجماعة بالإعراض في الآية الأولى: عن تعيير من وقعا في جريمة الزنا ثم تابا وأصلحا، والآية الثانية: في المنافقين، وفي الآيتين أدب راقٍ وضرب من الحكمة يعلِّمها الله تعالى للمسلمين حيث "ترد صيغة الأمر بمعنى: التأديب والتمرين على حسن الأدب"[3].

المطلب الرابع: معاني الإعراض في القرآن الكريم:

تعددت المعاني التي وردت للفظ﴿ أَعْرَضَ ﴾ وتصريفاتها في السياق القرآني وفيما يأتي عرض هذه المعاني:

1 - ترك المجالسة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[4] والمعنى: القيام من عندهم وترك مجالستهم[5].

2 - عدم الالتفات وعدم الإصغاء:

---

[1] سورة النساء الآية: 16.

[2] سورة التوبة الآية: 95.

[3] الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. ت: 478هـ: **البرهان في أصول الفقه**. 2مج. تحقيق: د.عبد العظيم محمود الديب. ط4. المنصورة- مصر: الوفاء. 1418هـ- 1997م. (218/1). وانظر: عباس، الدكتور فضل حسن. ت: 1432هـ: **البلاغة فنونها وأفنانها**. 1مج. ط2. عمان- الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1409هـ - 1989م. (ص:151).

[4] سورة الأنعام الآية: 68.

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (228/7). والزمخشري: **الكشاف**. (34/2). وابن عاشور: **التحرير والتنوير** (289/7).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[1]، قال الطبري: "لم يصغوا إليه ولم يستمعوه"[2]. وقال تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3]، والمعنى: عدم الالتفات والاحتفال بما يقول المشركون من باطل[4].

4 - ترك المجادلة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾[5]، والمراد بالإعراض هنا ترك المجادلة والمراجعة والخصومة[6].

5 - الترفع عن المسافهة:

قال تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[7]، والمقصود الترفع عن المكافأة والمسافهة والمماراة[8].

6 - الصفح:

قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[9]، ففي الآية الكريمة أمر بالتجاوز والصفح وعدم المؤاخذة[10].

7 - السكوت وعدم النفع والإعطاء:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا ﴾[11]

---

[1] سور القصص الآية: 55.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (91/20).

[3] سورة الأنعام الآية: 106.

[4] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (440/2). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (171/3).

[5] سورة هود الآية: 76.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (80/12). والبغوي، أبا محمد الحسين بن مسعود. ت:516هـ: **تفسير البغوي** الموسوم بـ**(معالم التنزيل)**. 4مج. تحقيق: خالد عبد الرحمن العك. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. (394/2). وابن عطية : **المحرر الوجيز**. (193/3)

[7] سورة الأعراف الآية: 199.ب

[8] انظر:السمعاني: **تفسير القرآن**. (242/2). والزمخشري: **الكشاف**. (179/2).

[9] سورة النساء الآية: 81.

[10] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (571/1). وابن كثير، أبا الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي. ت:774هـ: **تفسير القرآن العظيم**. 4مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. 1401هـ - 1981م. (530/1).

[11] سورة الإسراء الآية: 28.

ذكر البغوي في سبب نزول هذه الآية: أنها نزلت في عدد من فقراء الصحابة كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياءً منهم، ويسكت[1]. "وجُوِّزَ أن يكون الإعراض كناية عن عدم النفع وترك الإعطاء لأنه لازمه عرفًا والابتغاء مجازًا عن عدم الاستطاعة "[2].

8 - الامتناع عن الحكم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا ﴾[3]، ففي الآية تخيير لنبيه ﷺ بين الحكم أو عدمه بين أهل الكتاب[4].

9 - الكف عن التعيير:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾[5]، والمراد عدم إيذاء الزناة وتعييرهم والإغضاء عنهم والستر عليهم[6].

10 قلة المحادثة والمؤانسة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا ﴾[7]. وفُسِّرَ إعراض الزوج هنا: بالإقلال من المحادثة والمؤانسة مع زوجته[8].

11 التغافل:

---

[1] انظر:البغوي: **معالم التنزيل**. (112/3). وما ذكر في سبب النزول لم يرد مسندًا في أيٍّ من كتب التفسير والحديث، ولذا فإنه لا يقطع به ولا يبنى عليه حكم.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**. (64/15).

[3] سورة المائدة الآية: 42.

[4] انظر: الواحدي، أبا الحسن علي بن أحمد. ت: 468هـ: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. 2مج. تحقيق: صفوان عدنان داودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1415هـ- 1994م. (320/1). والآلوسي: **روح المعاني**. (141/6). والشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ت:1250هـ: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**. 5مج. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر. (42/2).

[5] سورة النساء الآية: 16.

[6] انظر: القرطبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ت: 671هـ: **الجامع لأحكام القرآن**. 20مج. بدون ط. القاهرة: دار الشعب. (90/5). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (160/2).

[7] سورة النساء الآية: 128.

[8] انظر: السمرقندي، أبا الليث نصر بن محمد بن أحمد. ت: 367هـ: تفسير السمرقندي الموسوم بـ (**بحر العلوم**). 3مج. تحقيق: د. محمود مطرجي. بدون ط. بيروت: دار الفكر. (369/1). والزمخشري: **الكشاف** (604/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (239/2).

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ [1]، والإعراض هنا التكرم بالتغافل عما بدر من حفصة رضي الله عنها [2].

12 الكتمان:

قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾[3]، والمعنى أمر ليوسف عليه السلام بالكتمان وعدم الإشاعة لحادثة المراودة[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[5].

والإعراض هنا كتمان الشهادة وتركها، ذكر ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدّي، وهو ما رجحه الطبري وَعَدَّهُ الأَوْلى بالصواب[6].

13 الكفر:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾[7]، أي الامتناع عن التصديق والإيمان وهذه هي حقيقة الكفر[8].

وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾[9]، وإعراض قوم سبأ كان تكذيبًا للحق الذي جاءت به الرسل[1].

---

[1] سورة التحريم الآية: 3.

[2] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (1112/2). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (472/5). والنسفي، أبا البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. ت: 710هـ: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. 2مج. ضبطه وخَرَّج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1415هـ- 1995م. (701/2).

[3] سورة يوسف الآية: 29.

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (197/12). والزمخشري: **الكشاف**. (435/2). وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (477/2). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (270/4). والآلوسي: **روح المعاني**. (224/12).

[5] سورة النساء الآية: 135.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (323/5- 324).

[7] سورة الأنعام الآية: 35.

[8] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (173/7). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (405/2).

[9] سورة سبأ الآية: 16.

ومن المفسرين من فسر الإعراض في هذه الآية بالإعراض عن الشكر[2].

ويرى الباحث أن لا تعارض بين الكفر وترك الشكر؛ فإن عدم الشكر كفران بالنعم. وفسر الآلوسي الإعراض هنا بأنه: إعراض عن الشكر حيث قال: "ويدخل فيه الإعراض عن الإيمان؛ لأنه أعظم الكفر والكفران"[3].

14 التكذيب والاستهزاء:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[4]. أي إعراض سخرية وتكذيب واستهزاء[5].

15 العناد والاستكبار:

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[6]، أي إعراض استكبار وعناد[7].

16 الغفلة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[8]، ومعنى الإعراض هنا اللهو والغفلة عن الله تعالى[1].

---

[1] انظر: ابن زمنين أبا عبد الله محمد بن عبد الله ت:399هـ: **تفسير القرآن العزيز**. 5 مج. تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز. بدون ط. مصر - القاهرة: الفاروق الحديثة. 1423هـ - 2002م. (12/4). وابن الجوزي، أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت: 597هـ: **زاد المسير في علم التفسير**. 9مج. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ - 1983م. (444/6). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (285/4). وأبا حيان الأندلسي محمد بن يوسف. ت:745هـ: **البحر المحيط**. 9مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور زكريا عبد المجيد النوقي والدكتور أحمد النجولي الجمل. ط1. لبنان - بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ-2001م. (259/7).

[2] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (497/4). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (127/7). والآلوسي: **روح المعاني**. (126/22).

[3] الآلوسي: **روح المعاني**. (126/22).

[4] سورة الشعراء الآية: 5.

[5] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (306/3). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (104/24). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (234/6).

[6] سورة فصلت الآية: 4.

[7] الطبري: **جامع البيان**. (91/24). والبغوي: **معالم التنزيل**. (107/4).

[8] سورة الأنبياء الآية: 42.

17 -الإخلال بالعهد والميثاق:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[2]

الآية في اليهود؛ ومعنى إعراضهم هنا الإخلال بالمواثيق والعهود[3].

المطلب الخامس: أنواع الإعراض في القرآن الكريم:

بعد استقراء الباحث للنصوص القرآنية ذات العلاقة بموضوع الإعراض والمعرضين وجد أنها تنقسم بحسب نوع الإعراض إلى نوعين أساسيين هما: الإعراض المحمود والإعراض المذموم، وفق البيان الموجز الآتي:

أولًا: الإعراض المذموم:

هذا النوع من الإعراض كان الأكثر ورودًا في القرآن الكريم، فقد أشار القرآن إلى أسبابه ومظاهره وعواقبه، ويشير الباحث إلى بعض من ذلك بصورة مقتضبة إذ تفصيل هذا الأمر يطول شرحه وبيانه وليست هذه الدراسة مكان بسطه وتفصيله.

الفرع الأول: أهم أسباب الإعراض المذموم:

يمكن للباحث إيراد أهم أسباب الإعراض المذموم التي تكلم عنها القرآن الكريم في النقاط الآتية:

1 - الإصرار على الكفر:

وذلك برفض الهداية والإيمان، وسلوك طريق مخالف لهدي المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[4]، قال الطبري: "فإن أعرض هؤلاء

---

[1] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (291/11). والآلوسي: **روح المعاني**. (51/17).

[2] سورة البقرة الآية: 83.

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (393/1). والسمرقندي: **بحر العلوم**. (96/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (123/1).

[4] سورة الشورى الآية: 48.

المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم إليه من الرشد فلم يستجيبوا لك وأبوا قبوله منك فدعهم"[1].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[2].

قال الشوكاني: "المراد بالأكثر هنا الكفار أي فأعرض الكفار عما اشتمل عليه من النِّذارة (فهم لا يسمعون) سماعًا ينتفعون به لإعراضهم عنه"[3].

2 - الاستكبار والاستهزاء:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[4]

قال أبو السعود: "جددوا إعراضًا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء وإصرارًا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال"[5].

3 - الغفلة:

قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[6]. قال الطبري: "وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنوِّ محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك ، فتركوا الفكر فيه والاستعداد له"[7].

الفرع الثاني: من مظاهر الإعراض المذموم:

لقد تعرض القرآن الكريم للحديث عن مظاهر الإعراض المذموم، ومِنْ أهمها ما يأتي:

1 - هجر القرآن الكريم وعدم تدبر آياته:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[8].

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (25/43 -44).

[2] سورة فصلت الآيتان:3 - 4.

[3] الشوكاني: **فتح القدير**. (505/4).

[4] سورة الشعراء الآية: 5.

[5] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (234/6).

[6] سورة الأنبياء الآية: 1.

[7] الطبري: **جامع البيان**. (1/17).

[8] سورة طه الآية: 124.

قال الشوكاني: "أي عن ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه ولم يتبع هداي"[1]، فالإعراض عن الذكر شامل لمعنى الإعراض عن تعلم القرآن والعمل بما فيه من أحكام وشرائع وشعائر ورفض لاستماع مواعظه وقصصه وعبره وكل ما حوى.

2 - رفض الاحتكام لشريعة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[2].

قال الطبري: "إذا دُعِيَ هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله إذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله ﷺ"[3].

3 - عدم الشكر على النعم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾[4].

قال النسفي: "هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أَبْطَرَتْهُ[5] النعمة، فنسي المُنْعِمَ وأعرض عن شكره"[6].

الفرع الثالث: عاقبة الإعراض المذموم:

يجد الباحث أن القرآن الكريم قد بين عاقبة العصاة المعرضين، ويمكن بيان هذه العاقبة من خلال ما يأتي:

1 - العاقبة الدنيوية: ضنك العيش

قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[7]. فضنك العيش ما كان شديدًا ضيقًا[8].

---

[1] الشوكاني: **فتح القدير**. (391/3).

[2] سورة النور الآية: 48.

[3] الطبري: **جامع البيان**. (156/18).

[4] سورة فصلت الآية: 51.

[5] أَبْطَرَتْهُ: "أَبْطَرَهُ أي أدهشه وقيل: البَطَرُ الطغيان في النعمة". ابن منظور: **لسان العرب** (68/4).

[6] النسفي: **مدارك التنزيل**. (502/2).

[7] سورة طه الآية: 124.

[8] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (225/16). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (253/6).

قال القشيري: "من أعرض عن الانخراط في قضايا الوفاق انثالت[1] عليه فنون من الخذلان، ومن أعرض عن استدامة ذكره سبحانه بالقلب توالت عليه من تفرقة القلب ما يسلب عنه كل رَوْحٍ، ومن أعرض عن الاستئناس بذكره انفتحت عليه وساوس الشيطان، وهواجس النفس بما يوجب له وحشة الضمير وانسداد أبواب الراحة والبسط"[2].

2 - العاقبة الأخروية:

أ - حَشْرُ المُعْرِضِ أعمى: أي أعمى البصر لا يرى شيئًا[3] لقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[4].

ب - العذاب الصَّعَد لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[5]. عن ابن عباس ومجاهد في تفسير﴿صَعَدًا ﴾: "مشقة من العذاب"[6]، وذلك "لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه"[7].

ثانيًا: الإعراض المحمود:

وهذا النوع من الإعراض هو الأقل ورودًا في القرآن الكريم بالمقارنة مع الإعراض المذموم فقد بلغت نسبة ما يشكله 37% من المواضع التي ذكر فيها الإعراض بلفظه الصريح، والذي يظهر للباحث أن الغالب على آيات هذا النوع طابع التوجيه والتأديب والتربية الربانية للرسول ﷺ وللمؤمنين، ومن هنا كانت التسمية لهذه الدراسة "أدب الإعراض" من هذا المنطلق، وبناءً على هذا الفهم. والفصول القادمة من هذه الرسالة تُجَلّي هذا الأدب من جوانبه المتعددة بعون الله وتوفيقه.

---

[1] انْثَالَتْ: انْثَالَ: تَتَابَعَ وَكَثُرَ. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (95/11).

[2] القشيري: **لطائف الإشارات**. (281/2).

[3] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي. ت:1393هـ: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**.9مج. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بدون ط. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1415هـ- 1995م. (127/4).

[4] سورة طه الآية: 124.

[5] سورة الجن الآية: 17.

[6] الطبري: **جامع البيان**.(116/29).

[7] الزمخشري: **الكشاف**. (631/4).

المبحث الرابع

نظائر الإعراض في القرآن الكريم

الفرع الأول: النظير في اللغة:

النظير: "المثل، وقيل: المثل في كل شيء، والنظير:... النّد والنّديد... والجمع النظائر في الكلام والأشياء كلها"[1].

الفرع الثاني: الوجه في اللغة:

الوجه: "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء ، والوجه مستقبل لكل شيء... وربما عبر عن الذات بالوجه"[2].

الفرع الثالث: الوجوه والنظائر في الاصطلاح:

"معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فإذن النظائر: اسم للألفاظ والوجوه: اسم للمعاني"[3].

"فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأُمَّةِ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة"[4].

ويعرض الباحث ألفاظًا وردت في القرآن الكريم تناظر لفظ الإعراض وهي: التولي والإباء، والصد، والصدف(أوالصدوف)، والصفح، والصَّعَر، والهجر، والاعتزال، وذره تركًا والعفو، والغض، والزهد.

وسيقوم الباحث بالتعريف بهذه النظائر في اللغة والاصطلاح مع التعرض لبيان وجه الشبه بينها وبين لفظ الإعراض ما أمكن والإشارة إلى عدد ورود كل لفظ والإشارة إلى دلالات هذا الورود في القرآن الكريم مع إيراد أمثلة موضحة من القرآن الكريم.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**. (219/5).

[2] ابن فارس: **مقاييس اللغة**.(88/6).

[3] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت:597هـ: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. 1مج. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط1. بيروت - لبنان: 1404هـ- 1984م. (ص:83).

[4] الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله. ت:794هـ: **البرهان في علوم القرآن**. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. 1391هـ- 1971م. (102/1).

المطلب الأول: التولي:

الفرع الأول: التولي في اللغة:

"وَلَيّتُ... أَقْبَلْتُ... وإذا عُدي بعن لفظًا أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض وترك قربه"[1].

"وولى الشيء وتولى: أدبر عنه أو نأى"[2] "وتولى عنه أعرض وولى هاربًا أدبر"[3].

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن للتولي في اللغة معنيين: هما: الإقبال، والإعراض مع الإدبار والبعد، وكما قال الراغب:"قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار"[4].

الفرع الثاني: التولي في الاصطلاح:

عَرَّفه المناوي بقوله: "التولي: الإعراض المتكلف بما يفهمه التفعل، ذكره الحرالي[5،6].

ومن وجوه التولي[7]:

1 - تولى بمعنى انصرف والمصدر انصراف.

2 - تولى بمعنى أبى والمصدر إباء.

---

[1] الراغب الأصفهاني: **المفردات.** (ص:548).

[2] ابن منظور: **لسان العرب.** (414/15).

[3] الرازي: **مختار الصحاح.** (ص:306).

[4] الراغب الأصفهاني: **المفردات.** (ص:548).

[5] الحَرَّالي: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الأندلسي، من حَرَّالَة من أعمال مَرْسِيّه، ولد بمراكش، شارك في عدة فنون، من مؤلفاته شرح الأسماء الحسنى، اتصف بالحلم، مات سنة 637هـ، وقيل: سنة 738هـ. انظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. ت:748هـ: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** 52مج. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. ط1. لبنان- بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ - 1987م. (336/46). والسيوطي، أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، ت:911هـ: **طبقات المفسرين.** 1مج. تحقيق: علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة. 1396هـ - 1976م. (ص:76- 77). والأدنر وي أحمد بن محمد. ت: ق.11: **طبقات المفسرين.** 1مج. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. ط1. السعودية: مكتبة العلوم والحكم. 1417هـ - 1997م. (ص: 273 -274).

[6] المناوي: **التعاريف.** (ص:216).

[7] انظر: الدامغاني، أبا عبد الله الحسين بن محمد، ت:478هـ: **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز.** 1مج. تحقيق: عربي عبد الحميد علي. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ- 2003م. (ص:143). وابن الجوزي: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.** (ص:216).

3 - تولى بمعنى أعرض والمصدر إعراض.

4 - تولى بمعنى انهزم والمصدر انهزام.

وعند الحديث عن الفرق بين التولي والإعراض يجد الباحث أن العلماء قد انقسموا في التفريق بينهما على النحو الآتي:

فقيل: التولي والإعراض بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ[1]. وقيل: التولي يكون بالجسم[2] والإعراض يكون بالقلب[3].

فالمتولي والمعرض بينهما نقطة التقاء هي ترك المنهج والطريق، وبينهما نقطة افتراق هي أن المتولي أقرب للعَوْد والرجوع، وأما المعرض فبحاجة إلى طلب جديد لعُسْر العودة عليه وإذا اجتمع التولي والإعراض فذاك منتهى الذم[4].

الفرع الثالث: التولي في القرآن الكريم:

وقد وردت مادة (و ل ي) بمشتقاتها في القرآن الكريم في (233) موضعًا وذلك في (55) سورة من خلال (205) آيات.

ولعل هذا الورود بهذا العدد الكبير يشف عن أمرين هما:

1 - أن مسألة التولي تحوز على اهتمام قرآني كبير.

2 - تعكس صورة واضحة للحركة والتفاعل سواء أكان موافقًا أم معارضًا وذلك في المرحلتين المكية والمدنية.

---

[1] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (17/2). وابن عادل، أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. ت:880هـ. **اللباب في علوم الكتاب**. 20مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ- 1998م. (244/2). والآلوسي: **روح المعاني** (310/1). والشوكاني: **فتح القدير**. (108/1).

[2] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (517/1). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (17/2). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (448/1).

[3] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (17/2). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (448/1). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (244/2). والآلوسي: **روح المعاني** (310/1).

[4] انظر: ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (244/2). والكفوي: **الكليات**. (ص:28). والآلوسي: **روح المعاني**. (310/1).

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[1]. "أي كذب بآيات الله وأعرض عن الحق"[2].

المطلب الثاني: الإِباء:

الفرع الأول: الإباء في اللغة:

للإباء معان لغوية متعددة هي:

أولًا: الترك : "أَبى فلان يأبى إِباءً؛ أي ترك الطاعة ومال إلى المعصية، قال الله ﷻ: ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾[3] ووجه آخر: كل من ترك أَمْرًا وَرَدَّهُ فقد أبى "[4].

ثانيًا : شدة الامتناع: "(أَبى) الهمزة والباء والياء يدل على الامتناع ... والإباء أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله، فتقول: ما هذا الإباء بالضم والكسر؟"[5]. "فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء "[6]. "والأبية من الإبل: التي ضربت فلم تلقح كأنها أبت اللقاح "[7].

ثالثًا : الكراهية: "وأخذه أُباء من الطعام؛ أي كراهية له"[8].

ويلحظ الباحث أمرين هما:

1. الإباء له أصل حسي يتمثل في امتناع الإبل عن اللقاح، وله دلالة معنوية تتمثل في الترك والكراهية لشيء ما وهذا يترجم على أرض الواقع لفعل سلوكي وهو شدة الامتناع .
2. لا يوجد تضارب بين هذه المعاني فكل منها يسلم للأخر ويتجاوب معه ليعطي في المحصلة معنى الامتناع الشديد.

---

[1] سورة القيامة الآية:32.

[2] السمعاني: **تفسير القرآن** (109/6).

[3] سورة طه الآية: 56.

[4] الفراهيدي: **العين**. (418/8).

[5] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. (45/1).

[6] الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:18).

[7] ابن منظور: **لسان العرب**. (5/14).

[8] **المرجع السابق**. (5/14).

الفرع الثاني: الإباء في الاصطلاح:

عرَّفه الرازي بقوله:"الإباء : هو الامتناع مع الاختيار"[1].

وفي معرض التفريق بين الإباء والإعراض بناءً على ما سبق يرى الباحث أن الإباء أشدّ وأقوى شدة من الإعراض، وذلك للأسباب الآتية:

1 -أن معنى الإباء يعكس مدلول العمق والرسوخ في نفس من يتصف به .

2 -اقتران الإباء بالاستكبار والكفر والتكذيب، وهي جميعًا مفاهيم ذات دلالة قوية على معنى الشدة والغلبة والتمكن، كل ذلك يؤكد قوة التعبير بالإباء على معنى الامتناع والترك مقارنة مع الإعراض الذي هو أقل شدة منه.

الفرع الثالث: الإباء في القرآن الكريم ودلالات وروده:

وقد وردت لفظة (أبى) ومشتقاتها في اثنتي عشرة آية من خلال ثماني سور في ثلاثة عشر موضعًا . من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

قال الرازي: "فبَيَّن تعالى أنه (أي إبليس) لم يسجد مع القدرة وزوال العذر، بقوله: أبى؛ لأن الإباء هو الامتناع مع الاختيار... فبين تعالى أن ذلك الإباء كان على وجه الاستكبار، بقوله: ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ ، ثم كان يجوز أنه يوجد الإباء والاستكبار مع عدم الكفر، فبين تعالى أنه كفر، بقوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾"[3]. وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾[4].

"أي قبول الآيات أو الحق أو الإيمان والطاعة؛ أي امتنع عن ذلك غاية الامتناع، وكان تكذيبه وإباؤه عند الأكثرين جحودًا واستكبارًا وهو الأوفق بالذم"[5].

---

[1] الرازي : **مفاتيح الغيب**. (215/2 -216). وانظر: الكفوي: **الكليات**. (ص:28).

[2] سورة البقرة : الآية : 34.

[3] الرازي : **مفاتيح الغيب**.(215/2 -216).

[4] سورة طه : الآية 56.

[5] الآلوسي : **روح المعاني**. (216/16).

المطلب الثالث : الصدّ:

الفرع الأول: الصدّ في اللغة:

الصد يعني: العدول والإعراض[1]، ويعني كذلك: الصرف والامتناع [2]، ويعني أيضا: "شدة الضحك والجَلَبَة" [3].

الفرع الثاني: الصدّ في الاصطلاح:

نقل المناوي تعريف الحَرِّالي للصدِّ وهو: "صرف إلى ناحية بإعراض وتكره"[4]. وعَرَّفه الكفوي بقوله: "الصَدُّ هو العدول عن الشيء عن قِلَى "[5] .

ومن خلال ما ورد من تعريفات لغوية واصطلاحية يخلص الباحث في معنى الصد إلى معنيين هما :

الأول: صدّ ذاتي نابع من النفس يتمثل بصورة الإعراض والامتناع الشخصي.

الثاني: صدّ من قبل الآخرين، ولهذا الوجه صور شتى أشار إليها الرازي تتمثل في ما يأتي:

1 - الإيعاد بالمضارّ.

2 - وعد بالمنافع على الترك.

3 - المنع وعدم التمكين[6].

فالصدّ والإعراض يجتمعان في معنى الانصراف والعدول عن الشيء من قبل الإنسان، ويفترقان في أن الصد قد يصدر من الإنسان تجاه الآخرين بحملهم على العدول والامتناع، وأكثر ما يستعمل في مجال صد الناس عن سبيل الله فهو يحمل معاني ذات دلالة سلبية . وأما الإعراض فهو سلوك يأخذ صفة الحمد أو الذم حسب سياقه وواقعه.

---

[1] انظر: الفراهيدي :**العين.** (80/7). وابن فارس: **مقاييس اللغة.** (282/3).

[2] انظر :الراغب الأصفهاني :**المفردات.** (ص:279). وابن منظور: **لسان العرب.** (245/3). والرازي: **مختار الصحاح.** (ص:150) .

[3] الفراهيدي: **العين.** (80/7).

[4] المناوي: **التعاريف.** (ص: 452).

[5] الكفوي: **الكليات.** (ص:28).

[6] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب.** (143/14).

الفرع الثالث: الصدّ في القرآن الكريم ودلالات وروده:

يأتي الصد في القرآن الكريم على أربعة أوجه هي : الإعراض ، المنع ، الضجة الإقبال بالوجه[1].

وقد وردت مادة (ص د د) ومشتقاتها في القرآن الكريم في واحدة وأربعين آية، منها عشرون آية مكية وواحدة وعشرون آية مدنية، من خلال اثنين وأربعين موضعًا، وذلك في ثلاث وعشرين سورة. ولعل في هذا التوزيع دلالة على أن فعل الصد وجد في المرحلتين المكية والمدنية ففي المرحلة المكية صدٌ من المشركين والشيطان، وفي المرحلة المدنية صدٌ من أهل الكتاب والمنافقين والشيطان.

ومن الأمثلة في القرآن الكريم على الصد، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[2]. "أي يصرفون الناس"[3]، وقيل: معناه" أنهم يمنعون الناس من قبول الدين الحق تارة بالزجر والقهر وأخرى بسائر الحِيَ "[4] .

المطلب الرابع : الصَدْف أو (الصُدُوف):

الفرع الأول: الصَدْف في اللغة :

وردت كلمة الصَدْف في اللغة بمعان عدة هي :

أولًا: الصَدْف بمعنى: الإعراض الشديد[5]. ثانيًا: الصدف بمعنى: العدول عن الشيء[6]. ثالثًا: الصدف بمعنى: الميل عن الشيء[7].

---

[1] انظر: الدامغاني: **الوجوه والنظائر**. (ص:306).

[2] سورة الأعراف الآية : 45.

[3] البغوي : **معالم التنزيل**. (162/2).

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (71/14).

[5] انظر :الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:280). وابن منظور: **لسان العرب**. (187/9) .

[6] انظر: الأزهري: **تهذيب اللغة**. (104/12). وابن منظور: **لسان العرب**.(187/9) .

[7] انظر: الفراهيدي: **العين**. (102/7). وابن منظور: **لسان العرب**. (187/9).

ولا يرى الباحث تعارضًا بين هذه المعاني بل يجدها مجتمعة في معنى الانصراف عن الشيء والأصل المادي في إطلاق الصَّدْف هو "الميل في أرجل البعير أو في الصلابة؛ كصَدَف الجبل أي جانبه، أو الصَّدَف الذي يخرج من البحر"[1].

الفرع الثاني: الصَدْف في الاصطلاح:

الصَدْف والصدوف: الإعراض عن الآيات بعد ظهورها[2]، وقيل هو: "الإعراض والنفور"[3].

وفسر ابن عاشور الصدف بـــ: الإعراض الشديد[4].

ويلحظ الباحث أن معنى الصَدْف والصدوف يغلب عليه معنى النفور والشدة في الإعراض والمخالفة، وبناء على ذلك يكون الصَدْف أقوى في وقعه ودلالته من الإعراض فهو إعراض ولكن بشدة.

الفرع الثالث: الصَدْف في القرآن الكريم ودلالات وروده:

وقد وردت مادة (ص د ف) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة مواضع من خلال سورتين هما؛ سورة الأنعام وفيها آيتان، وسورة الكهف وفيها آية واحدة.

وأما ما ورد في سورة الكهف فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ ﴾[5].

والصدفان هما جانبا الجبل[6]. وهذا لا يعني الباحث في هذا المقام، وأما ما ورد في سورة الأنعام المكية فهو ما تدور عليه دراسة مصطلح الصَدْف ودلالاته حيث يصور ذلك الاستعمال لهذا المصطلح في المرحلة المكية الحالة الجاهلية الممعنة في العداء والرفض للدين الجديد "فالصدوف إعراض شديد فيه نفور ؛ لغلظة في الطبع تصرفهم وتميل بهم عن الحق بعد ظهوره فلا يستجيبون له" [7]، وهذا الصدوف يبدو للباحث أنه أعنف وأشد في معناه من الإعراض، وهو ذو دلالة سلبية محضة؛ بخلاف الإعراض الذي يكون في الخير وفي الشر ولكن بدرجة أقل حدة وشدة من الصدف.

---

[1] الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:280).

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (24/2).

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**. (135/4).

[4] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (236/7).

[5] سورة الكهف الآية: 96.

[6] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (523/3).

[7] داود، الدكتور محمد محمد : **معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم**. بدون ط. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. 1429هـ - 2008م. (ص:315).

ومما قد يؤكد ذلك التركيبة الصوتية للكلمة؛ فحرف الصاد الذي يأخذ صفة الصفير، والدال الذي يأخذ صفة الشدة، والفاء الذي يأخذ صفة الإذلاق؛ أي كأنَّ حروف الكلمة بصفاتها المذكورة تصوِّر معنى الشدة وما يرافقها من جَلَبَةٍ وضجة وطلاقة.

ومن الأمثلة، قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾[1] أي يميلون ويعرضون عن البراهين والدلائل فلا يعتبرون[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾[3]. فسر ابن عطية الصدف في الآية فقال: "معناه حاد وزاغ وأعرض"[4]. وفسر البيضاوي الصدف بالإعراض أو الصد[5].

المطلب الخامس : الصفح:

الفرع الأول: الصفح في اللغة:

قال ابن فارس: "فأما قولهم: صفح عنه وذلك إعراضه عن ذنبه"[6]. فالصفح يعني : الجَنْبُ والعَرْضُ وصَفْحُ الشيء عرضه وجانبه[7]. "وصَفَحْتُ عنه أوليته مني صفحة جميلةً مُعْرِضًا عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافيًا عنه أو تجاوزت الصفحة التي أَثْبَتُّ فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها من قولك تصفّحت الكتاب"[8].

---

[1] سورة الأنعام الآية: 46.

[2] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (428/6). وابن الجوزي: **زاد المسير.** (42/3) .

[3] سورة الأنعام، الآية: 157 .

[4] ابن عطية : **المحرر الوجيز.** (366/2).

[5] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل.** (468/2).

[6] ابن فارس: **مقاييس اللغة.** (293/3).

[7] انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات.** (ص:285). وابن فارس: **مقاييس اللغة.** (293/3). وابن منظور: **لسان العرب.**(512/2- 513).

[8] الراغب الأصفهاني: **المفردات.** (ص:286).

الفرع الثاني: الصفح في الاصطلاح:

قال أبو علي الجوزجاني[1]: "الصفح هو الإغماض على المكروه"[2]. والصفح ترك التأنيب والتثريب[3] وهو أبلغ من العفو [4].

ويستخلص الباحث مما سبق الدلالات الآتية :

1. الصفح فيه معنى التجاوز عن اللوم والعقاب.
2. الصفح فيه معنى الحِلْم والكظم والحبس لشهوة الانتقام.
3. الصفح فيه معنى أبلغ من مجرد العفو .

فالصفح يحمل في طياته دلالات ومعاني إيجابية، وهو يعبر عن سمو أخلاقي، وأما الإعراض فيحتمل المعنى الإيجابي المحمود بمعناه الأخلاقي والأدبي، ويحتمل المعني السلبي المذموم، وكلٌ يفهم من سياقه .

الفرع الثالث: الصفح في القرآن الكريم ودلالات وروده:

وردت مادة (ص ف ح) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية مواضع من خلال سبع آيات، وردت في ست سور اقترن الصفح بالعفو في كثير منها، وجاءت صيغة الصفح في أربعة مواضع بصيغة فعل الأمر الدال على التأديب والتمرين، وفي موضعين بصيغة الفعل المضارع الدال على الحدوث والتجدد في الحال والاستقبال، وفي هذا الورود دلالة على التربية القرآنية والتهذيب الرباني لنبيه ﷺ ولأتباعه من بعده .

---

[1] أبو علي الجوزجاني، هو الحسن بن علي، من كبار مشايخ خرسان، له مصنفات عديدة، وتكلم في عدد من العلوم والمعارف. انظر: الأزدي، أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد .ت:412هـ: **طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات**. 1مج . تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1 .بيروت : دار الكتب العلمية .1419- 1998م. (ص:196).

[2] السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي. ت :412 هـ: **تفسير السلمي** الموسوم بـ **(حقائق التفسير)**. 2مج. تحقيق: سيد عمران. ط1. لبنان بيروت: دار الكتب العلمية.1421 هـ -2001 م.(43/2) .

[3] التَثْرِيْب: "كالتَأْنِيْبِ والتعيير والاستقصاء في اللوم". ابن منظور: **لسان العرب**. (235/1).

[4] انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:285). والسيوطي: **معجم مقاليد العلوم.** (ص:203). والمناوي: **التعاريف** .(ص:457). والكفوي: **الكليات**. (ص:203).

ومن الأمثلة: قولة تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[1] .

" أي أعرض إعراضا بغير فحش ولا جزع "[2]، "فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضًا جميلًا بحلم وإغضاء"[3].

المطلب السادس : الصَّعَرُ:

الفرع الأول: الصَّعَرُ في اللغة:

"الصَّعَرُ: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر وعظمة كأنه مُعْرِض"[4]. وأصل الصَّعَرِ: "داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويميله"[5].

الفرع الثاني: الصَّعَر في الاصطلاح

الصَّعَر: "هو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس"[6]

ويخلص الباحث إلى أن الصَّعَر: هو ميل وإشاحة بأحد الأعضاء العلوية في الجسم؛ إما الخد أو الوجه أو العنق بدافع التهاون والتكبر على الآخرين، فالصَّعَر إعراض ولكن مع التكبر والتهاون والاحتقار فهو يحمل دلاله سلبية للفعل، والإعراض ميل ولكن قد يكون بدافع الأدب وقد يكون بدافع العصيان وهذا يفهم من السياق .

الفرع الثالث: الصَّعَر في القرآن الكريم ودلالات وروده:

وردت مادة (ص ع ر) في موضع واحد، في آية واحدة، في سورة واحدة هي سورة لقمان، وجاء النهي عن تصعير الخد في وصايا لقمان الحكيم لابنه وهي وصية القرآن الكريم لأمة القرآن بأن لا يُصَعِّرُوا خدودهم ويربأوا بأنفسهم عن هذا الخلق الذميم.

---

[1] سورة الحجر الآية: 85.

[2] الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (597/1).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (548/2).

[4] الفراهيدي: **العين**.(298/1).

[5] انظر: ابن منظور: **لسان لعرب**. (456/4).

[6] مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي. ت:104هـ: **تفسير مجاهد**.2مج. تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي. بدون ط. بيروت: المنشورات العلمية. (505/2).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[1]، معناه: "ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرًا، واستحقارًا لمن تكلمه "[2]. وقيل في معنى الآية: "أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ولا تولِّهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون"[3]، ففي الآية الكريمة تأديب لطيف بالتواضع والبعد عن الكِبْرِ.

المطلب السابع: الهجر:

الفرع الأول: الهجر في اللغة:

ترد كلمة الهجر في اللغة على عدة معانٍ:

فقيل: "الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شدِّ شيء وربطه"[4]. "وهَجَر في كلامه؛ قال: الفُحْشَ أيضًا، مثل أَهْجَر وَهَجَرَ هَجْرًا تَرَكَ"[5].

الفرع الثاني: الهجر في الاصطلاح:

"الهجر: وهو الترك والإعراض"[6]. وعرَّفه المناوي: "الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب... لكن خص شرعًا: بترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام"[7].

قال عبيد الله الخزاعي[8] (من الطويل):

"سَأَلْتُكِ هَلْ للنَّاقِصِ العَهْدِ والذي يَخُوْنُ سِوى الإِعْراضِ والصَدِّ والهَجْرِ"[9]

---

[1] سورة لقمان الآية :18.

[2] الطبري: **جامع البيان**.(74/21).

[3] الزمخشري: **الكشاف**.(504/3).

[4] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (34/6).

[5] السعدي: **الأفعال**. (342/3).

[6] الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد. ت:815هـ: **التبيان في تفسير غريب القرآن**. 1مج. تحقيق: فتحي أنور الدابلوي. ط1. مصر: دار الصحابة للتراث بطنطا.1412هـ - 1992م. (ص:308).

[7] المناوي: **التعاريف**. (ص:738).

[8] الخزاعي، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، تولى إمارة بغداد، كان فاضلًا، أديبًا، شاعرًا، فصيحًا، توفي في شوال سنة 300هـ. انظر: الخطيب البغدادي، أبا بكر أحمد بن علي .ت: 463هـ : **تاريخ بغداد**. 14مج. بدون ط. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.(340/1 -342).

[9] الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى.ت:325هـ: **الموشى أو الظرف والظرفاء**. 1مج. تحقيق: كمال مصطفى. ط2. مصر: مكتبة الخانجي. 1372هـ - 1953م. (146/2).

فيفهم من ذلك أن الهجر أحد نظائر الإعراض. فالإعراض والهجر فيهما معنى المفارقة والكف ولكن الهجر أكثر دلالة على طول الامتداد الزمني في المفارقة، وأكثر ايلامًا للمهجور، والله أعلم.

الفرع الثالث: الهجر ودلالات وروده في السياق القرآني:

وقد وردت مادة (هــ ج ر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعًا من خلال سبعٍ وعشرين آية في ثماني عشرة سورة، منها المكي ومنها المدني ولكل دلالته بحسب سببه وسياقه ومعرض وروده.

ومن الأمثلة على هذا الورود في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾[1].

يقول الرازي عن هذه الآية: "كلام جامع في مكارم الأخلاق؛ كأنه قيل له: اهجر الجفاء والسفه، وكل شيء قبيح، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين المستعملين للرجز"[2]، ويظهر من هذا أن الهجر بهذا المعنى يكون نظيرًا للإعراض.

المطلب الثامن: الاعتزال:

الفرع الأول: الاعتزال في اللغة:

يرد معنى العَزْل في اللغة بمعنى: التنحية إلى جانب[3]، مع الإمالة[4]. "والعُزْلَةُ والاعتِزَال نفسه"[5].

الفرع الثاني: الاعتزال في الاصطلاح:

"العزلة: هي الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع"[6]. و"الاعتزال: تجنب الشيء عَمَالَةً أو إمارة أو غيرهما بالبدن أو القلب"[7].

الفرع الثالث: الاعتزال وروده في السياق القرآني:

ووردت مادة (ع ز ل) ومشتقاتها في القرآن الكريم في عشرة مواضع، من خلال عشر آيات في ثماني سور كريمة منها المكي ومنها المدني.

---

[1] سورة المدثر الآية: 5.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (171/30).

[3] انظر: الفراهيدي: **العين**. (353/1). وابن فارس: **مقاييس اللغة**. (307/4). والسعدي: **الأفعال**. (367/2).

[4] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (307/4).

[5] الفراهيدي: **العين**. (353/1).

[6] الجرجاني: **التعريفات**. (ص:194).

[7] المناوي: **التعاريف**. (ص:75).

والاعتزال فيه ترك المخالطة مع الآخرين ، وأما الإعراض فيتحقق مع بقاء المخالطة.

ومن الأمثلة على هذا الورود في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾[1]. قال الآلوسي:"قيل: المعنى: وإن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا واقطعوا أسباب الوصلة"[2].

المطلب التاسع: (ذَرْهُ تركًا):

الفرع الأول: يَذَرُ في اللغة:

قال الفراهيدي: "والعرب قد أماتت المصدر من (يَذَرُ) والفعل الماضي، واستعملته في [الحاضر] والأمر فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْهُ تركًا "[3].

فيذر يتضمن معنى الترك والانقطاع عن الصلة، وأما الإعراض فقد يتم مع بقاء الصلة في حدودها الدنيا أحيانًا.

الفرع الثاني: يَذَرُ في القرآن الكريم ودلالات وروده:

وقد وردت مادة (يَذَرُ) بمشتقاتها في القرآن الكريم في خمسةٍ وأربعين موضعًا من خلال ثلاث وأربعين آية وردت في تسع وعشرين سورة منها ثلاث وعشرون سورة مكية وست سور مدنية ولعل في هذا العدد من الورود في القرآن المكي إشارة إلى التعهد الرباني في توجيه الرسول ﷺ إلى الطريق الفضلى في التعامل مع المشركين المعارضين في تلك المرحلة.

ومن الأمثلة على هذا الورود في القرآن المكي قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ... ﴾[4]، ومعنى ذرهم؛ أي أعرض عنهم[5]، وقال الرازي "والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا يترك إنذارهم وتخويفهم"[6].

---

[1] سورة الدخان الآية: 21.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**. (122/25).

[3] الفراهيدي: **العين**. (196/8). وانظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (282/5).

[4] سورة الأنعام الآية: 70.

[5] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (35/2). والرازي: مفاتيح الغيب. (23/13).

[6] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (23/13).

المطلب العاشر: العفو:

الفرع الأول: العفو في اللغة:

"عَفَوَ: العين والفاء والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما: على ترك الشيء، والآخر: على طَلَبِهِ"[1]. "يقال: عَفَوْتُ... عن فلان أو عن ذنبه: إذا صَفَحْتُ عنه وأَعْرَضْتُ عن عقوبته"[2].

الفرع الثاني: العفو في الاصطلاح:

"العَفو: ترك المآخذة بالذنب"[3]. ونقل المناوي عن الحرالي قوله:"العَفو ما جاء بغير تكلف ولا كُره"[4].

ويميل الباحث إلى الأخذ بالتعريف الأول؛ لأن ما نقله المناوي عن الحرالي لا يخلو من مقال؛ إذ إن العفو لا يكون إلا عقب توجيه إساءة أو ارتكاب ما يسوء الأخر، وهذا يُخَلِّفُ في النفس شعورًا بالغُصة فعندما يستعلي الإنسان على هذا الشعور، ويقمع شهوة الانتقام في نفسه ويتجاوز، فهذه هي حقيقة العفو. فالعفو إذن إعراض عن الانتقام من المسيء والمذنب.

فالعفو يكون عقب إساءة من المعفو عنه، وأما الإعراض فقد يكون عقب إساءة أو خلافها.

الفرع الثالث: العفو ودلالات وروده في القرآن الكريم:

وردت مادة (ع ف و) بمشتقاتها في القرآن الكريم تسعة وثلاثين موضعًا من خلال خمس وثلاثين آية وردت في واحدة وعشرين سورة؛ ثماني عشرة مدنية وثلاث مكية وهي: الشورى والتغابن والحج، وهذا يعكس أهمية التربية الأخلاقية التي يؤسس ويبنى عليها المجتمع الإسلامي الناشئ في المدينة، وكيف ينبغي أن تكون أواصر أفراده وعلاقاتهم في مجالات الحياة عمومًا قائمةً على العفو والمسامحة وهذا تأديب كريم للمسلمين في كل عصر وجيل.

---

[1] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (56/4).

[2] المطرزي: **المغرب**. (70/2).

[3] السيوطي: **معجم مقاليد العلوم**. (ص:203).

[4] المناوي: **التعاريف**. (ص:518).

ومن الأمثلة على ورود العفو: قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]، ففي الآية الكريمة تأديب عظيم وتوجيه كريم من الله تعالى لرسوله ﷺ بالعفو عمّا قد يسوؤه من فلتات أتباعه "ليحصل للرسول عليه السلام فضيلة التخلق بأخلاق الله"[2]، وهو تربية وتعليم لرسوله ﷺ وللأمة وقادتها من بعده.

المطلب الحادي عشر: الغَضّ:

الفرع الأول: الغَضّ في اللغة:

لكلمة الغَضّ في اللغة أصلان: قال ابن فارس: "(غض) الغين والضاد أصلان صحيحان؛ يدل أحدهما: على كف ونقص، والآخر: على طراوة ، فالأول الغض غض البصر، وكل شيء كففته فقد غضضته"[3].

الفرع الثاني: غضّ الصوت والبصر في الاصطلاح:

غضّ الصوت: "الكف في لين"[4]. وغضّ البصر: "كفه عن النظر"[5]. والغضّ : "صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر"[6].

فغض الصوت أو البصر كلاهما إعراض عما هو محرم مستقبح بحكم الشرع من الأفعال والأقوال والصور، وأما الإعراض فقد يكون كذلك وقد يكون لغاية في نفس المُعْرِضِ

---

[1] سورة آل عمران الآية: 159.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (53/9).

[3] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (383/4).

[4] الطبري: **الجامع البيان**. (120/26).

[5] **المرجع السابق**. (120/26).

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (204/18).

الفرع الثالث: الغضّ ودلالات وروده في القرآن الكريم:

وردت مادة (غ ض ض) ومشتقاتها في القرآن الكريم في أربعة مواضع من خلال أربع آيات في ثلاث سور، هي: سورة لقمان؛ وهي مكية، وسورة النور، والحجرات وهما مدنيتان. وقد جاء الأمر فيها بالغض من البصر والصوت، وهذا أدب عُني به القرآن في المرحلة المكية والمدنية.

ومن الأمثلة على هذا الورود في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[1]. والمعنى: "أي انقص منه أي لا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع"[2].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[3]. والمراد بالآية الكريمة: كف البصر وصرفه بالإعراض عمّا كان حرامًا والاقتصار على ما كان حلالًا[4]

المطلب الثاني عشر: الزُّهْد:

الفرع الأول: الزُّهْد في اللغة:

"(زهد) الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء والزهيد الشيء القليل"[5].

الفرع الثاني: الزُّهْد في الاصطلاح:

الزُّهْد: "هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها"[6]. وعَرّفه السيوطي بقوله: "الزُّهْد: الاقتصار على القليل"[7].

فالزهد إذن يتضمن معنى الإعراض، ولكن مع عدم الترك بالكلية للمزهود فيه.

---

[1] سورة لقمان الآية: 19.

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (71/14).

[3] سورة النور الآية: 30.

[4] انظر: النحاس: **معاني القران**. (520/4). وابن كثير: **تفسير القران العظيم**. (282/3). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (349/14).

[5] ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (30/3).

[6] المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد. ت: 655هـ: **شرح نهج البلاغة**. 11مج. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1418هـ - 1998م. (141/6).

[7] السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. ت: 911هـ: **معجم مقاليد العلوم**. 1مج. تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم عبادة. ط1. القاهرة- مصر: مكتبة الآداب. 1424هـ - 2004م. (ص:205).

الفرع الثالث: الزهد ودلالات وروده في القرآن الكريم:

وردت مادة (زهـــ د) بمشتق واحد في القرآن الكريم هو﴿ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ في موضع واحد في آية واحدة في سورة واحدة وهي الآية العشرون من سورة يوسف، وهي مكية النزول، قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[1]. قال أبو السعود في معنى الزاهدين في الآية الكريمة: "الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس"[2]؛ أي أعرضوا عن الجدِّ في طلب الزيادة في الثمن سواء أكان المراد بذلك إخوة يوسف عليه السلام أم السيارة الذين التقطوه.

---

[1] سورة يوسف الآية: 20.

[2] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (261/4).

الفصل الثاني:

مقامات أدب الإعراض في ضَوْء القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المتأدبون بأدب الإعراض في القرآن الكريم

المبحث الثاني: المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم

تمهيد

يتناول الباحث في هذا الفصل الحديث عن مقامات أدب الإعراض في ضَوْء القرآن الكريم؛ وذلك من خلال الحديث عن المتأدبين بهذا الأدب، وهم الأنبياء والمؤمنون، والمعرض عنهم تأدبًا؛ وذلك من خلال أشخاص مخصوصين، وأحوال مخصوصة في مقامات مخصوصة، وذلك في الصفحات القادمة من هذا الفصل بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

المبحث الأول

المتأدبون بأدب الإعراض في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدب الإعراض عند الأنبياء عليهم السلام

في هذا المطلب يتناول الباحث مواقف لعدد من الأنبياء عليهم السلام يظهر فيها تأدبهم بأدب الإعراض.

الفرع الأول: أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾[1]، جاءت هذه الآية الكريمة في خضم محاورة الملائكة وإبراهيم عليه السلام في شأن قوم لوط عليه السلام، فَأُمِرَ بالإعراض عن هذه المجادلة، فقيل: إن الأمر بالإعراض "وحي من الله إلى إبراهيم عليه السلام أو جواب الملائكة إبراهيم عليه السلام"[2].

وجاء الأمر لإبراهيم عليه السلام بالإعراض، "فقالوا: دع عنك الجدال في أمرهم والخصومة فيه فـ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ ﴾ بعذابهم وحُقَّ عليهم كلمة العذاب ومضى فيهم بهلاكهم القضاء"[3].

إذن أمر إبراهيم عليه السلام بالإعراض سواء أكان عن الجدال أم الدعاء أم غير ذلك فقد شارفهم وقوع العذاب[4].

ومما سبق يستخلص الباحث أن الله تعالى يؤدب رسله بأدب الإعراض على لسان ملائكته فيكلمهم ويوجههم بالكف عما لا فائدة من فعله أو قوله.

---

[1] سورة هود الآية: 76.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (124/12).

[3] الطبري: **جامع البيان**. (80/12).

[4] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**. (104/12).

الفرع الثاني: التأديب ليوسف ﷺ بأدب الإعراض:

قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾[1] ، وردت هذه الآية الكريمة عقب حادثة مراودة امرأة العزيز ليوسف ﷺ، وقد خرج من هذه الفتنة ناجيًا وسالمًا. فجاءه الخطاب بالأمر بالإعراض عما بدر عن امرأة العزيز وفي القائل له هنا قولان:

أحدهما: أنه الشاهد، والثاني: أنه العزيز (الزوج)[2].

ولا يرى الباحث كبير فرق بين أن يكون القائل هو الشاهد أم الزوج فكلاهما يُعنى بالستر على ما وقع من تلك المرأة مخافة الفضيحة والإخلال بالسمعة.

وفي كل الأحوال أُمِرَ يُوسفُ ﷺ بالإعراض"﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾، أي: عن هذا الأمر واكتمه، ولا تتحدث به، وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف"[3]، "وقد كان هذا الحادث قبل إيتائه النبوة لأن إيتاء النبوءة غلب أن يكون في سن الأربعين، والأظهر أنه أوتي النبوءة والرسالة بعد دخول أهله إلى مصر وبعد وفاة أبيه"[4].

إذن في هذا المقام - مقام حادثة المراودة وما تجره من خزي وعار تبرز الحاجة إلى استثارة الأدب والفضيلة في نفوس المطلعين؛ ليكتموا ويستروا فلا يشاع الخبر البغيض الكريه إلى النفوس. فقد ييسر الله تعالى غير المسلم لتوجيه أمر يتوافق ومكارم الأخلاق، هذا فضلًا عن أن الله تعالى يرعى يوسف ويصنعه على عينه تمهيدًا لبعث قادم فقد "تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف ﷺ على العفاف والوفاء وكرم الخلق"[5].

خلاصة القول في تأديب يوسف ﷺ أن الإعراض بالسكوت والستر والإغضاء عن العيوب أدب رفيع، وهو من مكارم الأخلاق وفضائل الطباع.

---

[1] سورة يوسف الآية: 29.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (100/18).

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**. (298/5).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (249/12).

[5] **المرجع السابق**. (249/12).

الفرع الثالث: أدب الإعراض عند صالح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[1].

تخبر الآية الكريمة عن تولي النبي صالح عليه السلام حيث "أدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب، وعقروا ناقة الله خارجًا عن أرضهم من بين أظهرهم؛ لأن الله تعالى ذكره، أوحى إليه: إني مهلكهم بعد ثلاثة. وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها، فأخبر الله جلَّ ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم، حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: فتولى عنهم صالح"[2].

وقد تباينت الأقوال في زمن التولي والإعراض عن القوم من قبل نبيهم صالح عليه السلام، فذكر الزمخشري أن "الظاهر أنه كان مشاهدًا لِمَا جرى عليهم، وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولى مغتمّ متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ... ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب"[3].

ويميل الباحث إلى موافقة ما رجحه الزمخشري أن التولي كان بعد نزول العذاب بهم، وهذا يظهر من خلال السياق القرآني في سورة الأعراف أنهم عقروا الناقة، وطلبوا إنزال العذاب ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾[4] والفاء تفيد الترتيب والتعقيب﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[5]، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ... ﴾ مما يدل على أن هذه الأحداث كانت متلاحقة متعاقبة وفق الترتيب القرآني لها بدلالة استعمال حرف العطف (الفاء)، والله أعلم.

فتولي صالح عليه السلام وإعراضه عن القوم الظالمين كان مشوبًا بالحسرة والحزن على عدم اهتدائهم وهو تولٍّ وإعراض يُنبئُ عن نفس تحب الخير للخَلْق، ولكن قوم صالح ظلموا أنفسهم وأصروا على الكفر والعدوان.

---

[1] سورة الأعراف الآية: 79.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (234/8).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (117/2).

[4] سورة الأعراف، الآية: 78.

[5] سورة الأعراف، الآية: 78.

وقد كان هذا التولي والإعراض بعد استنفاد كل الجهود لحملهم على سلوك طريق الهداية والاستجابة لأمر الله تعالى، إلا أنهم أصروا واستكبروا فحل بهم العذاب، فلم يبق ما يدعو للمقام والاستمرار.

الفرع الرابع: أدب الإعراض عند شعيب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[1]، في هذه الآية الكريمة إثبات وشهادة على قيام شعيب عليه السلام بواجب الدعوة حتى نزول العذاب بالقوم "فأدبر شعيب عنهم شاخصًا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله، وقال لَمَّا أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه حزنًا عليهم: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، وأديت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم"[2].

والحديث عن إعراض شعيب عليه السلام وتوليه عن قومه لا يبعد كثيرًا عن تولي صالح عن قومه من حيث زمن التولي، وما صَاحَب هذا التولي من شعور بالأسى في نفس شعيب لَمَّا حَلَّ العذاب بقومه، فقد استنفد شعيب جهده، وَبَلَّغَ الدعوة لقومه ، ومع ذلك أصر القوم على منكرهم وباطلهم فحلت بهم الرجفة، فتولّى النبي شعيب عليه السلام تولي المحزون الذي يواسي نفسه بأنْ لا حُزْنَ على قوم كافرين.

الفرع الخامس: أدب الإعراض عند موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[3]. لقد سقى موسى عليه السلام الغنم للمرأتين، ثم تولى إلى الظل يدعو ربه﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ، فقد سأل موسى ربه الطعام[4]؛ لأنه الجوع قد بلغ به مبلغه بعد خروجه من مصر خشية الإمساك به.

---

[1] سورة الأعراف الآية: 93.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (6/9).

[3] سورة القصص الآية: 24.

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (59/20). والشوكاني: **فتح القدير**. (166/4).

مما سبق يمكن استنتاج الأمور الآتية:

1- الحياء والانضباط الأخلاقي عند البنتين ؛ إذ دعاهما إلى الإعراض عن مزاحمة الرجال لسقي الغنم.

2- عفة موسى عليه السلام، وأدبه الرفيع؛ فقد قدَّم العون، وأنجز المعروف، دون الالتفات إلى تجاذب الحديث مع المرأتين، فقد تولى إلى الظل يدعو ربه عز وجل.

وهكذا يبرز أدب الإعراض في السلوك عند تقديم العون للمرأة إذ لا يجوز أن تكون المساعدة للمرأة مدخلًا وطريقًا لتجاذب الحديث كما يفعل أصحاب الأنفس المريضة المطوية على الخبث والانحراف، وهذا يبرز ما كان عليه موسى عليه السلام من أدب وخلق كريم.

الفرع السادس: أدب الإعراض عند يعقوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1].

تصفُ الآية الكريمة إعراض يعقوب عليه السلام عن أبنائه وقد رجعوا من مصر دون أخيهم. قال القشيري: "ويقال: أراد إخوة يوسف أن يكون إقبال يعقوب عليهم بالكليّة فأَعْرَض، وتولى عنهم وفاتهم ما كان لهم، ولهذا قيل: من طَلَب الكلّ فاته الكلّ"[2].

وقيل: تولي يعقوب عليه السلام كان إعراضًا عن أبنائه كراهةً لمّا أخبروه به عمَّا حدث مع أخيهم وأنه بقي حبيسًا في مصر[3]. قال ابن عاشور في: "﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾: انصرف، وهو انصراف غضب"[4].

فالحدث الجلل الذي أخبره به أبناؤه أثار في نفسه ألم جرح الماضي الذي لم يلتئم بعد؛ وهو فقدان يوسف عليه السلام، فقد بلغ الحزن من يعقوب مبلغه ووصفه القرآن بأنه ﴿ كَظِيمٌ ﴾

---

[1] سورة يوسف الآية: 84.

[2] القشيري: **لطائف الإشارات**. (87/2).

[3] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (468/2). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (154/18). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (304/3). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (620/1).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (42/13).

"إنه ما أظهر الشكاية مع أحد من الخلق بدليل قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]، وكل ذلك يدل على أنه لمّا عظمت مصيبته، وقويت محنته، فإنه صبر وتجرع الغصة وما أظهر الشكاية فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء العظيم"[2]، "والكَظْم: الإمساك النفساني أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس ويبكي في خلوته أو هو فعيل بمعنى مفعول أي محزون"[3].

قال متمم بن نويرة التميمي[4] لمن لامه على بكاء أخيه مالك:

"فقُلْتُ لَه: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى ذَرُوْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ"[5]

وتصدق هذه الأبيات الشعرية على واقع يعقوب عليه السلام عندما فَقَدَ ابنه الثاني وما أثار ذلك من حزن وأسى مختزن في نفسه الكريمة على فقدان يوسف عليه السلام من قبل وهكذا تضاعف الأسى في نفسه فتولى وأعرض.

ويخلص الباحث في هذا المقام إلى أمور عدة هي:

1 - إن يعقوب عليه السلام تولى عن أبنائه كارهًا لحديثهم، حزينًا على فقدان ابنه.

2 - إن أدب الإعراض عند يعقوب عليه السلام تجلى في مقام لا يجدي فيه الحديث واستدامة الحوار مع الأبناء؛ وذلك تأكيدًا على اعتراضه على ما سمع منهم.

---

[1] سورة يوسف الآية:86.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (154/18).

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (43/13).

[4] التميمي: هو متمم بن نويرة بن حمزة اليربوعي، أسلم، وكان شاعرًا محسنًا، اشتهر بشعر الرثاء في أخيه مالك*. انظر: ابن عبد البر: **الاستيعاب**. (4/1455 -1456).

*مالك: هو ابن نويرة بن حمزة اليربوعي التميمي أخو متمم، كان شاعرًا بُعث على صدقات بني حنظلة، وقيل: إنه ارتد، واختلف في ذلك ، وكان الذي قتله عبد بن الأزور الأسدي، وقيل: ضرار بن الأزور ، وعَنَّف أبوبكر وعمر رضي الله عنهما القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه على ذلك . انظر: الطبري، أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد. ت: 310هـ: **تاريخ الطبري**. 5مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. (2/272 -274). وانظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. ت: 463هـ: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. 4مج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ -1991م. (3/1362).

[5] البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن. ت: 659هـ: **الحماسة البصرية**. 2مج. تحقيق: مختار الدين أحمد. بدون ط. بيروت: عالم الكتب. (1/210).

3 - إن إعراض يعقوب عليه السلام يحمل في طياته أبلغ رسالة صامته معبرة عن تشككه بل رفضه وعدم اقتناعه بحديثهم كما يحمل معنى الغضب والاحتجاج الصامت البليغ على أبناء كرروا مواقف ساءت أباهم وما حدث مع يوسف عليه السلام حاضر قريب في نفسه عليه السلام.

الفرع السابع: أدب الإعراض عند النبي محمد ﷺ:

لقد بعث الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1]، فانطلق عليه الصلاة والسلام يدعو الناس بالحكمة وحسن الأدب، ويعاملهم بحميد الأخلاق، وجميل السجايا. فتعددت الآيات الكريمة التي تأمره بالإعراض تأدبًا، أو تذكر إعراضه وهكذا يصف القرآن الكريم أدب الإعراض عند الرسول محمد ﷺ.

وسيعرض الباحث نماذج من الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا الأدب عند النبي ﷺ مرجئًا تفصيل الحديث في شأن المعرض عنهم إلى المبحث الثاني من هذا الفصل بمشيئة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2]. والمعنى "اتبع يا محمد ما أَمَرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك... وأعرض عن المشركين، يقول: ودع عنك جدالهم، وخصومتهم"[3]، "والمقصود تقوية قلبه وإزالة الحزن الذي حصل بسبب سماع تلك الشبهة - (الإتيان بالقرآن من خلال المدارسة والمذاكرة)[4]- ونبه بقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾، على أنه تعالى لما كان واحدًا في الإلهية فإنه يجب طاعته ولا يجوز الإعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين"[5]

ولم يقتصر أدب الإعراض عند رسول الله ﷺ على الحياة العامة والتعامل خارج بيته بل إنه ﷺ تخلق بهذا الأدب في بعض المواقف في بيته مع زوجته حفصة رضي الله عنها، قال تعالى:

---

[1] سورة سبأ الآية: 28.

[2] سورة الأنعام الآية: 106.

[3] الطبري: **جامع البيان.** (308/7).

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب.** (112/13).

[5] **المرجع السابق.** (113/13).

﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[1] تخبر الآية الكريمة عن حادثة إسرار النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثًا، وأنَّ الله أظهره له فعرّف بعضه ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ﴾. "أي تكرمًا وحياءً وحسنَ عِشرة. قال الحسن (البصري): ما استقصى كريم قط، وقال سفيان (الثوري)[2]: ما زال التغافل من فعل الكرام"[3].

قال ابن عاشور: "إعراض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه ﷺ في معاتبة المفشية وتأديبها إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته فتوقن أن الله يغار عليه"[4].

مما سبق يمكن تسجيل بعض الخلاصات في شأن أدب الإعراض عند النبي محمد ﷺ[5]:

1 - إن النبيَّ محمدًا ﷺ أُمر بالتأدب بأدب الإعراض عن أصناف من الناس وفي مواقف عِدَّة وهذا يأتي في سياق التربية الربانية والتوجيه إلى مكارم الأخلاق.

2 - إن النبي محمد ﷺ بادر بنفسه إلى التأدب بأدب الإعراض مترجمًا هذا الأدب في بعض المواقف.

3 - إن القرآن الكريم يدعو إلى حُسْنِ التعامل في حال العطاء، وفي حال المنع، فإما عطاء برفق ولين، وإما إعراض جميل.

---

[1] سورة التحريم الآية: 3.

[2] الثوري: "سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، يكنى أبا عبد الله، مات سنة اثنتين وستين ومائة بالبصرة". ابن خياط، أبو عمر خليفة الليثي العصفري. ت: 240هـ: **الطبقات**. 1مج. تحقيق : د. أكرم ضياء العمري. الرياض: دار الطيبة. 1402هـ - 1982م. (ص: 168).

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**. (286/8).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (353/28).

[5] بعد النظر في إعراض النبي ﷺ ثبت أنه أعرض عن المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، وأصناف من المسلمين... فيرى الباحث أن الأنسب عرض هذا كله ضمن المبحث الثاني؛ وهو المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم. ويورد الباحث بعض الآيات هنا؛ لتدل على أن الرسول ﷺ أُمر بهذا الأدب والتزم به.

4 - إن أدب الإعراض والتغافل أدب رفيع في مقامات مخصوصة، وهو فعل الكرام، وهو ما اتصف به نبينا محمد ﷺ خصوصًا في بعض المواقف مع إحدى زوجاته وهي حفصة رضي الله عنها.

المطلب الثاني: أدب الإعراض عند المؤمنين:

الفرع الأول: أدب الإعراض عند مؤمني أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1].

"عن مجاهد في قوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ إلى قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾. قال: أناس من اليهود أسلموا، وكان أناس من اليهود إذا مروا عليهم سبوهم فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم هذه الآيات"[2].

وذكر البغوي: "أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبًا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم، ولا يردون عليهم"[3].

وبعد سماع المؤمنين اللغو من الآخرين أعرضوا وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وفي هذا قولان: "أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم. والثاني: لكم سفهكم ولنا حلمنا "[4].

فأدب الإعراض من مؤمني أهل الكتاب ظاهر في هذا المقام حيث أعرضوا عن لغو الكافرين وأعربوا عن ثباتهم على الحق، وأنهم يربأون بأنفسهم، ويترفعون عن الانشغال بسفه الجاهلين.

---

[1] سورة القصص الآية: 55.

[2] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. ت: 327هـ: **تفسير القرآن**. 10مج. تحقيق: أسعد محمد الطيب. صيدا- لبنان: المكتبة العصرية. (2992/9).

[3] البغوي: **معالم التنزيل**. (450/3).

[4] السمعاني: **تفسير القرآن**. (148/4). وانظر: ابن الجوزي: **زاد المسير**. (230/6).

الفرع الثاني: أدب المؤمنين في الإعراض عن زوجاتهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1].

عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا ﴾، قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها[2] يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية في ذلك"[3].

"هذه الآية حكم من الله تعالى في أمر المرأة التي تكون ذات سن ودمامة أو نحو ذلك مما يرغب زوجها عنها، فيذهب الزوج إلى طلاقها أو إلى إيثار شابة عليها ونحو هذا مما يقصد به صلاح نفسه، ولا يضرها هي ضررًا يلزمه إياها؛ بل يعرض عليها الفرقة أو الصبر على الأثرة فتريد هي بقاء العصمة، فهذه التي أباح الله تعالى بينهما الصلح ورفع الجُنَاح فيه"[4].

مما سبق يمكن استنتاج الأمور الآتية:

1 - إن المرأة يمكنها التخلي عن شيء من حقوقها إبقاءً على الرابطة الزوجية والتصالح مع الزوج.

2 - إن القرآن الكريم يضع حلولًا وقائية للمشكلات المتوقع حدوثها؛ لأن معنى ﴿ خَافَتۡ ﴾: "توقعت منه ذلك لما لاح لها مخايله وأماراته"[5].

3 - إن الإعراض عن الزوجة صورة من صور البعد عنها والنفور منها.

---

[1] سورة النساء الآية: 128.

[2] (ليس بمُسْتَكْثِرٍ منها): "أي في المحبة والمعاشرة والملازمة". ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ت:852هـ: **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** 13مج. تحقيق: محب الدين الخطيب. بدون ط. بيروت: دار المعرفة.. (266/8).

[3] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: المظالم. باب: إذا حَلَّله من ظلمه فلا رجوع فيه. رقم الحديث. (2318). (865/2).

[4] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (119/2).

[5] الزمخشري: **الكشاف**. (604/1).

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

والمراد بالعدل غير المستطاع في الآية الكريمة "العدل التام على الإطلاق المستوي في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع وغير ذلك"[2].

وأما العدل في الأمور المادية من مبيت وطعام وكسوة... فهذا مما يستطاع.

فعن عائشة ﵂ قالت:" كان رسول الله ﷺ لَا يُفضِّلُ بعضَنا على بعضٍ في الْقَسْمِ من مُكْثِهِ عِنْدَنَا..."[3]، رغم أن رسول الله ﷺ صرَّح أن عائشة ﵂ كانت من أحب الناس إليه "عن عمرو بن العاص أَن النبي بعثه على جيْش ذات السُّلَاسِلِ[4] فَأَتَيْتُهُ فقلت: أَيُّ الناس أَحبُّ إليك قال: عائشةُ فقلت: من الرِّجال فقال: أَبوها قلت: ثم من قال: عمر بن الخطاب فعدَّ رجالًا"[5]. فرغم محبته ﷺ لعائشة ﵂ أكثر من غيرها إلا أنه كان يعدل بين زوجاته في الأمور المادية.

---

[1] سورة النساء الآية: 129.

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (120/2).

[3] أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني. ت: 275هـ: **سنن أبي داود**. 4مج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بدون ط. دار الفكر. كتاب: النكاح. باب: في القسم بين النساء. رقم الحديث. (2135). (242/2). والترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب: النكاح. باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر. رقم الحديث (1140)._(446/3). قال أبو عيسى الترمذي: "حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة... عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يقسم، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة". **المرجع السابق**. (446/3). وحكم الألباني على هذا الحديث قائلًا: "حسن صحيح". الألباني، محمد ناصر الدين. ت: 1420هـ: **صحيح سنن أبي داود**. 3مج. اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش. بيروت- لبنان: مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض. توزيع: المكتب الإسلامي. 1409هـ-1989م.(400/2).

4 " السُّلَاسِلِ بلفظ جمع السلسلة: ماء بأرض جذام، وبذلك سميت غزاة ذات السلاسل". الحموي: **معجم البلدان**. (233/3).

[5] البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: فضائل الصحابة. باب: قَوْلِ النبي ﷺ لو كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا. رقم الحديث. (3462). (1339/3). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: فضائل الصحابة ﵃. باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﵁. رقم الحديث. (2384). (1856/4).

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾ قال ﷺ: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل"[1] ومعنى قوله تعالى:﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ ﴾: "أي لا هي أَيِّم[2] ولا ذات زوج، وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء؛ لأنه لا على الأرض استقر ولا على ما علق منه انحمل"[3].

وصفوة القول مما سبق: إن الله تعالى يؤدب الأزواج بأدب الإعراض عن الزوجات المرغوب عنهن؛ بأن لا يتركن معلقات لا هن زوجات ولا هن مطلقات، فإن هذا مما يسيء إلى الزوجة وهو ظلم لا يقره الإسلام، ويوقع الزوج في الإثم. وعليه فلا بد من الصلح والتقوى في مثل هذه الأحوال، قال البيضاوي في: قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ ﴾. "ما كنتم تفسدون من أمورهن ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ فيم يستقبل من الزمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾، يغفر لكم ما مضى من ميلكم"[4].

---

[1] أبو داود: **سنن أبي داود**. كتاب: النكاح. باب: في القَسْم بين النساء. رقم الحديث. (2133). (242/2). والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. ت:303هـ: **السنن الكبرى**. 6مج. تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1991م. كتاب: عشرة النساء. باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض. رقم الحديث (8890). (280/5). والدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. ت: 255هـ: **سنن الدارمي**. 2مج. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ- 1987م. كتاب: النكاح. باب: العدل بين النساء. رقم الحديث. (2206). (193/2). قال الحاكم النيسابوري: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. ت: 405هـ: **المستدرك على الصحيحين**. 4مج. تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1411هـ- 1990م. (203/2). قال الزيلعي :"روي من حديث أبي هريرة، وحديث أنس"، ونقل كلام العلماء - في رواية أبي هريرة- ما بين مصحح ومضعِّف لها. انظر: الزيلعي، جمال الدين أبا محمد عبد الله بن يوسف الحنفي. ت: 762هـ: **نصب الراية لأحاديث الهداية**. 4مج. ط3. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1407ه- 1987م. (214/3). ونقل ابن حجر موافقة ابن دقيق العيد على تصحيح هذا الحديث ، واستغراب الترمذي له مع تصحيحه. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن العسقلاني. ت:852هـ: **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**. 4مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.1419هـ- 1998م. (426/3). وحكم الألباني على هذا الحديث فقال عنه: "صحيح". الألباني: **صحيح سنن أبي داود**. (400/2).

[2] الأَيِّمُ: "هو للرجال والنساء الذين لا أزواج لهم". ابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد. ت: 620هـ : **المغني**. 12مج.ط1. بيروت: دار الفكر. 1405هـ- 1984م. (89/6). وقيل: "هي من لَا زَوْجَ لها بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا". ابن نجيم، زين الدين الحنفي. ت: 970هـ: **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**.8 مج. ط2. بيروت: دار المعرفة. (117/3).

[3] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (121/2).

[4] البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (263/2).

الفرع الثالث: تأديب المؤمنين لإعراض نفر منهم عن الاستماع لخطبة الجمعة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1]. ذكر البخاري في سبب نزول هذه الآية: "عن جابر ﷺ قال: أقبلت عير ونحن نصلي مع النبي ﷺ الجمعة، فانفض الناس إلا اثني عشر رجلًا، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ ﴾ "[2]. والمعنى: "وإذا رأى المؤمنون عير تجارة، أو لهوًا، انفضوا إليها يعنى: أسرعوا إلى التجارة وتركوك قائمًا، يقول للنبي ﷺ: وتركوك يا محمد قائمًا على المنبر، وذلك أن التجارة التي رأوها فانفض القوم إليها وتركوا النبي ﷺ قائمًا كانت زيتًا قدم به دحية بن خليفة من الشام"[3].

"وأمر الله نبيئه ﷺ أن يعظهم بأن ما عند الله من الثواب على حضور الجمعة خير من فائدة التجارة ولذة اللهو. وكذلك ما أعد الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق جزاء لهم على إيثارهم جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه وإن كان كثيراً ورب رزق قليل ينتفع به صاحبه ويعود عليه بصلاح"[4].

ويبدو للباحث أن المقام مقام تأديب وزجر وإنكار على ما بدر من الذين أعرضوا عن سماع خطبة الجمعة، وآثروا اللحاق بأعراض الدنيا من تجارة أو لهو، فكان إعراض هؤلاء

---

[1] سورة الجمعة الآية: 11.

[2] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**: كتاب: البيوع. باب: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقال قتادة: كان القوم يتجرون، ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله. رقم الحديث. (1958). (728/2). ومسلم: **صحيح مسلم**: كتاب: الجمعة. باب: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ . رقم الحديث. (863). (590/2).

[3] الطبري: **جامع البيان**. (103/28).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (229/28).

النفر من الصحابة ليس في مكانه. فنزل القرآن ليهديهم سواء السبيل ويذكرهم بأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة.

كما أنَّ في هذا الموقف ما يشير إلى إعراض عدد من المسلمين عن اللحاق بمن ترك رسول الله ﷺ قائمًا يخطب وهذه شهادة لهم بالخير وعلامة على حسن الأدب والتوقير.

وبناء على ما سبق فإن مقتضى الأدب الرفيع الذي ينبغي أن يكون عليه المستمع هو الإعراض عن التجارة، واللهو وحطام الدنيا والإصغاء إلى الخطبة والموعظة وحديث الدين والإيمان، فإن هذا هو الأولى في مثل ذلك المقام .

المبحث الثاني

المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم

في هذا المبحث يلقي الباحث الضَوْء على المُعْرَض عنهم تأدبًا في القرآن الكريم سواء أكانوا أشخاصًا أم أقوالًا أم أفعالًا، وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الإعراض عمّا ذكر بصيغ دالة على لزوم الإعراض أدبًا وذوقًا وسُمُوًّا في التعامل والتعاطي.

المطلب الأول: المشركون:

الفرع الأول: أنواع الشرك:

يقسم أهل العلم الشرك إلى نوعين:

الأول: الشرك الأصغر: وهو لا يخرج صاحبه من الملة بل يضيِّع الأجر، ويحبط العمل، وهو الذي يطلق عليه الرياء.

الثاني: الشرك الأكبر: ويكون بإثبات الشريك لله تعالى، وهذا ينافي أصل التوحيد، وهو مخرج لصاحبه من ملة الإسلام[1].

والذي يعني الباحث في هذا المقام هو النوع الثاني من الشرك؛ الذي كان من مشركي العرب خصوصًا في مراحل الدعوة الإسلامية الأولى في مكة المكرمة.

وهذا لا ينفي انتهاءَ ظاهرة الشرك بين البشر وانتفائَها في عالم اليوم بل قد يوجد الشرك في أي زمان أو مكان إلى قيام الساعة خصوصًا في ديار غير المسلمين.

الفرع الثاني: أدب الإعراض عن المشركين:

تعددت الآيات الكريمة الداعية إلى الإعراض عن المشركين ومن ذلك؛ قول الله جل وعلا: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2].

---

[1] انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:262-263). والحكمي، حافظ بن أحمد. ت:1377هـ: **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**. 3مج. تحقيق: عمر بن محمود عمر. ط1. الدمام- السعودية: دار ابن القيم. 1410هـ- 1990م. (475/2).

[2] سورة الحجر الآية: 94.

قال القرطبي: "أي عن الاهتمام باستهزائهم وعن المبالاة بقولهم، فقد برأك الله عما يقولون"[1]، قال ابن إسحاق: "فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابرًا، محتسبًا، مؤديًا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم التكذيب والأذى، وكان عظماء المستهزئين... خمسة نفر من قومهم وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم... أبو زمعة... الأسود بن عبد يغوث... الوليد بن المغيرة... العاص بن وائل... الحارث بن الطلاطلة... فلمّا تمادوا في الشر، وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[2،3].

إنه التوجيه الرباني للنبي ﷺ وهو يخطو خطوات البداية في الصدع بالدعوة الجديدة وهو أمر للنبي محمد ﷺ بالمضي قدمًا على درب التوحيد، ودعوة الخلق للدين الجديد، والترفَّع عن الانشغال بعبارات الاستهزاء والصد من أعداء الدعوة. فهذا تأديب رباني كريم لرسوله ﷺ بأن يرنو ببصره نحو الهدف السامي والغاية العليا وهي تعبيد الخلق لربهم، وتحريرهم من ربقة العبودية والاستخذاء للطاغوت. فمن كانت مهمته كذلك لا ينبغي له أن ينشغل بما هو أدنى وأصغر، فإن الوقت أثمن من أن يُضَيَّعَ في الرد على استهزاء المشركين.

ويتأكد التأديب الرباني للنبي ﷺ في مواقف كثيرة في خضم دعوة المشركين قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[4].

قال الطبري: "دع عنك جدالهم وخصومتهم"[5]، ويشير البقاعي إلى أن الأمر بالإعراض في الآية الكريمة يعني " بغير التبليغ، فإنه ما عليك غيره، ومزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أُريدت شقوته إلا تماديًا في إشراكه وارتباكًا في قيود أشراكه[6،7].

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (62/10).

[2] سورة الحجر الآيات: 94 -96.

[3] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. ت: 213هـ : **السيرة النبوية**. 3مج. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. ط1. بيروت: دار الجيل. 1411هـ- 1990م. (256/2- 257).

[4] سورة الأنعام الآية: 106.

[5] الطبري: **جامع البيان**. (308/7).

[6] أَشْرَاكِه: "الشَّرَك: حبالة يرتبك فيها الصيد، الواحدة شَرَكَة". الفراهيدي: **العين**. (294/5).

[7] البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. ت: 855هـ: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 8مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بدون ط. بيروت: دار المكتبة العلمية. 1415هـ- 1995م. (693/2).

ويلفت أبو السعود الانتباه إلى المناسبة بين الأمر بالإعراض عن المشركين وما صدر عنهم بقوله: "لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمره ﷺ بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم؛ أي دم على ما أنت عليه من إتباع ما أوحي إليك من الشرائع والأحكام التي عمدتها التوحيد... لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفًا"[1].

وهذا دفع باتجاه التسامي في التفكير والاهتمام والسلوك والارتفاع عن أقاويل صغار البشر في العقول والأفكار والتصورات الضيقة.

ولا يقتصر الأمر بالإعراض على الرسول ﷺ، بل بملاحظة الآيات اللاحقة يظهر التأديب للأتباع من المؤمنين، يقول سيد قطب: "ومع أمر الرسول ﷺ بالإعراض عن المشركين فقد وجه المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض في أدب وفي وقار، وفي ترفع يليق بالمؤمنين. لقد أمروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سب الله سبحانه وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة الحقيرة ذريعة لسبِّ الله الجليل العظيم: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2] ... وهو أدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه، الواثق من الحق الذي هو عليه، الهادئ القلب، الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور. فإن سبَّ آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عنادًا. فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه، وإنما قد يجرهم إلى سماع ما يكرهون. من سبِّ المشركين لربهم الجليل العظيم"[3].

وتتعدد الآيات الموجهة للرسول عليه الصلاة والسلام لطريقة التعامل مع المشركين المتولين عن ذكر الله تعالى قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[4]. "أي اترك مجادلتهم فقد بلغت وأتيت بما كان عليك. وأكثر المفسرين[5]

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (171/3).

[2] سورة الأنعام الآية: 108.

[3] قطب، سيد إبراهيم. ت: 1387هـ: **في ظلال القرآن**. 6مج. ط17. بيروت، القاهرة: دار الشروق. 1412هـ-1992م. (1169/2).

[4] سورة النجم الآية: 29.

[5] انظر: السمعاني: **تفسير القرآن**. (297/5). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (75/8). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**.(105/17). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (161/8). والمحلي والسيوطي: **تفسير الجلالين**. (ص: 702).

يقولون: بأن كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ ﴾، منسوخ بآية القتل (السيف) وهو باطل، فإن الأمر بالإعراض موافق لآية القتال، فكيف ينسخ به؟ وذلك لأن النبي ﷺ كان مأمورًا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلمّا عارضوه بأباطيلهم قيل له: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1] ثم لمّا لم ينفع قال له ربه: فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فإنهم لا يتبعون إلا الظن، ولا يتبعون الحق، وقابلهم بالإعراض عن المناظرة بشرط جواز المقابلة فكيف يكون منسوخًا؟"[2].

ومن المفسرين من يقول : إن المراد (بالإعراض) في هذه الآية: نهي الرسول ﷺ عن الدعوة والاهتمام والعناية بشأن من شغل قلبه في الدنيا، وكانت هي منتهى الهمة، وغاية السعي والمقصد، فهذا الصنف لا تزيده الدعوة إلا عنادًا وإصرارًا على الباطل[3].

قال الآلوسي: "والمراد من الأمر المذكور النهي عن المبالغة في الحرص على هداهم كأنه قيل: لا تبالغ في الحرص على هدى من تولى عن ذكرنا وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه"[4].

والذي يميل إليه الباحث أن مقصود الأمر بالإعراض ليس ترك الدعوة بالكلية فإن هذا يتنافى مع أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بوجوب الدعوة والإنذار، لكن المراد كما ذهب إليه الآلوسي: هو عدم المبالغة وإذهاب النفس عليهم حسرات، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾[5]، والمعنى "لا تغتم لكفرهم ولا تتحسر على تركهم الإيمان"[6].

وفي هذا تسلية وتأديب من الله تعالى لرسوله ﷺ بالكف عن دعوة من يستبد بنفسه الإشراك والكفر في بعض المواقف. قال أبو طالب المكي: "ففي دليله الإقبال بالصحبة على من

---

[1] سورة النحل الآية: 125.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (268/28).

[3] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (257/5). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (161/8).

[4] الآلوسي: **روح المعاني**. (60/27).

[5] سورة فاطر الآية: 8.

[6] الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (890/2).

أقبل إلى ذكره تعالى، والإعراض عمن أعرض عن وجهه، فلا تصحبن إلا مقبلًا عليه... وإياك أن تصحب من الناس خمسة: المبتدع والفاسق والجاهل والحريص على الدنيا والكثير الغيبة للناس، فإن هؤلاء مفسدة للقلوب، مذهبة للأحوال، مضرة في الحال والمآل... وقال سعيد بن المسيب[1]: لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة"[2]. ولا شك في أن الشرك أعظم أنواع الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[3].

المطلب الثاني: الجاهلون

تباينت تعريفات العلماء للجاهلية قديمًا وحديثًا، وبتتبع الباحث لعدد من هذه التعريفات وجد أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: يرجعها إلى فترة زمنية محددة فعُرِّفَت: بأنها الفترة الزمنية التي سبقت نبوة النبي ﷺ[4].

الثاني: يرجعها إلى حالة أو وضع: فيطلق وصف الجاهلية على: المخالفة وعدم الاحتكام للقرآن والسنة واتباع الهوى[5].

ويميل الباحث إلى الأخذ بالرأي الثاني الذي يقول: إن الجاهلية وصف لحالة رفض الاهتداء بهدى الله ﷻ واتباع لهوى النفس، وهذا لا يتقيد بزمن محدد، ولا يشترط فيه عدم العلم، وهذا

---

[1] سعيد بن المسيِّب: هو ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي يكنى أبا محمد من سادات التابعين، روى عنه جمع كبير، وهو من علماء المدينة، ومن أفقه التابعين، مات نحو سنة 94هـ. انظر: المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج. ت: 742هـ: **تهذيب الكمال**. 35مج. تحقيق: د.بشار عواد معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1400هـ- 1980م. (11/ 66- 75).

[2] أبو طالب المكي محمد بن علي عطية الحارثي. ت:286هـ: **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**. 2مج. تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي. ط2. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1426هـ- 2005م. (391/2).

[3] سورة لقمان الآية: 13.

[4] انظر:ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب. (614/5). والنووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**. (87/3). ابن حجر: **فتح الباري**. (85/1). والعيني: **عمدة القاري**. (51/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**: (47/3). والقاري، علي بن سلطان محمد. ت: 1014هـ: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. 11مج. تحقيق: جمال عيتاني. ط1. لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ- 2001م. (54/3). وابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (13/22). وجريشة، الدكتورعلي محمد: **نحو نظرية للتربية الإسلامية**. ط1. مصر: مكتبة وهبة. 1406هـ - 1986م. (ص:93 -94).

[5] انظر: ابن زمنين: **تفسير القرآن العزيز**. (32/2). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (516/3). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (333/2). وجريشة: **المشروعية الإسلامية العليا**. (ص:87). وقطب، محمد إبراهيم: **جاهلية القرن العشرين**. بدون ط . القاهرة بيروت: دار الشروق. 1408هـ- 1988م. (ص:8).

لا يتنافى مع إطلاق تسمية الجاهلية على المُدَّةِ التي سبقت دعوة الإسلام؛ لأن أبرز ما يميزها اتباع الناس لأهوائهم في شأنهم كله.

يؤيد ذلك:

1 - جانب من المعنى اللغوي للفظة الجاهلية.

2 - قول الرسول ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: "إنك امرؤ فيك جاهلية"[1]، رغم أن أبا ذر صحابي جليل، ولكنه وصف بهذا الوصف لحالة من الزلل عن هدى الشرع حيث عَيَّر بلالًا بسواد أمه الأعجمية[2].

أدب الإعراض عن الجاهلين:

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[3] فالمراد من الآية الكريمة تأديب النبي ﷺ والمسلمين بحسن العشرة مع الناس[4] قال جعفر الصادق[5]: "ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"[6].

ففي الآية الكريمة أمر للرسول ﷺ بالصبر على سوء أخلاق الجاهلين، ودعوة إلى التنزه والاستعلاء والترفع عن منازعتهم في أقوالهم وأفعالهم الخسيسة، فالمطلوب منه ﷺ الحلم والغض عما يسيء وعدم مقابلة السفاهة بمثلها[7].

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الإيمان. باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك. رقم الحديث(30). (20/1). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإيمان. باب: إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفْه ما يغلِبُه. رقم الحديث (1661). (1282/3).

[2] انظر: ابن حجر: **فتح الباري**. (86/1).

[3] سورة الأعراف الآية: 199.

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (155/9).

[5] جعفر الصادق: هو ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه فروة بنت القاسم يقال: ولد سنة ثمانين روى عنه عدد من التابعين كان عابدًا، وهو من سادات أهل البيت في الفقه والعلم والفضل والجود مات سنة ثمان وأربعين ومائة عن ثمان وستين، ودفن بالبقيع. انظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد. ت: 902هـ: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. 20مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414هـ-1993م. (241/1-242).

[6] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (345/7). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (432/9).

[7] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (179/2). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (344/7). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (432/9).

قال سيد قطب: "والإعراض يكون بالترك والإهمال؛ والتهوين من شان ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، والمرور بها مر الكرام، وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد، وقد ينتهي السكوت عنهم والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها بدلًا من الفحش في الرد، واللجاج في العناد، فإن لم يؤد هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير، إذ يرون صاحب الدعوة محتملًا معرضًا عن اللغو، ويرون هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون فيسقطون من عيونهم ويُعزلون، وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس"[1].

فهي إذن الآداب الرفيعة، والمكارم العالية التي يؤدب الله تعالى بها نبيه ﷺ، وفي هذا تأديب لأمته من بعده في كيفية التعامل مع الفئة الجاهلة السفيهة.

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

"وَاصْبِرْ عَلَى ظُلْمِ السَفِيْهِ وَلِلزَمَانِ عَلَى خُطُوْبِهِ

وَدَع الجَوَابَ تَفَضُّلًا وَكِلِ الظَّلُوْمَ إِلَى حَسِيْبِهِ"[2]

"قال بعض الحكماء: السكوت عن السفيه جواب والإعراض عنه عقاب"[3]، فالسكوت والإهمال وعدم إعارة السفهاء والوضعاء اهتمامًا ومِن ثَمَّ إشعارهم بالمَنْقَصَة فيه قَمْع لانحرافهم وزجر وتأديب لإسفافهم.

قال الشافعي:

"إذا نَطَقَ السَّفِيهُ فلا تُجِبْهُ فَخَيرٌ مِنْ إِجَابتِهِ السُّكُوتُ

فَإِنْ كَلَّمْتَه فَرَّجْتَ عَنْهُ وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا[4] يَمُوتُ"[5] .

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (1419/3).

[2] ابن أبي طالب، علي. ت: 40هـ: **ديوان الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ. 1مج. شرح: الدكتور يوسف فَرَحات. ط5. بيروت- لبنان: دار المعرفة. 1429هـ- 2008م. (ص:30). جامع الديوان عنونه بـ (ديوان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ) فإن قصد بالإمام خليفة المسلمين أو أحد علمائهم فلا ضير ، والأَوْلى تركه في نظر الباحث، وإن قصد بالإمام إمام الشيعة فالباحث لا يوافقه على ذلك والله أعلم.

[3] الوطواط: **غرر الخصائص الواضحة**. (ص:106).

[4] "الكَمَدُ: أَشَدّ الحُزْنِ". ابن منظور: **لسان العرب**.(381/3).

[5] الشافعي: **ديوان الإمام الشافعي**. (ص: 22- 23).

وقد مدح الله عباده وأثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[1]، "والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء الرِّعَةِ[2] من قوله (أي عمرو بن كلثوم)"[3]:

"أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فنَجْهَل فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا"[4]

فالإعراض عن الجاهلين من صفات عباد الرحمن؛ "لأن الإغضاء عن السفهاء، وترك المقابلة، مستحسن في الأدب، والمروءة، والشريعة، وأسلم للعِرْضِ والوَرَع"[5]. "وعن الحسن قال: حلماء لا يجهلون وإن جُهِلَ عليهم حلموا ولم يسفهوا"[6].

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

"وَكُنْ صَاحِبًا للحِلْمِ في كُلِ مَشْهَدٍ فما الحِلْمُ إلا خَيرُ خِدْنٍ[7] وَصَاحِبِ"[8]

فالمراد من الآية الكريمة ترك مقابلة الجهلة السفهاء في الكلام مع إحسان في القول والخلق[9].

ويذهب الباحث إلى أن المراد بالجاهلين: عمومهم في كل زمان، وفي كل حال. وفيما يخص قول عباد الرحمن: ﴿ سَلَٰمٗا ﴾، فسرها مجاهد بسداد القول[10]، فإعراض المؤمنين عن خطاب الجاهلين أسلم وأورع، قال صاحب المنار: "الإعراض عن الجاهلين، وهم السفهاء بترك معاشرتهم، وعدم مماراتهم، ولا علاج أَوْقَى لأذاهم من الإعراض عنهم"[11].

---

[1] سورة الفرقان الآية: 63.

[2] الرِّعَةُ: "الشَّأنُ والأَمْرُ والأَدَبُ". الزبيدي: **تاج العروس**. (315/22).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (297/3).

[4] عمرو بن كلثوم، بن مالك بن عتاب التغلبي.ت:**52 ق.هـ= 570م): ديوان عمرو بن كلثوم**. ط1. بيروت - لبنان. دار صادر. 1417هـ -1996م. (ص:62). والقرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب. ت:170هـ: **جمهرة أشعار العرب**. 1مج. تحقيق: عمر فاروق الطباع. بدون ط. بيروت: دار الأرقم. (ص:123).

[5] الزمخشري: **الكشاف**. (297/3).

[6] الطبري: **جامع البيان**. (35/19).

[7] الخِدْن: من"يكون معك في كل أمرٍ ظاهرٍ وباطنٍ". الأزهري: **تهذيب اللغة**. (125/7).

[8] ابن أبي طالب: **ديوان الإمام علي** ﷺ. (ص:26).

[9] انظر: القشيري: **لطائف الإشارات**. (393/2). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (227/4).

[10] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (35/19).

[11] رضا محمد رشيد علي. ت: 1354هـ: **تفسير القرآن الحكيم** المشهور بـ **(تفسير المنار)**. 12مج. ط4. مصر: دار المنار. 1373هـ - 1954م. (537/9).

قال الشافعي:

"والصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ وَفِيْهِ أَيْضًا لِصَوْنِ العِرْضِ إصلَاحُ"[1]

المطلب الثالث: الخائضون في آيات الله تعالى

أدب الإعراض عن الخائضين في آيات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]. ذكر الرازي في تعريف الخَوْضِ بأنه: "الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء"[3]. وعَرَّفه الطَبَرِسي فقال: "والخوض: التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين"[4].

واختلف في المراد بالخطاب في الآية الكريمة، فقيل: "الخطاب مجرد للنبي ﷺ، وقيل: إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو صحيح؛ فإن العلة سماع الخوض في آيات الله وذلك يشملهم وإياه"[5].

حذَّر الغزالي من خطر الخَوْضِ قائلًا: "ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة"[6].

إن الخطاب في الآية الكريمة وإن كان موجهًا إلى الرسول ﷺ بصريح اللفظ، إلا أنه يعم جميع المسلمين، وهذا ما رجحه عدد من المفسرين[7]. وهو ما يميل الباحث إلى ترجيحه، والله أعلم.

---

[1] الشافعي: **ديوان الشافعي**. (ص:33).

[2] سورة الأنعام الآية: 68.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (21/13).

[4] الطَبَرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. ت:538هـ: **مجمع البيان في تفسير القرآن**. 6مج. بدون ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1380هـ- 1961م. (94/7).

[5] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (12/7).

[6] الغزالي: **إحياء علوم الدين**. (111/3).

[7] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (304/2). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (12/7). وابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (289/7).

وقد حرم الله سبحانه وتعالى المشاركة للخائضين في آيات الله تعالى على رسوله سواء أكان بالمجالسة والتكلم معهم في ذلك، أم كرهه وهذا يدل على أن مجالسة أهل المنكر لا تحل[1].

والإعراض في هذا المقام تأديب للنبي ﷺ وللمؤمنين "فأَدَّبَ الله ﷻ نبيه ﷺ بهذه الآية لأنه كان يقعد إلى قوم من المشركين يعظهم ويدعوهم فيستهزئون بالقرآن. فأمره الله أن يعرض عنهم إعراض منكر، ودل بهذا على أن الرجل إذا علم عن الآخر منكرًا، وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يُقْبِلُ عليه"[2].

ويوضح ابن عاشور فائدة الإعراض عن الخائضين في آيات الله ﷻ قائلًا: "وفائدة هذا الإعراض زجرهم، وقطع الجدال معهم، لعلهم يرجعون عن عنادهم"[3]، لذلك جاء النهي عن مجالستهم؛ لأن " الإقبال على الخائضين، والقعود معهم أقل ما فيه أنه إقرار لهم على خوضهم، وإغراء بالتمادي فيه، وأكبره أنه رضاء به ومشاركة فيه"[4].

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾[5]. ويذهب الطبري إلى ترجيح أن المقصودين بالآية الكريمة هم: مشركو قريش[6]. وقد أشار الرازي إلى أن المراد بهذا الأمر التهديد فقال: "مذكور لأجل التهديد، وذلك لا ينافي حصول المقاتلة، فلم يكن ورود الآية الدالة على وجوب المقاتلة رافعًا لشيء من مدلولات هذه الآية، فلم يحصل النسخ فيه والله أعلم"[7].

---

[1] انظر:ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. ت: 543هـ: **أحكام القرآن**. 4مج. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بدون ط . بيروت: دار الفكر. (260/2).

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (12/7).

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (289/7).

[4] رضا: **تفسير المنار**. (506/7).

[5] سورة الأنعام الآية: 91.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (268/7).

[7] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (65/13).

إذن فَلْيَبْقَ هؤلاء المشركون على جهلهم وضلالهم يلعبون ويلهون كما الصِّبية الذين يلعبون، فسوف يدركون لمن تكون العاقبة لهم أم لعباد الله ﷻ المهتدين بهديه.

المطلب الرابع: أهل الكتاب (اليهود):

أدب الإعراض عن اليهود:

هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واليهود يسكنونها، "وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ، ويتعنتونه، ويأتونه باللبس؛ ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه"[1].

وقد ظهرت رعاية الله تعالى لرسوله ﷺ، وتعهده بالتوجيه والتأديب والإرشاد في كيفية التعامل مع يهود، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

تعددت الروايات فيمن أريد بهذه الآية من اليهود فقيل:

- نزلت في شأن دفع الدية بسبب حادثة القتل بين بني النضير وبني قريظة، وكان بنو النضير ذوي شرف تؤدى لهم الدية كاملة وبنو قريظة يؤدون نصف الدية.
- وقيل: نزلت بشأن حادثة الزنا بين يهودية ويهودي، وأن اليهود تحاكموا إلى النبي ﷺ فرجمها[3].
- وقيل: "نزلت في حكم اليهود، مثل كعب بن الأشرف[4] ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم"[5].

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**. (46/3).

[2] سورة المائدة الآية: 42.

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (243/6). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (360/2).

[4] كعب بن الأشرف: "وهو من طيئ، وأمه من بني النضير، وكان في أخواله سيدًا وبكى قتلى بدر، وشبب* بنساء رسول الله ﷺ ونساء المسلمين فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه". الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**. (282/1 -283).

* شَبب: "وشبب بالمرأة: قال فيها: الغزل والنَّسيب*". ابن منظور: **لسان العرب**. (481/1).

* النَّسيب: "رقيق الشعر في النساء". ابن منظور: **لسان العرب**. (756/1).

[5] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي. ت: 725هـ: **لباب التأويل في معاني التنزيل**. 7مج. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الفكر. 1399هـ- 1979م. (55/2).

والتخيير لحكام المسلمين باق لم ينسخ[1].

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

قال ابن عاشور: "وأَمْره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق؛ وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ، وليس المقام ذكر المناواة[3] القومية أو الدينية"[4].

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

"يحذر تعالى عباده المؤمنين سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم، وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال حتى يأتي أمر الله"[6].

"والأمر بالعفو والصفح هو أن لا يُقَاتَلوا، وأن يُعْرَضَ عن جوابهم، فيكون أدعى لتسكين الثائرة وإطفاء الفتنة، وإسلام بعضهم، لا أنه يكون ذلك على وجه الرضا؛ لأن ذلك كفر"[7].

وقد وصف ابن عاشور الأمر بالعفو والصفح عن اليهود "تلطفًا من الله مع المسلمين في حملهم على مكارم الأخلاق"[8].

---

[1] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (194/2). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (501/3).

[2] سورة المائدة الآية: 13.

[3] "المُنَاوَأَةُ: المُعَادَاةُ". ابن منظور: **لسان العرب**.(178/1).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (145/6).

[5] سورة البقرة الآية: 109.

[6] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (154/1).

[7] أبو حيان: **البحر المحيط**. (519/1).

[8] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (671/1).

المطلب الخامس: المنافقون

أدب الإعراض عن المنافقين:

لم تكن ظاهرة النفاق في مكة المكرمة؛ وذلك لأن المسلمين كانوا في مرحلة من الضعف والاستضعاف، ويرتبط ظهور النفاق بوجود السلطان والقوة والغلبة وهذا كله لم يكن للمسلمين قبل الهجرة، فلما قامت دولة الإسلام في المدينة المنورة برزت ظاهرة النفاق، ووجد المنافقون الكارهون للإسلام وأهله؛ ذلك أن قيام دولة الإسلام فوتت فرصة الملك لزعيم جماعة المنافقين عبد الله بن أُبَيّ بن سلول "فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله تعالى برسوله وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرًا على نفاق وضغن"[1]، فجاءت الآيات الكريمة توجه الرسول ﷺ والمسلمين إلى أفضل طرق التعامل وأنجعها مع هذه الفئة.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[2] ."سئل حذيفة (بن اليمان ﷺ) ما المنافق؟ قال: الذي يصف الإيمان ولا يعمل به"[3]. قال الطبري: "هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم يعلم الله ما في قلوبهم... فدعهم، فلا تعاقبهم في أبدانهم، وأجسامهم، ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم"[4].

ولعل قائلًا يقول: حينما قامت دولة الإسلام في المدينة المنورة وتحققت للمسلمين القوة ، وصار المنافقون معلومين بكفرهم، وتربصهم بالمسلمين، فَلِمَ لم يتم التخلص منهم والاستراحة من شرورهم؟ ويجيب على هذا التساؤل ابن العربي فيقول: "والصحيح أن النبي ﷺ إنما أعرض عنهم تألفًا ومخافةً من سوء المقالة الموجبة للتنفير"[5].

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**. (127/3-128).

[2] سورة النساء الآية: 63.

[3] الشيباني: عبد الله بن أحمد بن حنبل. ت: 290هـ: **السنة**. 2مج. تحقيق: د.محمد سعيد سالم القحطاني. ط1. الدمام: دار ابن القيم. 1406هـ- 1985م. (372/1).

[4] الطبري: **جامع البيان**. (156/5).

[5] ابن العربي: **أحكام القرآن**. (21/1).

ويؤكد ذلك سيد قطب بقوله: "ولكن السياسة التي كانت متبعة في ذلك الوقت مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم، وأخذهم بالرفق، واطراد الموعظة والتعليم"[1].

ولعل هذا يبرز التربية الربانية، والتوجيه إلى السياسة الحكيمة، والتأديب الراقي، والرفيع لرسول الله ﷺ، ومِنْ بعده حكام المسلمين في التعامل مع هذه الفئة المنافقة، وهذا الأدب في التعامل أبرز الحكمة النبوية في صورتها البهية في التعامل مع المناوئين المنافقين، والسياسة الراشدة في إخماد بواعث الفتنة في الدولة الإسلامية الفتية، قال صَعْصَعَةُ بن صُوْحَان[2]: "إذا لقيت المؤمن فخالطه مخالطة وإذا لقيت المنافق فخالفه مخالفة"[3].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[4]. يقول الآلوسي معلقًا على قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّتُونَ ۖ ﴾: "أي جماعة وهم رؤساؤهم (من المنافقين)، والتبييت إما من البيتوتة؛ لأنه تدبير الفعل ليلًا والعزم عليه ... وإما من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ويسويه"[5].

فعلى الرغم من أن القرآن يكشف عن حقائق ما يكنون ويفعلون، إلا أنَّ "الخُطَّة التي وجه الله إليها نبيه ﷺ في معاملة المنافقين، هي أخذهم بظاهرهم لا بحقيقة نواياهم، والإعراض والتغاضي عما يبدو منهم، وهي خطة فتلتهم في النهاية وأضعفتهم وجعلت بقاياهم تتوارى ضعفًا وخجلًا"[6].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (695/2).

[2] صَعْصَعَةُ بن صُوْحَان: هو ابن حجر العبدي الكوفي. كان شيعيًا شريفًا مطاعًا خطيبًا مفوهًا شهد صفين* قيل: قتل يوم الجمل، وقيل: مات في خلافة معاوية. انظر: الذهبي: **تاريخ الإسلام**. (240/4). واليمني: **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. (ص:173).

* صِفِّين: "وهو موضع بقرب الرّقّة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ... وكانت وقعة صِفِّين بين علي ﷺ ومعاوية في سنة 37(هـ)". الحموي: **معجم البلدان**. (414/3). ويقول الباحث: ومعاوية ﷺ.

* الجَمل: وَقْعَة الجمل كانت بين علي ﷺ وعائشة ﷺ عند الخُرَيبة بلفظ تصغير خِرْبَة موضع بالبصرة. انظر: الحموي: **معجم البلدان**. (363/2).

[3] أبو طالب المكي: **قوت القلوب**. (391/2).

[4] سورة النساء الآية: 81.

[5] الآلوسي: **روح المعاني**. (91/5 -92).

[6] قطب: **في ظلال القرآن**. (720/2).

ويتوالى تأكيد هذا الأدب في التعامل مع هذه الفئة المنافقة ليخاطب بذلك المؤمنين قال تعالى: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[1]. فهؤلاء المعتذرون بالباطل جاءوا يحلفون؛ ليعرض المؤمنون عنهم فلا يوبخونهم، ولا يؤاخذونهم على تخلفهم ويظهرون الرضا عنهم[2].

"ثم يوجهه ربه(أي النبي ﷺ) إلى الإعراض عنهم فعلًا، لكن لا بمعنى العفو والصفح إنما بمعنى الإهمال والاجتناب معللًا ذلك بأنهم دنس يُتَجنب ويُتَوقى، ﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ ﴾، وهو التجسيم الحسي للدنس المعنوي فهم ليسوا رجسًا أي دنسًا بأجسادهم وذواتهم، إنما هم رجس بأرواحهم وأعمالهم. ولكنها الصورة المجسمة أشد بشاعة وأبين قذارة، وأدعى إلى التقزز والاشمئزاز وإلى الاحتقار كذلك والازدراء"[3].

المطلب السادس: الكافرون والمستهزئون (اللّاعبون اللّاهون)

أدب الإعراض عن الكافرين والمستهزئين

قال ابن مسكويه: "وأما الاستهزاء فإنه يستعمله المُجّان من الناس والمُساخر، ومن لا يبالي بما يُقابل به"[4]. قال تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[5].

---

[1] سورة التوبة الآية: 95.

[2] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**. (395/2).

[3] قطب: **في ظلال القرآن**. (1696/3).

[4] ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. ت: 421هـ: **تهذيب الأخلاق**. 1مج. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1401هـ -1981م.(ص:164).

[5] سورة النساء الآية: 140.

قال الطبري: "والاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله، وفعله به مورثه مساءة باطنًا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر"[1].

"قال بعض المحققين: إن المقصود من الخطاب هنا: المؤمنون الصادقون. والمراد بمن يكفر ويستهزئ أعم من المنافقين والكافرين"[2].

فالآية الكريمة تؤدب أهل الإسلام عمومًا بالإعراض عن مجالسة الكفرة المستهزئين بل كل من يخوض بالانتقاص واللمز للإسلام وأهله؛ وذلك يكون بـــ"إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط"[3]، وذلك لغاية عظيمة، وحكمة جليلة، "وهي وجوب إظهار الغضب لله من ذلك"[4].

إن الآية الكريمة تدل على النهي عن مجالسة أهل المعاصي والمبتدِعة والفَسَقَةِ والمستهزئين بشأن الإسلام وأهله[5]. "فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس فإما أن يدفع وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة وهو المَعْبَرُ بين الإيمان والكفر على قنطرة الإيمان"[6].

قال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[7]. والمعنى كما قال الطبري: "يقول تعالى

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (133/1).

[2] الآلوسي: **روح المعاني**. (173/5).

[3] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (245/2).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (235/5).

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (330/5). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (125/2). والآلوسي: **روح المعاني**. (174/5).

[6] قطب: **في ظلال القرآن**. (781/2).

[7] سورة الأنعام الآية: 70.

ذكره لنبيه محمد ﷺ ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبًا ولهوًا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته، واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فإني لهم بالمرصاد..."[1].

قال الزمخشري: "ومعنى ذَرْهُمْ: أعرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم"[2].

قال الرازي: "أعرض عنهم وليس المراد أن يترك إنذارهم؛ لأنه تعالى قال بعده: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[3]. والمراد: ترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا يترك إنذارهم وتخويفهم"[4].

يقول سيد قطب: "إن الرسول ﷺ - وينسحب الأمر على كل مسلم مأمور أن يهمل شأن الذين يتخذون دينهم لعبًا ولهوًا، وهذا يتم بالقول كما يتم بالفعل"[5].

فإهمال اللاعبين اللاهين وتجاهلهم رسالة صامتة قوية تحمل في طياتها معاني الإنكار والرفض، وهو تعبير صامت؛ قد يكون أقوى من الكلام في مثل هذا الجو من اللعب واللهو والفوضى وعدم وجود القابلية والاستعداد للاستماع عند الطرف الآخر، ولكن هذا الموقف من المسلم ليس على الإطلاق بل يكون في أوضاع استثنائية كمن يعيش في بيئة جاهلية أو مجتمع غير مسلم، أما ما عدا ذلك فعندها لا بد من الحزم والحسم في الانتصار لدين الله تعالى وفق قواعد إنكار المنكر وفقهه.

وقد تحصل المخالطة، ولكن"المخالطة بقصد الموعظة، والتذكير، وتصحيح الفاسد والمنحرف من آراء الفاسقين تبيحها الآية في الحدود التي بينتها. أما مخالطة الفاسقين والسكوت عما يبدونه من فاسد القول والفعل من باب التَّقِيَّةِ[6] فهو المحظور؛ لأنه - في ظاهره - إقرار

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (231/7).

[2] الزمخشري: **الكشاف**. (35/2).

[3] سورة النساء الآية: 63.

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (23/13).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (1128/2).

[6] التَّقِيَّة: "كتمان الحق، أو ترك اللازم، أو ارتكاب المنهي خوفًا من الناس". ابن عبد الوهاب، محمد:1206هـ: **رسالة في الرد على الرافضة**.1 مج. تحقيق: الدكتور ناصر بن سعد الرشيد. ط1. الرياض: مطابع الرياض. (ص:21).

للباطل، وشهادة ضد الحق. وفيه تلبيس على الناس، ومهانة لدين الله، وللقائمين على دين الله وفي هذه الحالة يكون النهي والمفارقة"[1].

المطلب السابع: اللغو

أدب الإعراض عن اللغو:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[2].

عرَّف الزمخشري اللغو بقوله: "ما لا يعنيك من قول، أو فعل؛ كاللعب والهزل، وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحه"[3]. وقيل في تعريفه: "اللغو وهو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود"[4].

ومن هذين التعريفين يلحظ الباحث أن كل كلام ساقط مطروح عديم الفائدة فهو من اللغو وفضول الكلام.

والمراد باللغو المنهي عنه في الآية المرقومة : ما كان سبًا وأذى، فأدب أهل الإسلام الإعراض عنه[5]، فكل ما يسوء ويقبح من القول داخل في عموم اللغو المنهي عن سماعه وحضوره، فالآية الكريمة تشير إلى أدب المؤمنين عند سماعهم اللغو بأنهم عنه معرضون؛ "أي عن مباشرته وحضوره والتسبب فيه"[6].

"وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على بعدهم عنه رأسًا مباشرةً وتسببًا وميلًا وحضورًا"[7].

فالمؤمن يربأ بنفسه عن أن يجلس في مجالس اللغو، فهو مُعْرِضٌ عن هذه الآفة "فيشمل الإعراض إعراض السمع عن اللغو... ويشمل الإعراض عن اللغو بالألسنة... والإعراض عنه

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (2/1129-1130).

[2] سورة القصص الآية: 55.

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (3/179).

[4] النووي: **شرح النووي على صحيح مسلم**. (6/138).

[5] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (4/292).

[6] الجمل الشيخ سليمان. ت: 1204هـ :**حاشية الجمل على الجلالين**. 4مج. بدون ط.المكتبة الإسلامية. (3/183).

[7] البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (4/147). وانظر: أبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (6/124). والآلوسي: **روح المعاني**. (4/18).

يقتضي بالأولى اجتناب قول اللغو، ويقتضي تجنب مجالس أهله[1]". قال ابن عاشور: "واعلم أن هذا أدب عظيم من آداب المعاملة مع بعض الناس، وهم الطبقة غير المحترمة؛ لأن أهل اللغو ليسوا بمرتبة التوقير فالإعراض عن لغوهم رَبْءٌ[2] عن التسفل معهم"[3].

قال علي بن أبي طالب ﷺ:

" تَنَزَّه عَنْ مُجَالَسَةِ اللِّئَامِ وأَلْمِمْ بِالكِرَامِ بَنِي الكِرَامِ

وبَالعَوْرَاءِ لَا تَنْطِقْ وَلَكِنْ بِمَا يُرْضِي الإِلهَ مِنَ الكَلَامِ"[4]

وقد جعل الله تعالى المرور باللغو كرامًا من صفات عباد الرحمن جل وعلا، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[5].

يلحظ الباحث أن أقوال أهل التفسير قد تعددت في المعنى المراد من اللغو في هذه الآية؛ فقيل: إن معناه ما كان من المشركين من أقوال مؤذية للمؤمنين، وقيل: المرور بذكر النكاح كرامًا بالكف عن الخوض فيه، وقيل: يمر المؤمنون بالمشركين في باطلهم كرامًا منكرين لهذا الباطل وقيل: المراد باللغو المعاصي كلها[6].

وليس بين هذه المعاني تضارب أو تضاد؛ فجميعها يجمعها ناظم العصيان والسوء والمؤمن كريم عفيف يجنب نفسه مواطن الإثم، وموارد الشبهة، فيمر باللغو كريمًا.

والمؤمنون يعرضون منكرين، رافضين، لا يخوضون، ولا يمالئون، ولا يجالسون أهل المنكر واللغو[7]. وهذا المرور "من غير تقصد منهم"[8].

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (11/18).

[2] رَبْءٌ: "يقال : إني لأَرْبأ بك عن ذلك الأمر أي أَرْفَعك عنه". الأزهري: **تهذيب اللغة**. (198/15).

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (11/18).

[4] ابن أبي طالب: **ديوان الإمام علي** ﷺ. (ص:143).

[5] سورة الفرقان الآية: 72.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (49/19).

[7] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (80/13). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (229/4). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (230/6).

[8] الصاوي الشيخ أحمد المالكي. ت: 1240هـ: **الصاوي على الجلالين**. 2مج. بدون ط. مكتبة الرشاد. (137/3).

قال ابن عاشور: "وإذا مر أهل المروءة على أصحاب اللغو تنزهوا عن مشاركتهم وتجاوزا ناديهم فكانوا في حالة كرامة، وهذا ثناء على المؤمنين بترفعهم على ما كانوا عليه في الجاهلية"[1].

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

"مَقَاوِيْ بِالمَعْرُوْفِ خُرْسٌ عَن الخَنَا[2] كِرَامٌ مَعَاطٍ لِلعَشِيْرَةِ سُوْلَهَا"[3]

المطلب الثامن: المسيئون من الناس

أدب الإعراض عن المسيئين من الناس:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[4].

اختلف أهل العلم في المراد بالناس في الآية المذكورة على قولين هما: الأول: الناس عمومًا. الثاني: المماليك[5].

ويميل الباحث إلى ترجيح قول القائلين: إن المراد بالآية عموم الناس وذلك لما يأتي:

- ما تتضمنه كلمة﴿ ٱلنَّاس ﴾ من معنى العموم، فيكون المماليك والخَدَم مما يشتمل عليه هذا العموم.
- إن القرآن الكريم يوجه إلى الأدب مع عموم الناس وليس مع صنف معين من الناس دون بقيتهم.

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (79/19).

[2] الخَنَا: "قال الليث: الخَنَا من الكلام- أَفْحَشُهُ". الأزهري: **تهذيب اللغة**. (238/7).

[3] حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي الأنصاري. ت: 54هـ: **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**. 1مج. ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر. 1386هـ- 1966م. (ص:392).

[4] سورة آل عمران الآية: 134.

[5] انظر: السمعاني: **تفسير القرآن**. (358/1). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (461/1). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (207/4).

وبناءً على ذلك يظهر أن القرآن الكريم يمدح العافين عن الناس، المعرضين عن زلاتهم وهفواتهم، وهذا يتضمن أيضًا العفو عن المماليك، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله"[1]

ويأتي هذا في سياق التأديب والتعزيز لكل منحى إيجابي؛ حتى يصبح خلق العفو سمة للمؤمنين ليكون كما قيل: "فرضًا رأوه على أنفسهم لا فضلًا منهم على الناس"[2]

وهكذا يظهر أن "العفو عن الناس أَجَلُّ ضروب فعل الخير"[3].

المطلب التاسع: ذوو القربى والمسكين وابن السبيل

أدب الإعراض عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾[4].

وهناك خلاف بين أهل العلم في المقصود بذوي القربى، فهل هم قرابة الرسول ﷺ أم ذوو القربى عمومًا[5].

والذي يميل الباحث إلى ترجيحه أنهم ذوو القربى عمومًا، وهو ما رجحه الطبري معللًا ذلك بأن الله تعالى عقب حضه على بر الآباء والأمهات بضرورة بر وصلة أنسابهم، وأن هذا خرج مخرج الخطاب للنبي ﷺ والحكم ملزم لكل مسلم[6] وبنحو قول الطبري قال ابن عطية[7].

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: البر والصلة والأدب. باب: استحباب العفو والتواضع. رقم الحديث. (2588). (2001/4).

[2] القشيري: **لطائف الإشارات**. (172/1).

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (207/4).

[4] سورة الإسراء الآيات: 26 -28.

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (72/15). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (449/3- 450).

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (72/5).

[7] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (449/3 -450).

" وفي ضمن هذا الشرط تأديب للمؤمن إن كان فاقدًا ما يبلغ به إلى فعل الخير، أن يرجو من الله تيسير أسبابه، وأن لا يحمله الشح على السرور بفقد الرزق للراحة من البذل بحيث لا يعدم البذل الآن إلا وهو راج أن يسهل له في المستقبل حرصًا على فضيلته، وأنه لا ينبغي أن يعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل إلا في حال رجاء حصول نعمة، فإن حصلت أعطاهم"[1].

المطلب العاشر: المسيئون من ذوي القربى المسلمين:

أدب الإعراض عن المسيئين من ذوي القربى المسلمين:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

نزلت الآية الكريمة تعني أبا بكر ﷺ لمّا حلف أَلّا ينفق على مسطح ﷺ بعد حادثة الإفك، وقد كان ابن خالة أبي بكر، فهو من ذوي قرابته، كان مسكيناً، محتاجًا، من المهاجرين في سبيل الله من مكة إلى المدينة[3]، وقد كان أبو بكر ﷺ يحسن إليه وينفق عليه ، "فالإنسان إذا أحسن إلى غيره، فإذا قابله ذلك الغير بالإساءة كان ذلك أشد عليه مما إذا صدرت الإساءة من الأجنبي، والجهتان كانتا مجتمعتين في حق مسطح، ثم إنه آذى أبا بكر بهذا النوع من الإيذاء الذي هو أعظم أنواع الإيذاء"[4].

قال طَرَفَةُ بن العبد:

"وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ"[5]

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (83/15).

[2] سورة النور الآية: 22.

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (102/18).

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (164/23).

[5] ابن العبد، طَرَفَة البكري. ت: حوالي: 51 ق.هـ= 569م: **ديوان طَرَفَة بن العبد**. 1مج. شرح: الأَعْلَم الشَّنْتَمَريّ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى. ت: 476هـ. تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصّقال. بدون ط. دمشق- سوريا: مجمع اللغة العربية. 1395 هـ - 1975م. (ص: 40).

وعلى الرغم من هذا كله جاء التأديب الرباني آخذًا بيد أبي بكر نحو العفو والصفح والإعراض عمن أساء، "ومعلوم أن مثل هذا الخطاب يدل على نهاية الفضل والعلو في الدين"[1] "فدلَّ أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله ﷺ في جميع الأخلاق"[2].

قال القشيري: "والإحسان إلى المحسن مكافأة، وإلى من لا يسيء ولا يحسن فضل وإلى الجاني فُتُوَّةٌ وكَرَم"[3].

ويصف سيد قطب ظلال هذا الخطاب بقوله: "وهنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية التي تطهرت بنور الله أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه... الذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه. فما كاد يسمع دعوة ربه إلى العفو... حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان ويرتفع على منطق البيئة... فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق... ويعيد إلى مسطح النفقة... بذلك يمسح الله على آلام ذلك القلب الكبير، ويغسله من أوضار[4] المعركة؛ ليبقى أبدًا نظيفًا طاهرًا زكيًا مشرقًا بالنور"[5].

المطلب الحادي عشر: الشهادة:

أدب الانتهاء عن الإعراض في الشهادة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[6].

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (165/23).

[2] الخازن: **لباب التأويل**. (64/5).

[3] القشيري: **لطائف الإشارات**. (361/2).

[4] أَوْضَار: "فالوَضَرُ مثل الدَرَنِ، والزَهَمِ". ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (120/6).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (2505/4).

[6] سورة النساء الآية: 135.

قال الطبري: "وهذه الآية عندي تأديب من الله جل ثناؤه عباده المؤمنين"[1]. وقد وقع خلاف بين المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ ﴾. فقيل: إن المراد بذلك هم الحكام[2]. وقيل: إن المراد بذلك أداء الشهادة[3].

والذي يميل الباحث إلى ترجيحه أن المراد بذلك الشهادة، بدليل السياق؛ فإن الخطاب موجه للمؤمنين بأداء الشهادة لله تعالى، وهذا ما رجحه الطبري وعدَّه الأولى بالصواب "لأن الله جل ثناؤه قال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾، فأمرهم بالقيام بالعدل شهداء"[4].

قال القرطبي: "أدَّبَ الله جل وعز المؤمنين بهذا (أي إقامة الشهادة لله تعالى) كما قال ابن عباس: أُمروا أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم"[5].

وبناءً على ما قيل، فإن الإعراض عن أداء الشهادة لله تعالى يتعارض والأدب عند المسلم المتقي لله ﷻ؛ إذ الأصل أن يشهد بالحق لله تعالى نصرة للحق، وقيامًا بالأمانة، ومنعًا للظلم، وهذا أدب رفيع وسلوك قويم حري بالمسلم الالتزام به.

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (321/5).

[2] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (323/5). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (222/2-223). والآلوسي: **روح المعاني**. (169/5). وابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (228/5).

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (323/5). والزمخشري: **الكشاف**. (609/1). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (266/2). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (288/1). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (386/3). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (242/2). والآلوسي: **روح المعاني**. (169/5).

[4] الطبري: **جامع البيان**. (324/5-325).

[5] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (413/5).

المطلب الثاني عشر: ابن أُمِّ مكتوم[1]:

قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾[2].

أورد ابن إسحاق في كتابه السيرة: "كان رسول الله ﷺ جالسًا، وعنده عتبة بن ربيعة، وابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني القرآن فعبس رسول الله ﷺ في وجهه وصرفه عنه كراهية أن يزهد إقباله عليه عتبة في الإسلام، يقول: إنما يتبع هذا العميان والمساكين، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ إلى قوله ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ عتبة ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴾ ابن أم مكتوم، فلم يعذر رسول الله ﷺ بمثل ذلك"[3].

ترد هذه الآيات الكريمة في معرض العتاب للرسول ﷺ على عبوسه، وتوليه، وإعراضه، لمّا جاءه ابن أم مكتوم؛ وذلك انشغالًا بدعوة كبار المشركين، "وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفًا وترؤفاً وتقريبًا وترحيبًا ولقد تأدب الناس بأدب الله هذا تأدبًا حسنًا"[4].

وقد جاء العتاب على هذه الحادثة "بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب! وفي هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب سبحانه أن يواجه به نبيه وحبيبه عطفًا عليه، ورحمة به، وإكرامًا له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه"[5].

---

[1] ابن أم مكتوم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري، المؤذن. وأمه أم مكتوم، واسمها عاتكة بنت عنكثة ابن عامر بن مخزوم، واختلف في اسم ابن أم مكتوم فقيل: عبد الله... وقيل: عمرو وهو الأكثر عند أهل الحديث، وكان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله ﷺ. انظر: ابن عبد البر: **الاستيعاب**. (1198/3). وانظر الخلاف في اسمه في: ابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ت: 852هـ: **الإصابة في تمييز الصحابة**. 8مج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ - 1992م. (87/4 -600- 601).

[2] سورة عبس الآيات: 1 -10.

[3] ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار. ت: 151هـ: **سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)**. 3مج. تحقيق: محمد حميد الله. بدون ط. مهد الدراسات والأبحاث للتعريف. (214/4).

[4] الزمخشري: **الكشاف**. (702/4).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (3824/6).

فالله تعالى يتعهد رسوله بالتأديب والتوجيه والتقويم، وهو يخوض غمار هذه الدعوة الكبيرة. وهو يواجه الجاهلية وأهلها من جهة، ويتعامل مع المقبلين على الدين من جهة أخرى على نحو مشرق في إدارة الموقف عند تداخل المهام وتزاحمها.

المطلب الثالث عشر: المرأة المرغوب عنها من بعلها:

قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[1].

إن الله سبحانه وتعالى عليم بنفوس البشر، وما قد يصدر منهم في حياتهم الزوجية؛ لذلك يضع حلولاً وقائيةً ناجعةً لما قد يعترض الحياة الزوجية من هزات وأزمات، فها هو يرشد المرأة التي تخاف من زوجها النشوز، أو الإعراض، بأن تتصالح وزوجها، مع استحضار الإحسان والتقوى في هذا السبيل. ويأتي هذا في سياق التربية الوقائية، والتدابير الاستباقية لمنع الفساد في العلاقة الزوجية الذي قد يؤدي إلى انهيارها وانتهائها.

فقيل في المراد بالإعراض في هذا المقام:

- "السكوت عن الخير والشر والمداعاة والإيذاء؛ وذلك لأن هذا الإعراض يدل دلالة قوية على النفرة والكراهة"[2].
- أو أن يُقِلَّ الزوجُ محادثةَ زوجتِه ومؤانستَها لدواعٍ وأسباب منها؛ كبر السن أو الدمامة أو الشَّيْن في خُلُقٍ أو خِلْقةٍ، أو ملال أو طموح عين الزوج إلى أخرى، وغير ذلك من الدواعي[3].

ويرى الباحث أن كلا المعنيين ممكن، وجميع ما ذكر أسباب ودواعٍ قد تدفع الزوج للإعراض عن زوجته.

---

[1] سورة النساء الآيتان: 128- 129.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (52/11).

[3] انظر: أبا حيان: **البحر المحيط**. (379/3). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (239/2).

"والنشوز الارتفاع بالنفس عن رتبة حُسْنِ العِشرة والإعراض أخف من النشوز"[1].

والآية الكريمة توجه إلى الصلح بين الأزواج ويكون "بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتماسكًا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق"[2]

والآية الكريمة التالية تُعلِّمُ الأزواج وتؤدبهم على ضرورة احترام مشاعر الزوجة، وعدم ظلمها؛ وذلك بأن لا يميلوا كل الميل للزوجة الجديدة ويتركوا من قبلها كالمعلقة.

قال السمعاني: "يعني إن ملتم في المحبة فلا تميلوا في القَسْم"[3].

وقال الزمخشري: "فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها، يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة، فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ"[4].

قال سيد قطب: "فالآن ينظم (القرآن) حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج، فتهدد أمن المرأة وكرامتها، وأمن الأسرة كلها كذلك. إن القلوب تتقلب، وإن المشاعر تتغير، والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها، ويتعرض لكل ما يعرض لها في نطاق مبادئه واتجاهاته وتصميم المجتمع الذي يرسمه وينشئه وفق هذا التصميم"[5].

والباحث يذهب إلى أن هذه العلاقة الزوجية التي اعترضتها أزمة في المشاعر بين الزوج وزوجته لأي سبب كان مما ذكره العلماء، مما قد يؤدي إلى إعراض الزوج فإن الآية الكريمة تدفع في اتجاه الإبقاء على الرابطة الزوجية والصبر؛ لأن القلوب تتقلب والمشاعر تتبدل، وفي الحديث الشريف: "أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف لا ومقلب القلوب"[6]. فإذا أعرض

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (119/2).

[2] الطبري: **جامع البيان**. (306/5).

[3] السمعاني: **تفسير القرآن**. (487/1).

[4] الزمخشري: **الكشاف**. (606/1).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (768/2 -769).

[6] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: التوحيد. باب: مقلب القلوب. رقم الحديث. (6956). (2691/6).

الزوج عن زوجته اليوم، فقد يرق قلبه لها في الغد... ويذهب من نفسه ما عَظَّمَ شعوره بالنفور فتعود المودة والعلاقة حميمة قوية بعد بغض ونفور.

ومن ناحية أخرى يمكن أن تكون المرأة أحيانًا هي الأكثر شعورًا بالمسؤولية الأسرية من بعض الرجال الطائشين، فالآية الكريمة تعطيها الفرصة، وتضع أمامها الحل للحفاظ على كيان الأسرة والإبقاء على الرابطة الزوجية وتحقيق المصلحة العليا للأسرة بتنشئة الذرية على هدى الشرع والدين الحنيف لا أن يُلقى بهم فيعيشوا حياة التشرد وربما الانحراف.

الفصل الثالث

مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإعراض القلبي

المبحث الثاني: الإعراض الجسمي

المبحث الثالث: الإعراض السلوكي

تمهيد

في هذا الفصل يتناول الباحث الحديث عن مظاهر أدب الإعراض في القرآن الكريم؛ من خلال الحديث عن الإعراض القلبي، ثم الحديث عن الإعراض الجسمي الحركي؛ والذي يظهر من خلال حركة الإنسان الكلية أو الجزئية الدالة على معنى الإعراض، ثم الحديث عن الإعراض السلوكي؛ وذلك من خلال جملة من السلوكيات الدالة على معنى الإعراض، كل ذلك في ثوب أدبي، ومظهر أخلاقي يشف عن سمو الذوق ورهافة الحس عند المسلم المتأدب بأدب الإسلام وهذا ما ستنبئ عنه الصفحات القادمة من هذا الفصل بمشيئة الله تعالى وعونه.

المبحث الأول

الإعراض القلبي

قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1]. والمقصود من معنى الإعراض الذي أمر به المؤمنون في الآية هو إعراض المقت لهؤلاء المنافقين[2] و"المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح"[3]. وقال الرازي: "المقت : وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه"[4]. فالمقت إذن شعور قلبي نفسي يعبر عن معنى الرفض والكراهة الشديدة مع الاحتقار لمن ارتكب منكرًا، وعليه يكون الإعراض القلبي من مظاهر أدب الإعراض الذي يوجه القرآن الكريم إليه، ويدل عليه مايرافق هذا الشعور النفسي من تصرفات كالاجتناب والمقاطعة والهجران للمُعْرَضِ عنه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[5].

في الآية الكريمة "خطاب من بعضهم لبعض، والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم فهو اعتزال جسماني وقلبي... ﴿ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾أي واعتزلتم معبودهم"[6].والمعنى المفارقة في الاعتقاد أو الاعتزال الجسدي[7].

فالآية الكريمة وإن كانت تدل على الاعتزال الجسماني بصورة أساسية، إلا أنه يستفاد منها في الدلالة على الاعتزال القلبي لمعتقدات المشركين ؛ لأن الاعتزال الجسماني ومفارقة الفتية المؤمنين لديار قومهم ما هي إلا ثمرة ونتيجة للتباين الاعتقادي وهذا محله القلب.

---

[1] سورة التوبة، الآية: 95.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (130/16). والخازن: **لباب التأويل**. (137/3). والبقاعي: **نظم الدرر**. (377/3). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (94/4).

[3] الراغب الأصفهاني: **المفردات**. (ص:473).

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (21/10).

[5] سورة الكهف الآية: 16.

[6] أبو حيان: **البحر المحيط**. (103/6).

[7] انظر: أبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (211/5). والآلوسي: روح المعاني(220/15).

وقد يقيم المسلم في بيئة معينة مع المخالفة الاعتقادية والفكرية لأهل تلك البيئة فيكون في عزلة قلبية " وإن خالط الناس وعاشرهم ببدنه فإنه مزايل لهم بعمله وقلبه، مفارق ما هم عليه من التعلق بالبدع، أو الولع بالدنيا، أو اتباع الهوى... وبذلك يجمع بين الخلطة والعزلة، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه والعزلة بقلبه وعمله ومشاعره"[1].

والداعية المسلم يجد نفسه مضطرًا في بعض المواقف إلى العزلة القلبية والنفسية وذلك يظهر ببقاء جسمه وغياب فكره وروحه، حينما يكون في مجلس فيه باطل ولا يستطيع الخروج منه ولا أن يحوّل مجراه[2].

والمسلم مأمور بالإعراض والترك لكل ما فيه الإثم ظاهرًا كان أم باطنًا، قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴾[3].

ويذهب عدد من المفسرين إلى أن المراد بباطن الإثم هو ما يعتقده ويُسِّرُهُ المسلم في قلبه[4]، ومِنْ ثَمَّ فهو مدعو إلى الإعراض والترك لهذا الإثم والباطل إعراضًا قلبيًا، قال القرطبي: "للعلماء فيه(أي﴿ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ﴾) أقوال كثيرة وحاصلها: راجع إلى أن الظاهر ما كان عملًا بالبدن مما نهى الله عنه وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى وهذه المرتبة لا يبلغها إلا من اتقى وأحسن"[5]، وهو مما يدل على استواء الظاهر والباطن في الصلاح. ويورد الرازي أمثلةً على أفعال القلوب التي يؤمر المسلم بالإعراض عنها وتركها

---

[1] الحمادي الدكتور علي: **أمسك عليك هذا (مقدمات وعشر قواعد في فنون التعامل مع الآخرين)**. ط2 بيروت- لبنان: دار ابن حزم. 1418هـ- 1998م. (ص:19 -20).

[2] انظر: زيدان: **أصول الدعوة**. (ص:368).

[3] سورة الأنعام الآية: 120.

[4] انظر: الو احدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (373/1). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (139/2). والزمخشري: **الكشاف** (57/2). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (447/2). والكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي. ت:741هـ: **التسهيل لعلوم التنزيل**. 4مج. ط4. لبنان: دار الكتاب العربي. 1403هـ- 1983م. (20/2).

[5] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (74/7).

ومنها: الكبر والحسد والعجب وإرادة السوء للمسلمين والعزم والنظر والظن والتمني واللوم على الخيرات[1].

ويذهب الباحث إلى القول: إن الإعراض القلبي هو أساس لكل إعراض سواء أكان محمودًا أم مذمومًا، جسميًا أم سلوكيًا؛ ذلك أن الإعراض الجسمي والسلوكي ما هما إلا تعبيران عمّا يجول في قلب المُعْرِض ونفسه؛ فالإعراض القلبي إذن مقدمة لكل صور الإعراض.

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (137/13).

المبحث الثاني

الإعراض الجسمي

لغة الجسد (الاتصال غير اللفظي):

"ويطلق عليه أحيانًا اللغة الصامتة: Silent Language"[1].

"إن المقصود بالاتصال غير اللفظي: هو استخدام نظرات العيون وتعبيرات الوجه والإيماءات، والحركات الجسدية والمظهر في التواصل مع الآخرين"[2].

"وينطبق الاتصال غير اللفظي كما يرى راندل هاريسون[3] Randal Harrison على ظاهرة ذات مدى واسع: إذ تشمل تعبيرات الوجه والإيماءات والأزياء والرموز والرقص والبروتوكولات[4] الدبلوماسية[5] والعنف... الخ"[6].

---

[1] أبو أصبع، الأستاذ الدكتور صالح خليل: **الاتصال الجماهيري**. ط1. عمان - الأردن: دار الشروق. 1420هـ - 1999م. (ص:41) نقلًا عن:

Markl.Knapp; Nonverbal Communication in Human Inleraction (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972, p. 13.

[2] أحمد الدكتور محمد الأمين موسى: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. (ص:31).

[3] هاريسون، راندل: خبير عالمي معروف في الاتصال النفسي غير اللفظي، له مؤلفات في مجال الاتصال غير اللفظي، يحظى باحترام على نطاق واسع ، كان يعمل في قسم الاتصالات، وهوعميد سابق لكلية فنون الاتصال والعلوم في جامعة ولاية ميشيغان بالولايات المتحدة الامريكية. انظر: موقع: **الدرجات العلمية عبر الانترنت**.

http://www.onlinedegrees.org/calculator/degrees/communications . وصفحة غلاف كتاب: **مقدمة في الاتصال غير اللفظي لهاريسون**. (مترجم).

http://translate.googleusercontent.com/translate_c?hl=ar&langpair=en

[4] البروتوكول: "هو اصطلاح يعني: اتفاقات مؤقتة نافذة لفترة معينة أو اتفاقات موجزة الصيغة، كما يقصد به اتفاق أو أكثر جانب منه يعقد بين ممثلين عن دولتين أو شركتين أو ماشابه ذلك". زيتون، الدكتور وَضَّاح: **المعجم السياسي**. 1مج. ط1. الأردن - عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. 1427هـ- 2006م. (ص: 71).

[5] الدبلوماسية:"هي كلمة يونانية الأصل، استخدمت منذ عهود الإمبراطورية الرومانية، وكانت تعنى بحفظ الوثائق التي تتضمن الاتفاقات الخارجية وكانت تلك الوثيقة تعرف باسم الـ (دبلوما)، والقائم عليها يسمى (الدبلومات) (الدبلوماسي)". **المرجع السابق**. (ص: 167). والدبلوماسية: "مصطلح يقصد به الشكل العام للعلاقات بين الدول في الظروف الطبيعية ... كما توصف الدبلوماسية بأنها الجهود السياسية المختلفة التي تبذل في كافة المجالات من أجل نبذ الصراع وزيادة التعاون بين الدول في كافة المجالات". عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل: **معجم المصطلحات السياسية والاستراتيجية**.1مج. ط1.القاهرة - مصر: العربي للنشر والتوزيع. 1429هـ- 2008م. (ص: 139). وعرفت الدبلوماسية أنها: "مجموعة القواعد والأعراف والمباديء التي ترسخت بمرور الزمن بهدف تنظيم وإدارة العلاقات القائمة بين أطراف المحيط الدولي". الجاسور، أ.د. ناظم عبد الواحد: **موسوعة علم السياسة**. 1مج. ط1.عمان- الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .1425هـ - 2004م. (ص:187).

[6] أبو أصبع: **الاتصال الجماهيري**. (ص:41) نقلًا عن:

Randall Harrison, "Nonverbal Communication" in Ithiel de sola pool and Wilbur Schrammet al.(eds). Handbook of Communication. (Chicago: Rand Mc. Nally College publishing Co. 1978) p.93.

"إن قوة الاتصال الصامت تتناسب طرديًا مع عدد العناصر التأثيرية المجتمعة في عملية الاتصال، فإذا اجتمعت لغة العيون مع تعبيرات الوجه مع حركات الجسم مع المظهر العام للإنسان فإن عملية التأثير تكون أشد وأبلغ. والأقوى من كل ذلك أن يقترن الاتصال اللفظي والاتصال الصامت في عملية اتصالية واحدة، عندها يكون الاتصال متكاملًا، وتكون المعاني التي ينقلها أكثر وضوحًا وأشد تأثيرًا"[1].

"وقد عرفت البشرية الاتصال غير اللفظي منذ وجودها، وكان أحيانًا عاملًا مساعدًا للاتصال وأحيانًا أخرى كان عاملًا أساسيًا فيه"[2].

"والحقيقة أن المسالة ليست جديدة؛ ففي القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص عدة تدعو إلى استخدام الاتصال غير اللفظي بطريقة تعبر عن القيم الإسلامية المختلفة، وتكمل الرسالة اللفظية التي يبثها المسلم باعتباره قائمًا بالحق وداعيةً إليه"[3].

وقد تطرق القرآن الكريم في سياق عرضه لأدب الإعراض والإشارة إليه إلى هذا النوع من الاتصال غير اللفظي فقد تمثلت صورة هذا الأدب في جملة من التعبيرات الجسدية يعرضها الباحث بحول الله وتوفيقه عبر المطالب الآتية.

المطلب الأول: ترك القعود ومغادرة المجلس:

من مظاهر أدب الإعراض الجسمي ترك المجالسة وعدم القعود في مجالس الإثم والعصيان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

---

[1] عودة: **أدب الكلام**. (ص:127 -128).

[2] أبو أصبع: **الاتصال الجماهيري**. (ص:42).

[3] بكّار، الأستاذ الدكتور عبد الكريم: **مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي**. ط1. دمشق - سوريا: دار التعلم. بيروت - لبنان: الدار الشامية. 1420هـ- 1999م. (ص:160). نقلًا عن: **مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي**. بقلم: نخبة من الكُتَّاب. قطر. سلسلة كتاب الأمة. 1411هـ - 1990م. (ص:81).

[4] سورة الأنعام الآية: 68.

يذهب عدد من المفسرين إلى أن في الآية أمرًا بترك الخائضين والقيام من مجالسهم حتى يخوضوا في حديث غير حديث الإثم والمعصية[1].

قال الرازي: "وهذا الإعراض يحتمل أن يحصل بالقيام عنهم، ويحتمل بغيره، فلما قال بعد ذلك:﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ صار ذلك دليلًا على أن المراد أن يعرض عنهم بالقيام من عندهم"[2].

ويقول الشوكاني: "أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي الخوض في غير ذلك، وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله... فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر"[3].

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[4].

"نهى الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآي كتابه ويستهزئون بها"[5]. ويستدل من هذه الآية على وجوب التجنب وعدم المجالسة للمبتدعة والعصاة[6].

---

[1] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (222/7). والزمخشري: **الكشاف**. (34/2). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (62/3). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (157/4). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (147/3). والآلوسي: **روح المعاني**. (182/7).

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (22/13).

[3] الشوكاني: **فتح القدير**. (128/2).

[4] سورة النساء الآية: 140.

[5] الطبري: **جامع البيان**. (329/5).

[6] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (125/2).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[1].

"يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكاذبين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه[2،3].

وقد أشار صاحب (قوت القلوب) إلى نوع من الصوم هو صوم الخصوص والذي يعني حفظ الجوارح وذكر منها غض البصر عن الاتساع في النظر، وصون السمع عن الإصغاء إلى محرم أو الوزر، أو القعود مع أهل الباطل، وحفظ اللسان... [4].

ويرى الباحث أن ترك القعود والتحول عن مجالس اللغو والباطل مظهر من مظاهر أدب الإعراض الجسمي، وهو لا يعبر عن هزيمة أو انكسار؛ وإنما هو حركة جسمية كلية تترك رسالة قوية دالة على الرفض والاحتجاج وعدم التسليم بما يدور في هذه المجالس خصوصًا إذا أدرك المسلم عدم قدرته على التغيير لسبب أو لآخر. ولعل في هذا الترك لمثل تلك المجالس خَرْقًا لجدار الباطل والإثم ومحاولةً لصرف الأنظار عن الباطل واستمرائه إلى إثارة الأذهان والنفوس للتفكر في دواعي هذا الانسحاب، وعندها تكون الرسالة واضحة، وبهذا يكون المسلم قد قام بدوره في انكار المنكر، وقد يكون في هذه المغادرة أحيانًا تشتيت للتركيز على الباطل وتشويش وإعاقة لاستمراره.

المطلب الثاني: التولي والانصراف:

إن التولي والانصراف صورة من صور أدب الإعراض، ومظهر من مظاهره التأدب به وقد سلكه الأنبياء، ومنهم يعقوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[5].

وحاصل القول في معناه أن يعقوب عليه السلام لمّا سمع من بنيه ما أخبروه به(بأن ابنه سرق صواع الملك وحبس لأجل ذلك) أعرض عنهم غير مصدق لِمَا جاءوا به كارهًا لِمَا صادف منهم وما جاءوا به[6].

---

[1] سورة الفرقان الآية: 72.

[2] التَّلْم: تشرم يقع في طَرَفِ الشيء ... وقد يُسَمّى الخلل أيضًا ثلمة وإن لم يكن في الطَرَفِ". ابن فارس: **مقاييس اللغة**. (484/1).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (301/3).

[4] انظر: أبا طالب المكي: **قوت القلوب**. (187/2).

[5] سورة يوسف الآية: 84.

[6] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (468/2). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (304/3). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (54/18). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (333/5).

"فالتولي حاصل عقب المحاورة و﴿ تَوَلَّىٰ ﴾: انصرف وهو انصراف غضب، ولَمّا كان التولي يقتضي الاختلاء بنفسه ذكر من أحواله تجدد أسفه على يوسف عليه السلام"[1].

ويذهب سيد قطب إلى تصوير حالة التولي والانصراف عند يعقوب عليه السلام بقوله: "وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفردٌ بهمِّه، وحيدٌ بمُصَابِهِ، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه فينفرد في مَعْزِ يَنْدُبُ فجيعته في ولده الحبيب يوسف"[2]

وكما يكون التولي تعبيرًا عن الكراهية والغضب المشوب بالحزن كما في قصة يعقوب عليه السلام وبنيه، يكون أيضًا تعبيرًا عن الحزن الخالص كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[3].

قال الطبري: "أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا وهم يبكون من حزنٍ على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله"[4]، وقال الشيخ عبد الجليل عيسى: "انصرفوا عن مجلسك وأعينهم تفيض دمعًا حزنًا على عدم قدرتهم على شراء ما يحملهم"[5].

وقال تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾[6]. قال ابن عاشور: "التولي الرجوع على طريقه، وذلك يفيد أنه كان جالسًا من قبل في ظل فرجع إليه، ويظهر أن ﴿ تَوَلَّىٰ﴾ مرادف (ولَّى) ولكن زيادة المبنى من شأنها أن تقتضي زيادة المعنى فتكون﴿ تَوَلَّىٰ﴾ أشد من ولّى"[7].

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (42/13).

[2] قطب: **في ظلال القرآن**. (2025/4).

[3] سورة التوبة الآية: 92.

[4] الطبري: **جامع البيان**. (212/10).

[5] حرب الشيخ عبد الجليل عيسى. ت:1401هـ: **تيسير التفسير**. 1مج. ط1 .. 1377هـ - 1958م .(ص:257).

[6] سورة القصص الآية: 24.

[7] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (101/20 -102).

وأما المعنى العكسي للمظهر نفسه فهو مما حرمه الإسلام، قال ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا"[1]، و"التدابر: المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره"[2] "وإنما قيل للإعراض تدابر؛ لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره ويسرك"[3].

فالذي يظهر للباحث أن فعل التولي: هو حركة انقلابية عكسية، وانصراف مع الإدبار، وبرهان ذلك، ما رُوي عن أَبْيَضَ بن حَمَّالٍ[4] أَنه وفَد إلى رسول اللَّه ﷺ فَاسْتَقْطَعَهُ الْمِلْحَ قال ابن الْمُتَوَكِّلِ: الذي بِمَأْرِب[5] فقطَعَهُ له فلما أَنْ وَلَّى قال رجل[6] من المجلس: أَتَدري ما قَطَعْتَ له إنما قَطَعْتَ له الماء العِدَّ[7] ..."[8]، فيفهم من كلمة (ولّى) معنى الإدبار والذهاب والانصراف

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**، كتاب: الأدب. باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر. رقم الحديث. (5717). (2253/5). ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب: البر والصلة والآداب. باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها. رقم الحديث. (2563). (1985/4).

[2] النووي: **شرح النووي على صحيح مسلم**. (116/16).

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القران**. (70/14).

[4] "أبيض بن حمال بالمهملة وتشديد الميم المأربي بسكون الهمزة وكسر الراء بعدها موحدة، له صحبة ،وأحاديث". ابن حجر : **تقريب التهذيب**. (ص:96).

[5] مَأرِبٌ: "هي بين حضرموت وصنعاء، وبينها وبين صنعاء أربعة أيام". الحموي. **معجم البلدان**. (34/5).

[6] رجل: قيل:هو الأقرع بن حابس*، وقيل: العباس بن مرداس*. انظر: العظيم آبادي، محمد شمس الحق. ت: 1329هـ: **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. 7مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1416هـ- 1995م. (219/8). وانظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. ت:1353هـ: **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. 10مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. (527/4).

*الأقرع بن حابس بن عقال بن تميم، أسلم، وشهد فتح مكة وحنين وحضر الطائف، شهد فتح العراق والأنبار مع خالد بن الوليد. انظر: الجزري: **أسد الغابة**. (164/1- 166).

*عباس بن مِرْدَاس بن أبي عامر السلمي، أسلم قبل فتح مكة بوقت يسير، كان ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، وكان شاعرًا محسنًا، يتصف بالشجاعة، كان ينزل البلدية بالقرب من البصرة، وقيل: إنه قدم دمشق وابتنى بها دارًا. انظر: الجزري: **أسد الغابة**. (3/ 167- 168).

[7] العِدُّ : "الماء الذي لا انقطاع له؛ مثل ماء العَيْن، وماء البئر". الفيومي: **المصباح المنير**. (396/2).

[8] أبو داود: **سنن أبي داود**. كتاب: الخراج والإمارة والفيء. باب: في إقطاع الأرضين. رقم الحديث. (3064). (174/3). والترمذي: **سنن الترمذي**. كتاب الأحكام. باب:ما جاء في القطائع. رقم الحديث. (1380). (664/3). قال أبو عيسى الترمذي: "حديث أبيض، حديث غريب".**المرجع السابق**.(664/3). وحكم الألباني على هذا الحديث قائلًا: "حسن بما بعده". الألباني: **صحيح سنن أبي داود**. (593/2). والذي يهم الباحث من هذا الحديث في هذا المقام الدلالة اللغوية لكلمة (ولّى).

من المكان، "تقول: ولى فلان على عَقِبِهِ وعَقِبَيه؛ أي أخذ في وجه ثم انثنى راجعًا والتعقيب انصرافك راجعًا من أمر أردته..."[1]

قال أبو حُزَابَة[2] في عبد الله بن ناشرة[3]:

"أَلَا لَا فَتَى بَعدَ ابن نَاشِرة الفَتَى وَلَا خَيْرَ إِلّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا"[4]

المطلب الثالث: الإشاحة بالوجه:

وهي حركة جزئية للجسم تخص الوجه لا الجسم كله كما هو الحال في التولي وعدم القعود في مجالس الآثمين، قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[5].

فقد فسّر عدد من العلماء إعراض الزوج عن زوجته بإعراض الوجه والانصراف عن مواجهة الزوجة والإقلال من نفعها ومجادلتها[6]، ففي الحديث الشريف، قال النبي ﷺ: "اتقوا

---

[1] الفراهيدي: **العين**. (178/1).

[2] أبو حُزَابَة: هو الوليد بن حنيفة، سكن البصرة، كان شاعرًا فصيحًا من شعراء الدولة الأموية. انظر: الأصفهاني، أبو الفرج. ت :356هـ: **ملحق الأغاني (أخبار أبو نواس).** 24مج. تحقيق: علي مهنا وسمير جابر. بدون ط . لبنان بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر.(261/22).

[3] ابن ناشرة، عبد الله من بني عامر بن مجاشع، غُلِب على سجستان أيام فتنة الزبير، وعثرت به فرسه واندقت رجله وَقُتِل. انظر : البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. ت: 279هـ: **أنساب الأشراف**. 13مج. تحقيق:أ.د. سهيل زكار ود. رياض زركلي بإشراف: مكتب البحوث الإسلامية في دار الفكر. ط1. بيروت- لبنان: دار الفكر.1417هـ- 1996م. (117/12- 118).

[4] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. ت255هـ: **البيان والتبيين**. تحقيق: فوزي عطوي. 1مج. بدون ط. بيروت- لبنان: دار صعب. (ص:539). والخالديان، أبو عثمان سعيد بن هاشم. ت:371هـ. وأبو بكر محمد بن هاشم ت:380هـ: **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين**. بدون ط. (ص:95). انظر: الكتاب في الجامع الكبير. الإصدار الرابع.

[5] سورة النساء الآية: 128.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (305/5). والسمرقندي: **بحر العلوم** (369/1). والواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (293/1). والبغوي: **تفسير البغوي**. (486/1). والآلوسي: **روح المعاني**. (161/5).

النار، ثم أعرض وأشاح، ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح ثلاثًا حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[1].

"وأشاح له معنيان، أحدهما: جَدَّ وانكمش في الإيصاء باتقاء النار، والآخر: حذر النار كأنه ينظر إليها حين ذكرها، فأعرض"[2]، ونقل ابن حجر: قول الجليلي[3] في معنى الإشاحة: "أشاح بوجهه عن الشيء نَحَّاهُ عنه"[4].

ويميل الباحث إلى أن معنى الإشاحة بالوجه تعني: تنحيته إلى الجانب الآخر. ولعل ما قاله أبو سفيان بن الحارث أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة يؤكد ذلك حيث قال: "وقد نزلت مقدمة رسول الله ﷺ من الأبواء[5] فتنكرت، وخفت أن أقتل، وكان رسول الله ﷺ قد نذر دمي فخرجت على قدمي نحوًا من ميل، وأقبل الناس رَسْلًا[6] رَسْلًا، فتنحيت فَرَقًا[7] من أصحابه، فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى فأعرض عني مرارًا... فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله ﷺ عني أعرضوا عني جميعًا"[8]

قال حسان بن ثابت ﷺ:

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الرقاق. باب: من نوقش الحساب عُذّب. رقم الحديث. (6174) (2395/5). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الزكاة. باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. رقم الحديث. (1016). (704/2).

[2] البغوي: **شرح السنة**. (140/6).

[3] الجليلي: كان يكنى بأبي السموأل، كناه أبو بكر بأبي مسلم، وهو معلم كعب الأحبار، أدرك النبي ﷺ ولم يسلم، قيل: أسلم في عهد أبي بكر، وقيل: في عهد معاوية ﷺ. انظر: ابن حجر: **الإصابة**. (397/7). والذهبي أبا عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. ت: 748هـ: **المقتنى في سرد الكُنى**. 2مج. تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد. ط1. المدينة المنورة - السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة. 1408هـ- 1987م.(76/2).

[4] ابن حجر: **فتح الباري**. (405/11).

[5] الأَبْوَاءُ: جبل مرتفع على يمين الطريق المُصْعِد إلى مكة من المدينة، وهنالك بلد تنسب إلى هذا الجبل. انظر: الحموي: **معجم البلدان**. (79/1).

[6] "الرَّسْل: التتابع". ابن منظور: **لسان العرب**. (284/11).

[7] "الفَرَق: الخوف". الرازي: **مختار الصحاح**.(ص:209)

[8] ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي. ت: 620هـ: **كتاب التوابين**.1مج. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1403هـ- 1982م. (ص:111).

"تُشِيحُ إِذا يُثنى بخيرٍ لَدَيهِمُ رُؤوسُهُم عَنّي وَمَا بِهم وَقْرُ"[1][2]

ولا شك أن الإشاحة بالوجه حركة لها دلالاتها؛ فقد تكون الإشاحة تعبيرًا عن النفور والكراهية، أو الهيبة والاتقاء، أو الغضب والبغض، أو غير ذلك ؛ كل ذلك يقرأه الناظر والمبصر لهذه الحركة، و"تكمن أهمية الوجه باعتباره قناة للتواصل غير اللفظي في التعبيرات - وتنتج عن نشاط عضلات الوجه - التي يكون مسرحًا لها"[3].

وهذا الفهم الذي ذكره الباحث يكون من قبيل الأدب وحسن التعاطي، وأما الصورة المقابلة وهي الصورة المعبرة عن الكبر والاستعلاء ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[4]. فسرها ابن عباس رضي الله عنهما: "لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرًا"[5]. قال سيد قطب: "ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله؛ فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أَوْلى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل"[6]، وعليه فإن تصعير الخد سوء أدب يجب على المسلم الإعراض عنه، فيلزم بذلك سمت الصالحين المتواضعين. وينأى بنفسه عن خلق المتجبرين المتكبرين.

المطلب الرابع: الهجر:

هَجْرُ الزوجة في المضجع لغاية التأديب

قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ

---

[1] الوَقْرُ: "ثِقَلٌ في الأذن، تقول: وَقَرَتْ أذني عن كذا تَقِرُ وَقْرًا؛ أي ثَقُلَتْ عن سمعه". الفراهيدي: **العين**. (206/5).

[2] ابن ثابت: **ديوان حسان بن ثابت**. (ص:278).

[3] أحمد: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. (ص:271).

[4] سورة لقمان الآية: 18.

[5] الطبري: **جامع البيان**. (75/21).

[6] قطب: **في ظلال القرآن**. (2790/5).

وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾[1].

والذي يعني الباحث من هذه الآية الكريمة في هذا المقام معالجة القرآن لمشكلة نشوز المرأة وعلى وجه الخصوص من خلال أسلوب (الهجر في المضاجع) ،وتكون المرأة ناشزة عند "معصيتها زوجها فيما يجب له عليها من حقوق النكاح"[2].

وقد أورد ابن العربي في معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ أربعة أقوال تمثل صورة الهجر في الآية الكريمة:

"الأول: يوليها ظهره في فراشه... الثاني: لا يكلمها وإن وطئها... الثالث: لا يجمعها وإياه فراش ولا وطء حتى ترجع إلى الذي يريد... الرابع: يكلمها ويجامعها؛ ولكن بقول فيه غلظ وشدة"[3].

وذهب الطبري إلى رأي مستهجن في معنى الهجر هنا فقال: إنه الربط بالهَجَار[4]، كما يستخدم العرب ذلك للبعير إذا ربطه صاحبه بأنه يهجره هجرًا[5]، وهو رأي كما أسلف الباحث مستهجن.

ويلتمس الباحث العذر لإمام المفسرين "فإنه لا بد للجواد من كبوة وللسيف من نبوة وللحليم من هفوة"[6]، وإن جَانَبَ قولُ الطبري الصوابَ في هذا الموضع كما أشار لذلك بعض العلماء وهو ما يميل إليه الباحث، إلا أن هذا لا ينقص من الإجلال والتوقير لهذا المفسر الكبير صاحب القدم الراسخة في علم التفسير، إذ "كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ"[7].

---

[1] سورة النساء الآية: 34.

[2] ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد. ت: 620هـ: **الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل**. 4مج. بدون ط. بيروت - لبنان: المكتب الإسلامي. (137/3).

[3] ابن العربي: **أحكام القرآن**. (533/1).

[4] الهِجَار: "حَبْ يُعْقَدُ في يد البعير وَرِجْلِهِ في أحد الشِّقين". ابن منظور: **لسان العرب**. (256/5).

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (66/5).

[6] الجاحظ: **البيان والتبيين**. (ص : 185) . والبلاذري: **أنساب الأشراف** . (220/4). والعسكري، الشيخ الأديب أبو هلال. ت: 382هـ: **جمهرة الأمثال**. 2مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. 1408هـ -1988م. (308/1).

[7] ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني الدمشقي. ت:728هـ: **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**. ط4. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي. 1392هـ - 1972م. (ص: 10). وانظر: ابن القيم: **إعلام الموقعين**. (284/3 - 285).

ويميل الباحث إلى أن المراد من الهجر في المضاجع: ترك النوم مع الزوجة في فراش واحد، وهذا يتضمن من باب أولى ترك جماع الزوجة ولكن مع المبيت في البيت أو الحجرة نفسها، ومما يرجح ذلك في نظر الباحث:

- ضعف ما روي عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾."يعني بالهجران أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها"[1].
- المعنى اللغوي للهجر الدال على معنى الترك والقطع للنوم في الفراش نفسه.
- إن الله تعالى قال:﴿ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾، وعليه فلا معنى للهجر المأمول من ورائه عودة الزوجة إلى رشدها في القيام بحقوق زوجها مع استمرار النوم معها أو جماعها.

وقد قال بذلك: سعيد بن جبير وإبراهيم والشعبي وقتادة[2]. وهو ما يميل البحث إلى ترجيحه. وفي جميع الأحوال فإن الهجر لا يقصد لذاته وإنما هو طريق للتقويم والتأديب.

ويصف الشيخ عبد الجليل عيسى مَضاءَ الهجر في تأديب الزوجة الناشز، فيقول: "وليس أقسى على المرأة التي تظن أن أنوثتها أقوى سلاح في إخضاع الرجل من أن ترى الرجل كسر هذا السلاح بحزمه"[3].

وقد فصّل سيد قطب أثر هذه المعالجة بالهجر حيث قال: "والمضجع موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها، وكانت - في الغالب - أَمْيَلَ إلى التراجع والملاينة أمام هذا الصمود من رَجُلِهَا... على أن هناك أدبًا معينًا في هذا الإجراء، إجراء الهجر في المضاجع، وهو ألَّا يكون هجرًا ظاهرًا في غير مكان

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (63/5). حكم الألباني على قول ابن عباس قائلًا: "هذا إسناد ضعيف". الألباني، محمد ناصر الدين. ت: 1420هـ: **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. 8مج. إشراف: محمد زهير الشاويش. ط2. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ - 1985م. (90/7).

[2] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (63/5- 65).

[3] عيسى: **تيسير التفسير**. (ص:105).

خلوة الزوجين، لا يكون هجرًا أمام الأطفال... ولا هجرًا أمام الغرباء؛ يذل الزوجة أو يستثير كرامتها فتزداد نشوزًا. فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة ولا إفساد الأطفال"[1].

قال ابن حجر في مسألة هجر الزوجة في البيت أم خارجه: "والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال فربما كان الهجران في البيوت أشد من الهجران في غيرها وبالعكس، بل الغالب أن الهجران في غير البيوت آلم للنفوس وخصوصًا النساء لضعف نفوسهن" [2] فمسألة الهجر للزوجة داخل البيت أم خارجه مسألة خلافية ليس غرض الباحث الدخول في هذا الخلاف في هذه الدراسة الموضوعية وإن كان يميل إلى الترجيح بأن الهجر التأديبي للزوجة يكون في حدود البيت فهو هجران في المضجع فحسب، لحديث رسول الله ﷺ : "... ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت"[3].

فالهجر في هذا المقام مظهر من مظاهر أدب الإعراض، وهو حركة كلية تحولية تكون من مكان إلى مكان، أو من حال إلى حال، الغرض منها تقويم اعوجاج الزوجة الناشز بأسلوب غاية في الأدب والتأثير.

المطلب الخامس: الاعتزال:

يمثل الاعتزال أحد مظاهر أدب الإعراض، فقد أورد القرآن الكريم بعضًا من مقاماته فمنها:

الفرع الأول: اعتزال الكافرين:

قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾[4] فإبراهيم عليه السلام قد اعتزل قومه الكافرين، قال الرازي: "والمراد إني أفارقكم في المكان، وأفارقكم في طريقتكم أيضًا، وأبعد عنكم، وأتشاغل بعبادة ربي

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (654/2).

[2] ابن حجر: **فتح الباري**. (301/9).

[3] أبو داود: **سنن أبي داود**. كتاب النكاح. باب: في حق المرأة على زوجها. رقم الحديث. (2142). (244/2). وابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي. ت: 241هـ: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. 6مج. بدون ط. مصر: مؤسسة قرطبة. حديث حكيم بن معاوية البهزى عن أبيه معاويةَ بن حَيْدَةَ عن النبي ﷺ . رقم الحديث. (20027). (447/4). حكم الألباني على هذا الحديث إنه: "صحيح". الألباني: **إرواء الغليل**. (98/7).

[4] سورة مريم الآيتان: 48- 49.

الذي ينفع ويضر والذي خلقني وأنعم عليّ فإنكم بعبادة الأصنام سالكون طريقة الهلاك فواجب علىّ مجانبتكم"[1].

"والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء، وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذر"[2]." وقد حصلت العزلة من المسلمين عندما هاجروا للحبشة فقد "خرج جعفر بن أبي طالب في رهط من المسلمين فرارًا بدينهم إلى أرض الحبشة"[3].

فالاعتزال إذن حركة جسمية كلية نتج عنها تباعد إبراهيم عليه السلام عن بلده وقومه وما يعبدون، وكذلك الفارّون بدينهم من أتباع النبي محمد ﷺ عندما انتقلوا إلى ديار غير ديارهم.

فالعزلة في نظر الباحث خطوة قد يُلجأ إليها بعد تصاعد وتيرة الصراع ووصوله إلى أوجه وحين لا يجد الدعاة إلى قلوب الآخرين طريقًا فتوصد في وجوههم كل الأبواب، عندها تكون العزلة حرصًا على الوقت الثمين واعتصامًا بحبل الله المتين.

وأما الدعوة إلى العزلة والانقطاع الدائم عن الخلق فهذا من تلبيس الشيطان، قال ابن الجوزي: "لا ينبغي أن تشغلهم العزلة عن الجماعات ، ومجالسة العلماء فإن فعلوا كان ذلك من الشيطان"[4]، وأما العزلة المؤقتة لغاية محمودة فمما لا بأس به، عن مسروق[5]، قال: "إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذاكر فيها ذنوبه فيستغفر منها"[6]. فإن كثرة المخالطة تزيل الحواجز وتقلل من الهيبة عند عوام الناس.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (196/21).

[2] الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم البستي. ت: 388هـ: **العزلة**. 1مج. ط2. القاهرة: المطبعة السلفية. 1399هـ-1979م. (ص: 8)

[3] الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي. 535هـ: **دلائل النبوة**.1 مج. تحقيق: محمد محمد الحداد. ط1. الرياض: دار طيبة. 1409هـ - 1988م. (ص:103).

[4] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت: 597هـ: **التبصرة**. 1مج. تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد. ط1. مصر ، لبنان: دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني. 1390هـ - 1970م. (315/2).

[5] هو: "مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، فقيه ،عابد، مخضرم ،من الثانية، مات سنة اثنتين، ويقال: سنة ثلاث وستين. ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص: 528).

[6] ابن السري، هناد الكوفي. ت: 243هـ: **الزهد**.2مج. تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفربوائي. ط1. الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. 1406هـ - 1985م. (580/2).

ومن محاسن العزلة أنَّ فيها " السلامة من التبذل لعوام الناس وحواشيهم ، والتَصَوُّن عن ذلة الامتهان منهم ، وأمان الملال عند الصديق ، واستحداث الكراهية عند اللقاء؛ فإن كل موجود مملول ، وكل ممنوع مطلوب"[1].

وعلى العزلة المحمودة يمكن أن ينزل الباحث قول سعيد بن المسيب: "عليك بالعزلة فإنها عبادة"[2]، فالعزلة المحمودة المشروعة عبادة وأدب وصون للنفس وسبيل الصالحين وطريق المرشدين والراشدين.

الفرع الثاني: اعتزال النساء في المحيض:

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[3].

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح..."[4].

والمعنى: فاعتزلوا جماع النساء ونكاحهن في محيضهن وهناك خلاف بين أهل العلم فيما يجب على الرجل اعتزاله من الحائض:

- فقيل: الواجب اعتزال جميع البدن؛ لأمر الله تعالى باعتزال﴿ ٱلنِّسَآء ﴾ دون تخصيص وهذا من العموم.

---

[1] البستي: **العزلة**. (ص:34).

[2] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله. ت: 458هـ: **الزهد الكبير**. 1مج. تحقيق: عامر أحمد حيدر. ط3. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. 1417هـ - 1996م. (ص:94).

[3] سورة البقرة الآية: 222.

[4] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الحيض. باب: جواز غسل المرأة رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه. رقم الحديث. (302). (246/1).

- وقيل: الواجب اعتزاله موضع الأذى وهو مخرج الدم.
- وقيل: الواجب اعتزاله ما بين السرة إلى الركبة[1].

"والأخبار المتواترة عن رسول الله ﷺ: أنه كان يباشر نساءه وهن حُيّض، ولو كان الواجب اعتزال جميعهن لما فعل ذلك رسول الله"[2].

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إن للرجل من امرأته الحائض ما فوق المؤتزر ودونه"[3]، وهذا مروي عن شريح، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وميمونة وعائشة رضي الله عنهم[4]. وهذا ما يميل الباحث إلى ترجيحه والأخذ به. لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: " كانت إحدانا إذا كانت حائضًا، فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فَوْرِ حيضتها ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إِرْبَهُ كما كان النبي ﷺ يملك إِرْبَهُ"[5].

فالآية الكريمة تعلمنا حكمًا شرعيًا وتوجه إلى أدب في العلاقة بين الزوج وزوجته في حال الحيض؛ بأن يعتزل جماعها لا شيئًا آخر كما كانت تفعل اليهود، وقد عللت الآية الكريمة سبب هذا الاعتزال بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾، فقد: "قدّم ذكر العلة وهي الأذى ثم رتب الحكم وهو وجوب الاعتزال"[6].

والمراد بالأذى ما تتأذى به المرأة وغيرها من رائحة دم الحيض[7]، قال سيد قطب: "والمباشرة في الحيض قد تحقق اللذة الحيوانية - مع ما ينشأ عنها من أذى ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة سواء - ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى"[8].

إن الاعتزال في هذا المقام اعتزال مؤقت أي خلال مدة الحيض، وهذا أدب في الانتهاء والإعراض عما فيه أذى للزوج والزوجة، ولعل ذلك يهدف إلى إبقاء العلاقة الزوجية خالية من

---

[1] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (382/2- 383).

[2] الطبري: **جامع البيان**. (384/2).

[3] الطبري: **جامع البيان**. (385/2).

[4] انظر: **المرجع السابق**. (384/2 - 385).

[5] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الحيض. باب: مباشرة الحائض. رقم الحديث. (295). (115/1). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الحيض. باب: مباشرة الحائض فوق الإزار. رقم الحديث. (293). (242/1).

[6] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (55/6). وانظر: ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (67/4).

[7] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (85/3).

[8] قطب: **في ظلال القرآن**. (241/1).

المكدرات والمنغصات الحسية والمعنوية، فهذا أدب في الإعراض في مثل هذه الأحيان والأحوال.

المطلب السادس: غض البصر

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1].

قال القشيري: "يغضوا: من أبصار الظواهر من المحرمات، ومن أبصار القلوب عن الفِكَرِ الرَّدِيَّةِ ولقد قالوا: إن العين سبب الحَيْن[2و3].

وقالت جارية بِقُبَاء[4] لمن نَظَرَ إليها:

"وَكُنْتَ مَتِى أرْسَلتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ"[5]

---

[1] سورة النور الآيتان: 30- 31.

[2] الحَيْنُ: " الهلاك حان يحين حَيْنًا وكل شيء لم يوفق للرشاد فقد حان حَيْنًا". الفراهيدي: **العين**. (304/3).

[3] القشيري: **لطائف الإشارات**. (364/2).

[4] قُبَاء: هي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، فيها مسجد التقوى، وفضاء حَسَن، ومياه عذبة وبها مسجد الضرار، وَرَدَ الرسول ﷺ قُباء وهو مهاجر، وصلّى في مسجدهم. انظر: الحموي: **معجم البلدان**. (303/4).

[5] القارئ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج. ت: 500هـ: **مصارع العشاق**. 1مج. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ - 1998م. (210/2). والأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. ت: 502هـ: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**. 2مج. تحقيق: عمر الطباع. بدون ط. بيروت: دار القلم. 1420هـ -1999م. (123/2).

قال صاحب التبصرة ناصحًا: "واقطع أمل الهوى بقهر العزم، واقرع فضول الكلام بِسَوْطِ الصمت وأقم على طَرَفِ طَرْفِك حاجب الغض وانبذ إلى كلب الشهوات كِسَرَ الصبر"[1].

"وإنما بالغ السلف في الغض حذرًا من فتنة النظر، وخوفًا من عقوبته؛ فأما فتنته فكم من عابد خرج عن صومعته بسبب نظرة ! وكم استغاث من وقع في تلك الفتنة !"[2]، قال القرطبي: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله"[3].

ولأن البصر على هذه الدرجة من الأهمية والخطورة كان الأمر في القرآن الكريم والسنة المطهرة بوجوب غضه عمّا حرم الله والإعراض عن الذي يُرْغَب في النظر إليه وتشتهيه النفس ويميل إليه هوى الإنسان مما هو محظور في دين الله تعالى، فعن جرير بن عبد الله[4] قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجَاءَةِ فأَمَرني أَنْ أَصْرِفَ بصري"[5].

"وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام، أو ما عسى أن يكلفها صبرًا شديدًا عليها"[6].

فغض البصر مظهر من مظاهر أدب الإعراض جاء الأمر به للرجال وللنساء على السواء، وفيه من المحامد ما فيه. قال سيد قطب في غض الرجال لأبصارهم: "وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما أن فيه إغلاقًا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ومحاولةً عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم"[7].

---

[1] ابن الجوزي: **التبصرة**. (ص :487).

[2] **المرجع السابق**. (ص : 158).

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (223/12).

[4] "جرير بن عبد الله البجلي اليماني، بسط له النبي ﷺ رداءه وأكرمه، وكان سيدًا مطاعًا، بديع الجمال ...أسلم في رمضان سنة عشر، توفي 51 هـ".الذهبي، أبو عبد الله حمد بن أحمد.ت:748هـ: **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**. 2مج. تحقيق: محمد عوامة.ط1.جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو. 1413هـ- 1992م. (292/1).

[5] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الآداب. باب: نظر الفجأة. رقم الحديث. (2159). (1699/3).

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (204/18).

[7] قطب: **في ظلال القرآن**. (2512/4).

ويرى الباحث أن غض المرأة لبصرها بالمقابل تعبير عن الحياء التي فطرت عليه، وقطع لدابر الفتنة وحيلولة دون وسوسة الشيطان، وقمع لمطامع الرجال الذين في قلوبهم مرض. فهو أدب رفيع ومنحى كريم يظهر على هذه الصورة من الحركة الجزئية لذلك العضو المهم وتلك الحاسة الخطيرة بكفها وصدها عن الاتصال والتواصل مع مستقبلات ذلك الاتصال عند الجنس الآخر درءًا للفتنة وسدًا لسبل الغواية والسقوط والانزلاق في مستنقع الشهوات والأهواء.

المطلب السابع: كف العينين عن النظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها:

يَرِدُ التأديب الرباني بلزوم الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1].

عن أُبيّ بن كعب[2] ﷺ قال: "من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله تعالى... في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قلّ عمله وحضر عذابه"[3].

"ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعِدَدِ الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك؛ لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظّارة فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها"[4].

وهذا تأديب رباني جرى على صورة خطاب في الظاهر للرسول ﷺ، وإن كان المراد أمة الإسلام، ذلك أن الرسول ﷺ كان بعيدًا عن النظر لزينة الدنيا، متعلقًا بما عند الله أكثر من أيِّ أحد[5].

---

[1] سورة طه الآية: 131.

[2] أُبَيُّ بن كَعْب بن قَيْس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، له كنيتان : أبو المنذر وأبو الطفيل، وشهد العقبة وبدرًا. انظر: الجزري: **أسد الغابة**. (78/1).

[3] السمعاني: **تفسير القرآن**. (364/3 -365).

[4] الزمخشري: **الكشاف**. (98/3). وانظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (117/22).

[5] انظر: أبا حيان: **البحر المحيط**. (269/6). والآلوسي: **روح المعاني**. (283/16).

وانظر جمال التعبير ودقة لغة القرآن؛ بأن هذه المتعة كالزهرة عمرها قصير لا بقاء لها ولا دوام سرعان ما تزول وهكذا متعة الحياة الدنيا[1].

وبناءً على ما سبق فإن كفّ العينين عن النظر إلى متع الدنيا وزهرتها مظهر من مظاهر أدب الإعراض، وصورة ناصعة للاستعلاء على أعراض هذه الدنيا الزائلة الفانية، وقد أجاد سيد قطب في توضيح هذه الدعوة الربانية حيث قال: "ما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية، وبالصلة بالله والرضا به، فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا، وتبقى دائمًا تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار"[2].

ولعل مما يؤكد هذا الفهم موقف ربعيّ بن عامر ﷺ لمّا دخل على رستم ملك الفرس، "فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على القنطرة[3]، وأرسل إلى رستم بمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس فقال: ما ترون أنتهاون أم نباهي؟ قالوا : نباهي، فأظهروا الزبرجد[4]، وبسطوا البسط والنمارق[5]، ووضع لرستم سرير ذهب عليه الوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي وغِمْدُ سيفه لفافة ثوب خلق، ورمحه مَعْلُوب[6] بِقِد[7] معه حَجَفَة[8] من جلود البقر، فجاء حتى جلس على الأرض، وقال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم، فكلمه، وقال: ما جاء بكم، قال: الله جاء بنا؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."[9].

---

[1] انظر: أبا حيان: **البحر المحيط**. (269/6).

[2] قطب: **في ظلال القرآن**. (2357/4).

[3] القَنْطَرَة: "ما يُبنى على الماء للعبور عليه". الفيومي: **المصباح المنير**. (508/2).

[4] الزَّبَرْجَد: "جوهر معروف، ويقال: هو الزُّمُرُّد". الفيومي: **المرجع السابق**. (250/1).

[5] النَّمارِق: "هي الطَّنَافِسُ* المُخْمَلَةُ والبُسُطُ". الرازي: **مختار الصحاح**. (ص:114).

* الطَّنَافِس: "للبُسُطِ والثياب والحَصِيْرِ من سَعَف عَرْض ذِراع". االفيروزآبادي : **القاموس المحيط**: (ص:715).

[6] مَعْلُوْب: "وعَلَبَهُ: حَزَمَ مقبضه بعَلْبَاء* البعير". ابن منظور: **لسان العرب**. (627/1).

* عَلْبَاء البعير: عصب عنقه الصلب. انظر: الزبيدي: **تاج العروس**. (432/3).

[7] قِدّ: "القِدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ". الفراهيدي: **العين**. (17/5).

[8] حَجَفَة: "الحَجَف: ضَرْبٌ من التِّرَسَةِ واحدتها حَجَفَة، وقيل: هي من الجلود خاصة".ابن منظور: **لسان العرب**. (39/9).

[9] ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت: 597هـ: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. 16مج. ط1. بيروت: دار صادر. 1358هـ- 1939م. (167/4 -168).

في مثل هذا المشهد يظهر الاستعلاء على زينة الحياة الدنيا وزخرفها، ويتراءى للناظر علو أفق المسلم السامي أمام أبناء الدنيا الذين تستثيرهم زخارف الدنيا وزينتها وهي عندهم عظيمة كما الأطفال يستحوذ عليهم حب الدمى والعرائس أما المسلم فمُعْرِضٌ عن هذا كله؛ لأنه موقن بأن ما عند الله خير وأبقى، يستحضر في قلبه ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي الله ﷺ يقول الله تعالى:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..."[1].

ويجدر أن نتذكر في هذا الموطن أن الإسلام قد أباح لعباده الطيبات من الرزق في الملبس، والمأكل، والمشرب، وسائر شؤون حياتهم في حدود الاعتدال والوسطية ، فلينفقوا مما رزقهم الله دون أن تستحوذ على قلوبهم الدنيا بزخارفها ؛ فينقطع تعلقهم بالآخرة وما أعد الله لهم فيكونوا من الخاسرين الذين أخلدوا إلى الدنيا.

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: التفسير. باب: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. رقم الحديث. (4501). (1794/4). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. بدون اسم لباب. رقم الحديث. (2824). (2174/4).

المبحث الثالث

الإعراض السلوكي

عُرِّفَ السُلوك الأخلاقي المثالي: (Ideal Behaviour) بـــ: "رؤية الفرد لما ينبغي أن تكون عليه أفعاله وتصرفاته في ما يتعلق بعديدٍ من الأمور والقضايا الدينية والشخصية والاجتماعية والحياتية"[1].

ولعل هذا التعريف هو ما يمثل مراد الباحث في هذا الموطن من هذه الدراسة.

المطلب الأول: عدم الالتفات والإصغاء:

تأتي هذه الصورة السلوكية لتعبر عن حالة من أدب الإعراض، وتمثل مظهرًا من مظاهره، فهو مظهر يشف عن منحى من الأدب والذوق الرفيع، لا عن حالة من الكبْر والاستعلاء السلبي ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وهذا " يعني إذا سمعوا الشتم والأذى القبيح لم يردوا عليهم ولم يكافئوهم به ولم يلتفتوا إليه يعني إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم"[3].

يقول سيد قطب في بيان هذا المظهر لأدب الإعراض: "إنها صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها، تفيض بالترفع عن اللغو، كما تفيض بالسماحة والود، وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقه واضحًا لا لبس فيه، فلا مشاركة للجهال ولا مخاصمة لهم، ولا موجدة عليهم ولا ضيق بهم، إنما هو الترفع والسماحة وحب الخير حتى للجارم المسيء"[4].

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[5].

---

[1] شحاتة والنجار الأستاذ الدكتور حسن والأستاذة الدكتورة زينب: **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**. 1مج. مراجعة: الأستاذ الدكتور حامد عمان. ط1. القاهرة - مصر: الدار المصرية اللبنانية. 1424هـ- 2003م. (ص:197).

[2] سورة القصص الآية: 55.

[3] السمرقندي: **بحر العلوم**. (613/2). وانظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (822/2). وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (395/3). والشوكاني: **فتح القدير**. (178/4).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (2702/5).

[5] سورة الأنعام الآية: 106.

إن الإعراض المأمور به في هذه الأية يراد به عدم الاحتفال بأقوال المشركين والالتفات إلى آرائهم وأقوالهم الباطلة وأفعالهم المؤذية[1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾[2].

ويُجلّي الغزالي هذا الأدب ومظهره فيقول: "ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم"[3].

وبناء على ما سبق فإن عدم الالتفات والإصغاء مظهر من مظاهر أدب الإعراض؛ قد يكون بدافع الرفض وعدم القبول والتسليم، كما قد يكون بدافع الاستعلاء والتنزه عن الخوض فيما هو دنيء، وهو تعبير عن البغض والكراهية لما يجري، فيلجأ المسلم في مثل هذه الأحوال إلى الإعراض تعبيرًا عن موقفه المخالف والرافض.

المطلب الثاني: الإقلال من المحادثة والمؤانسة للزوجة:

إن المحادثة والمؤانسة وتجاذب الحديث مع الأخر غالبًا ما تكون دليلًا على المحبة وتعبيرًا عن الود ودِفْء العلاقة ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره، وعدّد محاسنه ومزاياه، فإذا ما قلت المحادثة والمؤانسة فإن ذلك يشير إلى ضعف في العلاقة، وفتور في مشاعر المحبة والألفة، وهذا ينطبق على كل علاقة فقد عدد صاحب جلاء الأفهام فوائد وثمرات تحصل بالصلاة على الرسول ﷺ فمما قاله: "كلما أكثر (العبد) من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه. وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه"[4].

---

[1] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (440/2). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (171/30). والآلوسي: **روح المعاني**. (250/7). وابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (423/7).

[2] سورة المؤمنون الآية: 3.

[3] الغزالي: **إحياء علوم الدين**. (192/2).

[4] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت: 751هـ: **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**. 1مج. تحقيق: شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط. ط2. الكويت: دار العروبة. 1407هـ-1987م. (ص:447).

وعلى صعيد العلاقة الزوجية التي هي في الأصل علاقة سكن ومودة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، فإن المحادثة والمؤانسة ترسيخ للمودة، وتثبيت للسكن المأمول من هذه العلاقة، فإذا ما حصل الإعراض فإن ذلك ينذر باهتزاز هذه العلاقة وضعف تلك الرابطة، فيأتي الإعراض مظهرًا ومؤشرًا على فتور العلاقة الزوجية.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[2].

فنشوز الزوج عن زوجته: "هو إعراضه عنها لرغبته عنها لمرضها أو كبرها أو غيرهما"[3]. ويجد الباحث أن من المفسرين من فسر الإعراض هنا: بأن يترك الزوج الكلام مع زوجته ولا يأنس بها[4]. وذهب فريق آخر إلى أن المراد بالإعراض هنا: الإقلال من مجالسة الزوجة ومجادلتها ومؤانستها[5].

ويميل الباحث إلى أن المراد بإعراض الزوج هنا هو إقلاله من مجالسة زوجته ومحادثتها ومؤانستها ، وهو مظهر يعكس حالة التغير في مشاعر الود والمحبة لزوجته؛ لأسباب سبق الحديث عنها والإشارة إليها في المطلب الرابع عشر من المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذه الدراسة.

---

[1] سورة الروم الآية: 21.

[2] سورة النساء الآية: 128.

[3] ابن قدامة: **الكافي.** (138/3).

[4] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (403/5). والشوكاني: **فتح القدير.** (521/1).

[5] انظر: السمرقندي: **بحر العلوم.** (369/1). والزمخشري: **الكشاف.** (604/1). والنسفي: **مدارك التنزيل.** (286/1). والآلوسي: **روح المعاني.** (161/5).

المطلب الثالث: الكف عن المجادلة:

لقد أباح الإسلام المجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1] . ولكن هذه الإباحة ليست على إطلاقها، فالحوار "مشروع بحدوده وجدواه، فالحوار ليس مشروعًا مشروعيةً مطلقةً لكي يتناول كل شأن، فهو ليس من قبيل الترف الفكري، ولا الفضول وحب الاستطلاع وتشقيق الجدل في المسائل. هناك قضايا محددة ليس من الجائز الخوض فيها بحوار أو جدال؛ إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية وراءَها، أو لأنها محسومة بنص شرعي أو إجماع"[2].

وها هو القرآن الكريم يؤدب الأنبياء بأدب الجدال والحوار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾[3]. لقد جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام بالإعراض، ولكن عن أي شيء هذا الإعراض؟ إنَّه الإعراض عن المجادلة في أمر قوم لوط والمراجعة في شأنهم[4]، فقد جاء هذا الأمر لعدم جدوى المجادلة.

وقال تعالى في الكف عن المسافهة: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[5]. ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالإعراض عن الجاهلين في هذه الآية عدم مقابلة السفهاء بمثل سفهم من أقوال وأفعال[6].

---

[1] سورة النحل الآية: 125.

[2] سلام الدكتور سيِّد أحمد جمعة: **المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب**. 1مج. ط1. المنصورة- مصر: مكتبة الإيمان. 1428هـ- 2007م. (ص:41).

[3] سورة هود الآية: 76.

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (80/12). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (445/2). والبغوي: **معالم التنزيل**. (394/2). والزمخشري: **الكشاف**. (389/2). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (26/18). والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (109/2).

[5] سورة الأعراف الآية: 199.

[6] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (428/1). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (242/2). والزمخشري: **الكشاف**. (179/2). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (84/3). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (457/2). والآلوسي: **روح المعاني**. (147/9).

قال سيد قطب: "الإعراض يكون بالترك والإهمال والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال... وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشدَّ والجذب"[1].

وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[2].

والمعنى: اترك مجادلتهم فقد بلغت وقمت بما هو مطلوب منك[3].

فالكف عن المجادلة حيث لا تجدي، وترك مقابلة السفيه بسفهه مظهر من مظاهر أدب الإعراض وعلى المسلم أن يتعلم فقه ذلك، وهذا يقتضي منه معرفةً عميقةً بالمخاطَب أو الطرف الآخر وإدراكًا كبيرًا بما تشكِّله المسألة موضوع النزاع بالنسبة إليه عندها يقدّر ويقرر متى يلجأ إلى هذا السلوك الإعراضي المعبر عن أدب عند المسلم؛ فيكون الكف عن المجادلة والمسافهة أسلم وأكرم وربما أنكى من المقابلة والمجادلة، وكما قال الشاعر "المُؤَمَّ بنُ أُمَيْل المُحاربي[4]:

"وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللئيمِ تَكرُّمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ"[5]

المطلب الرابع: التغافل والإغضاء:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[6].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (1419/3).

[2] سورة النجم الآية: 29.

[3] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (268/28). والشوكاني: **فتح القدير**. (112/5).

[4] المُحارِبي، المُؤَمَّلُ بنُ أُمَيْل بن أُسيد المُحَارِبِي الكوفي، من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، كان شاعرًا مجيدًا، مدح المهدي وهو ولي عهد، فأمر له بعشرين ألف درهم، فعذل المنصورُ المهديَ، وأعطى المؤمَّل أربعة آلاف فقط ، مات في حدود سنة 190هـ. انظر: الحموي: **معجم الأدباء**. (538/5 - 540). وانظر: الكتبي، محمد بن شاكر أحمد.ت: 764هـ: **فوات الوفيات**. 2مج. تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد بن الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ- 2000م. (538/2- 539).

[5] أبو تمَّام : **ديوان الحماسة**.1مج. (ص:332).

[6] سورة التحريم الآية: 3.

ذهب عدد من المفسرين إلى أن الرسول ﷺ لم يُعَرِّف زوجه حفصة رضي الله عنها بكل الحديث بل أعرض عن بعضه، وهذا أدب منه من باب التكرم والإغضاء[1].

وهذا يعني أن التغاضي والتغافل عن هفوة الآخر والسكوت عليها هو من كرم الأخلاق وشيم العقلاء والفضلاء عندما يكون المخطئ ممن لا يُعْرَفُ عنه فسق أو فساد.

قال أكثم بن صيفي[2]: "مَنْ شَدَّدَ نَفَّرَ ومَنْ تَرَاخى تَأَلَّفَ والشرفُ في التغافلِ"[3]. وقال شبيب بن شيبة[4]: "الأريب العاقلُ هو الفَطِنُ المُتغافِلُ"[5].

لقد كانت شيمة الإغضاء ظاهرة في سيرة رسول الله ﷺ وهو يدعو للإسلام، فيرسم للدعاة خاصة وللمسلمين عامة المنهج القويم في مواجهة المعرضين والمخالفين، ومن ذلك ما حدث معه لمَّا قصد الطائف داعيًا إلى الإسلام، ملتمسًا النصرة والمنعة، ولكن أهل الطائف كان ردهم قبيحًا، فرفضوا الدعوة وأغروا بالرسول ﷺ السفهاء والعبيد يؤذونه، فلجأ إلى حائط لعُتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة رافعًا أكف الشكوى والدعاء إلى الله تعالى[6].

لقد ظهر إغضاؤه وحلمه ﷺ عن أهل الطائف عندما لم يدعُ عليهم بسوء، بل صبر على أذاهم وسوء استقبالهم له، وفي هذا درس بليغ للدعاة أن يُوَطِّنوا أنفسهم على تحمل أذى المدعويين والحلم والإغضاء عنهم رجاءً في هدايتهم وصلاحهم. "وإلى حلمه وإغضائه ﷺ أشار صاحب الهمزية (البُوْصِيري) بقوله:

---

[1] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (1112/2). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (472/5). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (286/8). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (195/19).

[2] أكثم بن صيفي: هو ابن رياح(وقيل في الإصابة: رباح) بن الحارث بن مخاشن التميمي ،كان حكيمًا عاقلًا مشهورًا يقول: الشعر أوصى قومه أن يسلموا، خرج لملاقاة الرسول ﷺ ، ولكن أكثم مات في الطريق، ويقال إنه عاش 190 سنة. انظر: البلاذري: **أنساب الأشراف**. (67/13). وابن حجر: **الإصابة**. (209/1 -211).

[3] الماوردي: **أدب الدنيا والدين**. (ص:181).

[4] شبيب بن شيبة هو: ابن عبد الله بن عمرو بن الأهتم البصري الخطيب، كان فصيحًا، ضَعَّفه النسائي وأبو زرعة الرازي، وكان من سادات زمانه في العلم والدين والنسك والإتقان، مات سنة 226هـ. انظر: السمعاني، أبا سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي. ت: 562هـ: **الأنساب**. 5مج. تحقيق: عبد الله عمر البارودي. ط1. بيروت: دار الفكر. 1419هـ - 1998م. (397/5).

[5] الماوردي: **أدب الدنيا والدين**. (ص:181).

[6] انظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**. (266/2- 269).

"جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخو الحِلْمِ دأبُهُ الإِغضاءُ

وَسِعَ العالمينَ عِلمًا وحِلْمًا فَهْو بَحرٌ لمْ تُعْيِهِ الأَعْباءُ"[1]

أي جهلت قومه ﷺ عليه فآذوه أذية لا تطاق فأغضى عنهم حِلْمًا"[2].

ويشير الدكتور سلام إلى قيمة المداراة والإغضاء عن المقصرين فيقول: "وأسلوب المداراة... يقود إلى غض الطرف عن أخطاء المقصرين ما دام طريقًا لاستصلاحهم، وإقالة عثرات العاثرين إذا كانوا ذوي هيئات، أو كان ذلك سبيلًا إلى دفنها وتقليلها... إن إقالة العثرة ليست إقرارًا للباطل ولكنها إنقاذٌ للواقع فيه"[3].

فالتغافل والإغضاء سياسة حكيمة راشدة من نفس كبيرة مع نفس زَلّت وتعثرت وحادت عن جادة الحق وأُريد لها الإصلاح حتى لا تبقى فريسةً للشيطان وأعوانه.

فالمسلم داعية وناصح وصابر على سوء أخلاق الناس، وإذا أساء الآخرون الأدب فلا ينبغي أن يقابلهم بالسوء فيضع نفسه في مصافّ السوقة والدهماء أو يُنَصِّبَ نفسه قاضيًا وحاكمًا وجلَّادًا بل يتميز بأخلاقه وحكمته وحسن تصرفه.

قال المُثَقِّب العَبْدي[4]:

"وَكَلامٌ سَيِّءٌ قَدْ وَقَرَتْ[5] أُذُني عَنْه وَما بِي صَمَمٌ"[6]

---

[1] البُوْصِيري، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصُّنْهاجي المصري.ت: 696هـ: **ديوان البوصيري**. 1مج. ط1. بيروت- لبنان: دار المعرفة. 1428هـ- 2007م. (ص: 20).

[2] الحلبي، علي بن برهان الدين. ت: 1044هـ: **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**. 3مج. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. 1400هـ- 1980م. (58/2).

[3] سلام: **المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب**. (100-101).

[4] المُثَقِّبُ العَبْدي: هو عائذ بن محصن بن واثلة بن عدي بن عوف بن نكرة وهي القبيلة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وهو من شعراء البحرين وفصحائهم. انظر: الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**. (271/1).

[5] وَقَرَت:" وَقَرَت الأذن: ثَقُلَ سَمْعُها" . ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي الأندلسي. ت: 458هـ: **المخصص**. 5مج. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1417هـ- 1996م. (389/4).

[6] الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى. ت: 178هـ: **المفضليات**. 1مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. بدون ط. بيروت. (ص:294).

"وأما المتيقظ الطبع فإنه لا يضع الغفلة إلا في موضعها الذي يذم فيه البحث والتقصي والتغافل فهمًا للحقيقة وإضرابًا عن الطيش، واستعمالًا للحلم وتسكينًا للمكروه، فلذلك حُمدت حالة التغافل وذُمت الغفلة"[1].

قال الغزالي: "فستر العيوب، والتجاهل، والتغافل... شيمة أهل الدين"[2]؛ وذلك لأن "كثرة الخصومات وعدم الإغضاء والتجاوز يورث ضَراوة[3] وجُرأة"[4].

وبناء على ما سبق فإن التغافل والإغضاء صورة سلوكية، ومظهر من مظاهر أدب الإعراض إذ لا يكون في عموم الأحوال بل له مقاماته المخصوصة وله دوافعه ودواعيه التي تشف عن مستوى راقٍ في حسن التعامل، ورسوخ في الرشد والحكمة، وهذا يدل على منتهى الأدب والفضيلة عند المسلم.

المطلب الخامس: المقاطعة مع الإهمال والمقت:

قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[5].

هاتان الآيتان في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[6]، وفسر الإعراض في الآية الكريمة الأولى: بمقتهم وترك سلامهم وكلامهم[7].

---

[1] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري. ت: 456هـ: **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1399هـ- 1979م. (ص: 86).

[2] الغزالي: **الإحياء**. (178/2).

[3] الضَّرَاوَةُ: "هي الدُّرْبَةُ والعَادَةُ". الأزهري: **تهذيب اللغة**. (40/12).

[4] الهيتمي: **الزواجر**. (883/2).

[5] سورة التوبة الآيتان: 95- 96.

[6] انظر: ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن**. (1865/6). والبغوي: **معالم التنزيل**. (320/2).

[7] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (478/1). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (130/16).

ويفصّل ابن عاشور الإعراض الذي أُمِرَ المسلمون به في الآية الكريمة، فيقو : "إذا كانوا يرومون (أي المنافقون) الإعراض عنهم، فأعرضوا عنهم تمامًا، وهذا ضرب من التقريع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنّه أجيبت طِلبته حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأسًا؛ لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين فإذا بهم يُواجَهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه فهم من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه أو من القول بالموجَب"[1].

ففي سياق التعامل مع المنافقين تبرز الدعوة للمقاطعة والإهمال مع البغض والكره لهؤلاء المنافقين وما يصدر منهم مما يغضب الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا شك في أن التجنب مع التجاهل وعدم المحادثة أسلوب قاسٍ ومؤثر يحمل في طياته رسالة صريحة معبرة عن الرفض وعدم التصديق بما يعتذر ويتعلل به هؤلاء المنافقون .

ومما قاله سيد قطب في هذا الشأن :"ثم يوجهه ربه إلى الإعراض عنهم فعلًا، لكن لا بمعنى العفو والصفح إنما بمعنى الإهمال والاجتناب معللًا ذلك بأنهم دنس يُتَجنب ويُتَوقَّى"[2].

ويلحظ الباحث أن مظهر أدب الإعراض في هذا المقام يبدو بصورة مركزة ومركبة من ثلاثة أمور هي:

1 - الحركة الجسمية الرافضة (لا تجالسوهم).

2 - السلوك الرافض (المقاطعة وترك التكليم).

3 - المشاعر النفسية الرافضة (المقت).

وهذه رسالة قوية تهز النفوس وتصل إلى أعماق من تخلفوا ولكن في ثوب أدبي رائع بعيدًا عن أسلوب العتاب واللوم الذي قد يخفف حِدَّةَ التوجس والقلق عند المنافقين، أو الصياح والصراخ الذي سرعان ما ينتهي أثره بمجرد توقفه.

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (9/11).

[2] قطب: **في ظلال القرآن**. (1696/3).

المطلب السادس: السكوت:

قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾[1].

والذي يعني الباحث من هذه الآية في هذا الموضع أن الأمر ليوسف عليه السلام بالإعراض أريد به السكوت وترك الكلام وعدم التحدث عما بدر من تلك المرأة[2]. وهذا يدل على أن السكوت والكتمان سلوك ومظهر صامت ذو دلالة قوية في التعبير عن الإعراض والترك للأمر وتجاهله.

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾[3].

فيفهم من الآية الكريمة أن الرسول ﷺ سكت عن الإجابة؛ إذ السكوت أحياناً يكون أحد مظاهر أدب الإعراض، قال الأعمش[4]: "السكوت جواب"[5].

وقد طلب من يوسف عليه السلام السكوت فسكت، وسكت الرسول ﷺ في بعض المواقف، وقد يسكت كل إنسان، ولكن الذي يعني الباحث هنا سكوت الإعراض الذي يحمل في طياته دلالة تعبيرية دالة على الرفض، أو لغاية صرف السائل أو المتكلم عما يتكلم فيه، ومن ذلك "أن العَالِم

---

[1] سورة يوسف الآية: 29.

[2] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (284/3). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (602/1). والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (118/2). والبقاعي: **نظم الدرر**. (33/4). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (270/4). والآلوسي: **روح المعاني**. (224/12).

[3] سورة الإسراء الآية: 28.

[4] الأعمش: هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي، كان من النساك، ومن علماء المسلمين، ولد سنة 60هـ، ومات سنة 148هـ، وقيل: غير ذلك في سنة وفاته. انظر: ابن الجوزي، أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. 597هـ: **صفة الصفوة**. 4مج. تحقيق: محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي. ط2. بيروت: دار المعرفة. 1399هـ- 1979م. (117/3 -118).

[5] البغدادي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي. ت: 281هـ: **الصمت وآداب اللسان**. 1مج. تحقيق: أبي إسحاق الحويني. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1410هـ- 1989م. (ص: 300).

إذا سئل عن شيء لا يجب الجواب فيه أن يسكت، ولا يجيب بنعم ولا بلا، ورب كلام جوابه السكوت، وفيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه"[1].

وقد يكون السكوت تعبيرًا عن الرضا والموافقة أحيانًا والعلماء على خلاف في هذه المسألة، وليس هذا الذي يعنيه الباحث في هذا المقام، فإن لذلك مواضعه الأخرى في الدراسات الفقهية والأصولية[2] .

المطلب السابع: العفو والصفح عن المسيء:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾. "أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم"[4]، وفسرها الشوكاني: إن المراد محو الذنب والإغماض عن الجناة[5].

ويؤكد الرسول ﷺ على فضيلة العفو بقوله: "ما نَقَصَت صَدقةٌ مِنْ مال، ومَا زَادَ اللهُ عبدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًا، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إلا رَفَعَه اللهُ"[6].

---

[1] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. ت: 463هـ: **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**. 12مج. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. بدون ط. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1387هـ- 1967م. (265/3).

[2] انظر: الغزالي، أبا حامد محمد بن محمد. ت:505هـ: **المنخول في تعليقات الأصول**. 1مج. تحقيق: د. محمد حسن هيتو. ط2. دمشق: دار الفكر.1400هـ- 1980م. (ص:318 - 319).

[3] سورة النور الآية: 22.

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (277/3).

[5] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**. (17/4).

[6] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: استحباب العفو والتواضع. رقم الحديث. (2588). (2001/4).

ذكر النووي وجهين في شرح قوله ﷺ: "وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا"[1]: "أحدهما أنه على ظاهرِهِ وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه. والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك"[2]، ولا تعارض بين المعنيين، ولا مانع من حصولهما معًا، فهو جزاء في العاجل والآجل.

قال أسيد بن أوس[3]: "والعفو ترك العقوبة، وترك العقوبة يَسُلُّ السَّخِيمَةَ[4،5].

إن الاتصاف بالعفو والصفح مؤشر على نفوس استعلت على أهوائها وأغراضها وآثرت ما عند الله تعالى من المثوبة، فترى المسلم يعفو ويصفح عمن أساء أو زلَّ قال الفضيل بن عياض[6]: "الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان"[7].

فالعفو والصفح كرم في الأخلاق، وسبق في مضمار المكارم والمعالي ؛ فمن عفا وصفح فقد أعرض عن المكافأة[8]، وارتقى بمروءته وفَضْل أخلاقه.

قال الشاعر[9]:

"لَذَةُ العَفوِ إنْ نَظَرْتَ بِعَيْنِ العَدْلِ أَشْفَى مِنْ لَذَةِ الانتِقَامِ

---

[1] هذا المقطع من الحديث سبق تخريجه في المطلب الثامن من المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[2] النووي: **شرح النووي على صحيح مسلم**. (141/16).

[3] ابن أوس، أسيد التميمي"عاش أسيِّد بن أوس التَّميميّ مائة وتسعين سنة، وقتل له ثلاثون إبنًا في حرب كانت بينه وبين بني يشكر بن بكر بن وائل وكان من الحكماء ". انظر: السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان. ت: 248هـ: **المعمرون والوصايا**.1مج. تحقيق: عبد المنعم عامر. بدون ط. مصر: دار إحياء الكتب العربية. 1381هـ - 1961م. (ص:24). وذكر ابن ماكولا أنه أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد من ولده جماعة وذكر نسبه وذريته. انظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر. ت: 475هـ: **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. 7مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1990م. (73/1).

[4] السَخِيمَة: "الحقد والضغينة والمَوْجِدَةُ في النفس". ابن منظور: **لسان العرب**. (282/12).

[5] السجستاني: **المعمرون والوصايا**. (ص:74).

[6] الفضيل بن عياض، هو أبو علي التميمي اليربوعي المروزي، قيل: ولد بسمرقند، وقيل: بخراسان، وأقام بمكة، كان ثقةً، نبيلًا، فاضلًا، عابدًا، ورعًا، قيل: توفي سنة 187هـ. انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**. (245/1- 246).

[7] القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري. ت: 465هـ: **الرسالة القشيرية**. 1مج. تحقيق: خليل المنصور. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1422هـ -2001م. (ص:261).

[8] انظر: ابن الملقن، سراج الدين أبا حفص عمرو بن أبي الحسن النحوي الأنصاري الشافعي. ت: 804هـ: **تفسير غريب القرآن**. 1مج. تحقيق: سمير طه المجذوب. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1408هـ -1987م. (ص:64).

[9] حاول الباحث الوصول لأسمه والتعريف به، ولكن بعد البحث لم يتم التوصل لذلك.

هَذِهِ تُكْسِبُ المَحَامِدَ والأَجْرَ وهذي تَجِيءُ بالآثَامِ"[1]

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[2].

ذهب عدد من المفسرين إلى أن المراد بالإعراض عن المنافقين: عدم المبالاة بهم وترك عقوبتهم والانتقام منهم[3]، وترك معاقبتهم يعني دعوة إلى العفو والصفح، فإن الله تعالى مطلع على سرائرهم ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم ومِنْ ثَمَّ يكون العفو والصفح والتجاوز عنهم مظهرًا من مظاهر أدب الإعراض.

وقد تعددت الآيات الكريمة الواردة في سياق الدعوة للإعراض عن المنافقين، منها قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾[4].

والأمر بالإعراض هنا "يعني عن معاقبتهم وعن شغل البال بهم وعن قبول أيمانهم الكاذبة... وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر"[5].

المطلب الثامن: الاستعفاف:

الفرع الأول: الاستعفاف عن أموال اليتامى:

إن الحرص الزائد على الدنيا والطمع في حطامها الزائل يعد من رذائل الأخلاق، والمسلم الفَطِن لا يرتع في أرض الشبهات بل يُعْرِضُ عنها ليَسْلَمَ دينه وتصلح دنياه ،وهذا من الخصال الرَّضِيَّةِ والشيم العَلِيَّةِ، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم

---

[1] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. ت: 733هـ: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. 15مج. تحقيق: مفيد قمحية وجماعة. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ- 2004م. (55/6).

[2] سورة النساء الآية: 81.

[3] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (571/1). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (262/1). والخازن: **لباب التأويل**. (563/1). والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (149/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (207/2).

[4] سورة النساء الآية: 63.

[5] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (73/2).

مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[1].

قال أبو حيان في الآية الكريمة: "تقسيم لحال الوصي على اليتيم؛ فأمره تعالى بالاستعفاف عن ماله إن كان غنيًا واقتناعه بما رزقه الله تعالى من الغنى، وأباح له الأكل بالمعروف من مال اليتيم إن كان فقيرًا بحيث يأخذ قوتًا محتاطًا في تقديره"[2].

فـــ"من كان من الأولياء والأوصياء غنيًا فليتنزّه عن أكلها(أي أموال اليتامى)، وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق إشفاقًا على اليتيم وإبقاءً على ماله"[3].

فالآية الكريمة ترد في سياق التوجيه والإرشاد للأوصياء والأولياء بلزوم التقوى في أموال اليتامى، ومن خلال الآية يتبدى أحد مظاهر أدب الإعراض ألا وهو الاستعفاف، الذي هو تنزه وكف للنفس عن الأخذ من أموال اليتامى إلا عند الفقر والحاجة مع التفرغ وحبس النفس على القيام بهذه الأموال ويكون الأخذ بضابط المعروف.

قال الشاعر:

"وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءٌ"[4].

الفرع الثاني: استعفاف القواعد من النساء عن وضع ثيابهن:

هذه الآية الكريمة تدفع باتجاه الإعراض عن وضع الثياب للقواعد من النساء؛ تَوَرُعًا واتقاءً للشبهة وإغلاقًا لنافذة الفتنة، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[5].

---

[1] سورة النساء الآية: 6.

[2] أبو حيان: **البحر المحيط**. (181/3)

[3] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (146/2).

[4] أبو تمَّام: **ديوان الحماسة**. (ص: 339).

[5] سورة النور الآية: 60.

ويبدو من هذا النص القرآني الحرص على أن تبقى مجتمعات المسلمين وعلاقاتهم الناظمة لأفراده علاقات قائمة على الطهر والعفاف، ونظافة المَسْلَكِ والمَنْزَعِ؛ وإن كان الحديث عن نساء كبرن في السن، ولم يعد فيهن للنكاح رجاء؛ فالآية ترفع الحرج عن أن ﴿ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ ، "عند الرجال يعني: يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه لِمَا فيه من كشف العورة"[1].

"فلما كان الغالب من النساء أن ذوات السن لا مذهب للرجل فيهن أبيح لهن ما لم يبح لغيرهن، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب إذ علة التحفظ مرتفعة منهن"[2].

ولكن على الرغم من هذا كله فالتوجيه الرباني ومقتضى الأدب يدفعان باتجاه لزوم الاستعفاف والإعراض عن وضع الثياب مظهرًا لهذا الأدب وصورة لهذا الامتناع؛ فإن ذلك خير لهن.

وإنما جعل ذلك أفضل بُعْدًا عن التهمة والظِّنة، وعند الظِّنة يلزمهن ما يلزم الشابة[3] "ورُبَّ عجوز يبدو منها الحرص على أن يظهر بها جمال"[4]

و"خير سبل العفة تقليل فرص الغواية، والحيلولة بين المثيرات وبين النفوس"[5]. وإذا كان هذا كله في حق القواعد من النساء فغيرهن أولى بلزوم الإعراض عما فيه سخط الله ﷻ ورسوله ﷺ من ألبسة ومظاهر أعرضت عنها نساء الجاهلية الأولى.

الفرع الثالث: استعفاف يوسف عليه السلام:

قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[6].

---

[1] ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (456/14).

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (195/4).

[3] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (201/4). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (456/14).

[4] أبو حيان: **البحر المحيط**. (434/6).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (2533/4).

[6] سورة يوسف الآيات: 23 -28.

لقد ظهرت عفة يوسف عليه السلام بجلاء في غمار هذه الفتنة، وبرز إعراضه عن فعل الفاحشة والاستسلام لدواعي الشهوة فقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ "أي أعوذ بالله معاذًا مما تدعينني إليه، وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه"[1].

"إن افتنان سيدته في مراودته وجذبها خلسات نظرِهِ لم تؤثر في ميل قلبه إليها بل ظل معرضًا عنها متجاهلًا لها حتى إذا ما صارحته بما تريد استعاذ بربه ورب آبائه وعَيَّرَها بالخيانة لزوجها"[2].

وجاء في روضة المحبين: "قال بعضهم: والله لَلَذة العفة أعظم من لذة الذنب، ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا وسرورًا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وها هنا يمتاز العقل من الهوى"[3].

المطلب التاسع: الحِلْم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[4].

جاء في معنى الحليم: "وأما الحليم فهو الصفوح عن الذنوب"[5] وقال النسفي في معنى " ﴿ حَلِيمٌ ﴾: هو الصبور على البلاء، الصفوح عن الأذى؛ لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك"[6].

فمما لا شك فيه أن الحلم خلق عظيم، ومرتبة عالية في مضمار الصبر والاحتمال، وهو في كل الأحوال صورة ومظهر لأدب الإعراض عن المجازاة والمقابلة، فالحليم "لا ينزعج على

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (265/4).

[2] المراغي، أحمد مصطفى. ت:1371هـ: **تفسير المراغي**. 10مج. ط3. بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1394هـ- 1974م. (143/12).

[3] ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت: 751هـ: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. 1مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ- 1992م. (ص: 103).

[4] سورة التوبة الآية: 114.

[5] السمعاني: **تفسير القرآن**. (354/2).

[6] النسفي: **مدارك التنزيل**. (522/1).

من آذاه، ويجاهد نفسه؛ لترتاضَ فيحسن له بالعفو والصفح عنه، وكذلك لا يؤاخذ من تسلط عليه بالأذية وقلة الأدب... ولا يقابل الشر بمثله، فإن ذلك ليس من شيم العلماء وإنما شيمهم الحلم والإقالة والصفح والعفو"[1].

ولكي يتصف المرء بصفة الحلم لا بد له من أن يتعهد نفسه بالرياضة والمجاهدة؛ حتى يَسْلُسَ قيادها ويسهل كبح فَلَتَاتِها خصوصًا عند الإغضاب، فعن أبي الدرداء[2] ﷺ، قال: "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم"[3].

وليس المراد بالحلم الرضا بالضَّيْمِ، وإهدار الكرامة، والقبول بالإهانة ؛ وإنما أن يكون الحلم من منطلق القدرة والقوة والفهم، فعن عطاء بن يسار[4]، قال: "ما أوتي شيء إلى شيء أزين من الحلم إلى علم"[5].

قال سالم بن وابصة[6]:

"إنّ مِنَ الحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عارِفُهُ والحِلْمُ عنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ"[7]

والحِلْم عن القدرة عدا عن أنه فضل من الكرم فإنه يطفئ نار الحقد وجذوة الشر.

---

[1] ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي. ت: 737هـ: **المدخ** . 4مج. بدون ط. دار الفكر. 1401هـ -1981م. (199/1).

[2] هو: أبو الدرداء "عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري ... مختلف في اسم أبيه، وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل، اسمه عامر وعويمر لقب صحابي جليل، أول مشاهده أحد، وكان عابدًا، مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك". ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص:434).

[3] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. ت: 463هـ: **جامع بيان العلم وفضله**. 1مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. 1398هـ- 1978م. (135/1).

[4] ابن يسار هو: "عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية، مات سنة أربع وتسعين وقيل بعد ذلك". ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص: 392)

[5] ابن حرب، أبو خيثمة زهير النسائي. ت: 234هـ: **العلم**. 1مج. تحقيق: محمد ناصر الألباني. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1403هـ -1983م. (ص:21).

[6] ابن وابصة: هو سالم بن وَابِصة بن مَعْبَد الأَسَدي الرَّقّيّ ، هو من التابعين؛ روى عن أبيه، كان شاعرًا صاحب دين وعفة، ولي الرَّقّة بالشام لمدة ثلاثين عامًا، مات في خلافة هشام. انظر: ابن عساكر، أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. ت: 571هـ: **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**. 80مج. دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العَمْروي. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1415هـ- 1995م. (81/20-87). وانظر: ابن حجر: **الإصابة**. (12/3)

[7] أبو تمَّام: **ديوان الحماسة**. (ص:339).

الفصل الرابع

ضوابط أدب الإعراض ومنهج القرآن الكريم في عرضه والتوجيه إليه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضوابط أدب الإعراض.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض أدب الإعراض والتوجيه إليه.

تمهيد

يتناول الباحث في هذا الفصل الحديث عن ضوابط أدب الإعراض ومنهج القرآن الكريم في عرضه؛ وذلك من خلال محاولة تلمس تلك الضوابط والمحددات التي تضع أدب الإعراض في سياقه الصحيح، وتبرزه في صورته الواضحة بعيدًا عن الضبابة، وعدم الوضوح في الفهم والرّؤية ويسعى الباحث إلى محاولة اكتشاف المنهج القرآني في عرض هذا الأدب والدعوة إليه من خلال المبحثين الآتيين في هذا الفصل بفتح الله وعونه وتوفيقه.

المبحث الأول

ضوابط أدب الإعراض

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: إعلان المفاصلة والمفارقة (البراءة):

إذا كان يفهم من معنى الإعراض الكف وعدم المشاركة والتنزه بالنفس عن المُعْرَض عنه؛ فإن القرآن الكريم لم يترك الأمر مطلقا بل ضبطه وحدد مرتكزاته من خلال إعلان التَبَرُّؤِ والمفاصلة، إذ "لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بأَلَّا يودهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة"[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[2]. قال مجاهد في تفسير الإعراض عن اللغو: "من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم وأنهم أجابوهم بالجميل من القول: لنا أعمالنا قد رضينا بها لأنفسنا، ولكم أعمالكم قد رضيتم بها لأنفسكم"[3]، فالتبرُّؤُ حصل ولكن بأسلوب جميل صريح لا لَبْس فيه ولا غموض، كما كان في قوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾[4]. ويشير ابن عطية إلى أن المراد من الإعراض عن اللغو في الآية الأولى: "ما كان سبًا وأذىً، فأَدَبُ أهلِ الإسلام الإعراض عنه والقول على جهة التبري﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾"[5]. ومن المفسرين من يذهب إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ أنَّ هذا جري بطريق التوديع والمتاركة[6]. وقيل المعنى على وجهين: أحدهما: لنا

---

[1] المدائني: **شرح نهج البلاغة**. (9/20).

[2] سورة القصص الآية: 55.

[3] الطبري: **جامع البيان**. (91/20).

[4] سورة الكافرون الآية: 6.

[5] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (292/4).

[6] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (426/3). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (19/7).

ديننا ولكم دينكم. والثاني: لنا حلمنا ولكم سفهكم[1]. فعلى كل الوجوه تظهر المفاصلة والمفارقة واضحة، ولكن بأسلوب راقٍ مهذب، قال سيد قطب: "هكذا في أدب، وفي دعاء الخير، وفي رغبة في الهداية، مع عدم الرغبة في المشاركة"[2].

وتتوالى المؤكدات لهذه البراءة وهذه المتاركة؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ "معناه هنا المتاركة، والمباعدة لا التحية، أو كأنه سلام الانصراف والبعد"[3]. وبناء على ذلك فالسلام هنا يُشْعِرُ بالمفارقة، ولا يكون مع المفارقة جدال أو دخول في مشادّة في الكلام.

وهكذا تتضح صورة إعلان البراءة، وإظهار موقف الرفض مما سمعوه من اللغو، وكما قال أبو السعود: "لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم"[4].

فإن دوام المخالطة والصحبة لأهل اللغو والمنكر مدعاة إلى إِلْفِ المنكر وإذا ما أَلِفَ المسلمُ سماعَ المنكر ومشاهدته مع الصحبة والمخالطة؛ فإن هذا مطفئ لجذوة الإيمان في نفس صاحبه، ومُذهِب للغَيْرَةِ والحَمِيَّةِ على الدين، "فقد قال بعض السلف: شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم"[5].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[6]. يذهب الكثير من المفسرين إلى أن معنى السلام هنا: المتاركة، والموادعة[7]، ولكن مع التسلية للرسول ﷺ والتهديد والوعيد للمخالفين[8].

---

[1] انظر: السمعاني: **تفسير القرآن**. (148/4). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (230/6). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (272/15 -273).

[2] قطب: **في ظلال القرآن**. (2702/5).

[3] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (108/3).

[4] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (19/7).

[5] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت: 751هـ: **الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه**. 1مج. تحقيق: الدكتور محمد جميل غازي. بدون ط. جدة - السعودية: مكتبة المدني. (ص:74).

[6] سورة الزخرف الآية: 89.

[7] انظر: البغوي: **معالم التنزيل**. (148/4). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (67/5). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (156/5). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (533/2). والبقاعي: **نظم الدرر**. (61/7). والشوكاني: **فتح القدير**. (568/4). والآلوسي: **روح المعاني**. (109/25).

[8] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (156/5). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (533/2). والبقاعي: **نظم الدرر**. (61/7). والشوكاني: **فتح القدير**. (568/4).

المطلب الثاني: القول الميسور:

إذا كان الإعراض يحمل في طياته معنى المجافاة فإن القرآن الكريم يرطِّب هذه الأجواء بل يجعل القول الميسور طريقًا للوقاية من الوحشة المتوقعة. قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾[1].

فهذا أمر من الله ﷻ لنبيه ﷺ إذا سئل ولم يجد ما يعطي السائل فأعرض تأدبًا أن يؤنسه بالقول الميسور المتضمن للترجية والتأنيس بالميعاد الحسن والدعاء بطلب الرزق والعطاء[2] وكما قال القرطبي: "أي لينًا لطيفًا طيبًا... أي وعدًا جميلًا"[3]. ويؤكد على ذلك ابن عاشور بقوله: "وقد شرط الإعراض بشرطين: أن يكون إعراضًا لابتغاء رزق من الله؛ أي إعراضًا لعدم الجدة لا إعتراضًا لبخل عنهم. وأن يكون معه قول لين في الاعتذار"[4].

ويرى الباحث أن القول الميسور الذي يصاحب الإعراض يكون مع ضَعَفَةِ المؤمنين في مثل السياق الذي جاءت فيه الآية المذكورة وليس على الإطلاق إذ تستوجب بعض المقامات الزجر والتغليظ مع الإعراض خصوصًا مع الفسقة والمبتدعة وأهل الأهواء زجرًا لهم وتعزيرًا.

وقال الشنقيطي عن الآية الكريمة المذكورة: "وهذا تعليم عظيم من الله لنبيه لمكارم الأخلاق وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء؛ لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح. وهذا الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، صرح به الله جل وعلا في سورة البقرة في قوله: ﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾[5،6].

وقال الشاعر:

"فَضْ الْمُقِ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثِرٍ فِي الغِنَى سِيَانٌ فِي الجُوْدِ

---

[1] سورة الإسراء الآية: 28.

[2] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (450/3).

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (249/10).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (83/15).

[5] سورة البقرة الآية: 263.

[6] الشنقيطي: **أضواء البيان**. (86/3).

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخَيرَ أَفْعَلُهُ إِمّا نَوَالِي وَإِمّا حُسْنُ مَرْدُوْدي"[1]

ويحضر الباحث في هذا المقام قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام وهو يوجههما لدعوة فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[2]

فهذا درس عظيم بليغ للدعاة بأن يلينوا في القول مع من يخالفونهم ويعارضونهم رجاءً وطمعًا في اهتدائهم، فإذا كان هذا مع فرعون فالأَوْلى أن يكون بين المسلمين أنفسهم.

المطلب الثالث: الوعظ والقول البليغ

ليست الدعوة إلى التأدب بأدب الإعراض تعني السكوت، والصمت السلبي بل لا بد أن يرافق هذا الإعراض ويوازيه ويزامنه في بعض المواقف وعظ وقول بليغ يزجر المُعْرَض عنه.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[3].

والآية الكريمة تَرِدُ في سياق بيان كيفية التعامل مع الفئة المنافقة في مجتمع المسلمين، والمأمور به في هذا المقام أمران عدا الإعراض، هما الوعظ والقول البليغ وهذان الأمران يشكلان ضابطين لأدب الإعراض في هذا المقام.

---

[1] الشنقيطي: **أضواء البيان** . (ص: 473). والتوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس. ت: 360هـ: **الإمتاع والمؤانسة**. 1مج. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ- 2003م. (ص: 379). وقد نَسب صاحبُ هذا الكتاب البيتين لمحمد بن بشير. وانظر: الأصفهاني: **الأغاني**. (35/14). وقد نسب صاحب هذا الكتاب البيتين لمحمد بن يسير. وقد نظر الباحث ترجمة محمد بن بشير في كتب من ترجم لهذا الاسم فوجد في كتاب الأغاني أنه شاعر فصيح حجازي من شعراء الدولة الأموية. انظر: الأصفهاني: **الأغاني**. (112/16). و نظر الباحث ترجمة محمد بن يسير في كتب من ترجم لهذا الاسم فوجد في كتابيّ الإكمال والأغاني: أنه شاعر بصري مشهور من شعراء المحدثين، وكان ماجنًا هجاءً خبيثًا. انظر: الأصفهاني: **الأغاني**. (21/14). وابن ماكولا: **الإكمال**. (303/1). ولكن لم يوصف في هذا الكتاب الأخير بالمجون، والهجاء، والخبث، "وقد طويت صفحة البحث*" دون الجزم لأي الشاعرين كان هذان البيتان.

* العبارة مقتبسة: انظر: الخالدي، الدكتور محسن سميح: **الهوى: دراسة موضوعية للمصطلح القرآني**. مجلة دراسات. الجامعة الأردنية. المجلد 37. علوم الشريعة والقانون. العدد 2. 1431هـ- 2010م. (ص:457)

[2] سورة طه الآية: 44.

[3] سورة النساء الآية: 63.

الفرع الأول: الوعظ:

قال الطبري في تفسير المراد من الوعظ في الآية الكريمة: "بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم وعقوبته أن تنزل بدارهم وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله"[1]. وذهب الرازي إلى القول في﴿ وَعِظْهُمْ ﴾: "والمراد أنه يزجرهم عن النفاق والمكر، والكيد والحسد والكذب، ويخوفهم بعقاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2][3].

وذكر ابن عاشور في تفسير الوعظ في هذه الآية: "الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال"[4].

وما ذكره هؤلاء المفسرون من تفسير للوعظ ينسجم بعضه مع بعض، فلا تنافي بين ما قيل؛ لأنَّ الكل مجمع على أن المراد من الوعظ التحذير من فعل الشر بتركه، وهجر أشكاله مع القيام بفعل الخير والامتثال لأمر الله تعالى.

ومما يُصَوِّر أثر الوعظ من سنة الرسول ﷺ ما رواه العِرْبَاضُ بن سارية[5] قال:" وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب..."[6]

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (156/5).

[2] سورة النحل الآية: 125.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (127/10).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (108/5).

[5] هو: عرباض بن سارية السلمي، كنيته أبو نجيح ،كان من أهل الصفة، ونزل حمص، روى عن النبيﷺ مات سنة 75هـ.انظر:ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ت: 852هـ: **تهذيب التهذيب**.14 مج.ط1. بيروت: دار الفكر. 1404هـ - 1984م.(157/7).

[6] أبو داود: **سنن أبي داود**. كتاب: السُّنَّة. باب: في لزوم السنة. رقم الحديث. (4607). (200/4). والترمذي: **الجامع الصحيح**. كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ. باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة. رقم الحديث. (2676). (44/5).. وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت: 275هـ: **سنن ابن ماجة**. 2مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر. باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. رقم الحديث. (42 43). (15/1 16). والدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. ت: 255هـ: **سنن الدارمي**. 2مج. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي. 1407هـ - 1986م. باب: اتباع السنة. رقم الحديث. (95). (57/1). قال أبو عيسى الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". الترمذي: **الجامع الصحيح**. (44/5). وحكم الألباني على هذا الحديث أنه صحيح. انظر: الألباني: **صحيح سنن أبي داود**. (871/3). والألباني، محمد ناصر الدين. ت: 1420هـ: **صحيح سنن ابن ماجه**.2مج. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي. بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض. 1407هـ - 1986م. (14/1).

ولعل في هذا الجزء من الحديث ما يلقي الضوء على تأثير الموعظة في قلوب السامعين وأنها طريق للتعليم والتغيير. وجاء في النصيحة الولدية: "رأيت الوعظ من أدوية القلوب وآداب النفوس"[1].

الفرع الثاني: القول البليغ:

قال تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[2].

عرَّف الرماني البلاغة بقوله: "البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[3].

والمراد بالقول البليغ هنا التخويف بعقاب الدنيا والوجه الآخر، أن البليغ صفة للوعظ؛ بأن يكون حسن الألفاظ والمعاني فيه ترغيب وترهيب وتحذير وإنذار وإذا كان الكلام على هذا الحال عَظُمَ وقعه في القلب فكان بليغًا مؤثرًا[4].

قال أبو السعود:"أي قل لهم قولًا بليغًا في أنفسهم مؤثرًا في قلوبهم، يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارًا، وهو التوعد بالقتل والاستئصال، والإيذان بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات، وإنما هذه المكافأة والتأخير لإظهارهم الإيمان والطاعة وإضمارهم الكفر، ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب إن الله شديد العقاب"[5].

---

[1] الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلق. ت: 474هـ: **النصيحة الولدية/وصية أبي الوليد الباجي لولديه**. تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد. ط1. الرياض- السعودية: دار الوطن. 1417هـ - 1996م. (ص: 37).

[2] سورة النساء الآية: 63.

[3] الرُّمَّاني، الخَطَّابي، الجرجاني، أبو الحسن علي بن عيسى. ت: 386هـ، وأبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي.ت: 388هـ، وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن.ت: 471هـ: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**. 1مج. تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ودكتور محمد زغلول سلام. ط2. مصر: دار المعارف.1387هـ- 1968م (ص: 75). وقد ذكر العلماء في حَدِّ البلاغة تعريفات متعددة وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولمزيد من الاطلاع والتفصيل. انظر: القيرواني، أبا إسحاق إبراهيم بن علي الحصري. ت:453هـ: **زهر الآداب وثمر الألباب**. 2مج. تحقيق: أ.د. يوسف علي طويل. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1417هـ -1997م. (177/1 - 119).

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (128/10).

[5] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (196/2).

وفي الآية الكريمة - كما فسرها سيد قطب -: "تعبير مصور؛ كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس، ويستقر مباشرة في القلوب وهو يرغبهم في العودة، والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت ومن الصدود عن الرسول ﷺ... ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية وهي: أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا بإذنه - لا ليخالف عن أمرهم ولا ليكونوا مجرد وُعّاظ ومجرد مرشدين"[1].

المطلب الرابع: الإعراض حال الخوض في الآيات مع عدم القعود بعد الذكرى مع الظالمين:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2].

جاءت هذه الآية الكريمة لتلقي الضَوْءَ على أحد ضوابط أدب الإعراض، فجاء الأمر فيها بالإعراض عمن يخوضون في آيات الله بالباطل، وهم في هذه الغَمْرة وهذه اللحظة فقد كُلِّفَ الرسول ﷺ "فأمر أن ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزأوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك"[3]، ويستمر زمن الإعراض ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾، غاية للإعراض؛ فالمطلوب الاستمرار على الإعراض لغاية الخَوْض في حديث غير آيات الله تعالى[4]، "فلا بأس أن تجالسهم حينئذ"[5] أي بعد الكف عن الخَوْض في آيات الله بالباطل.

فقعود الرسول ﷺ، أو أي مسلم في مثل تلك المجالس يكون لمهمة ولرسالة يريد أداءها، ويعمل من أجل إيصالها؛ لإحداث التغيير والتأثير في نفوس من يخوضون، فيكون من أج الدعوة لدين الله تعالى، ولكن حال الخَوْضِ والاستهزاء والطعن في آيات الله يتحتم الانصراف، وعدم المكث بين أظهر الخائضين.

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (695/2).

[2] سورة الأنعام الآية: 68.

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (12/7).

[4] انظر: أبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (147/3).

[5] الزمخشري: **الكشاف**. (34/2).

وفي الآية تنبيه أنه إذا حصل النسيان فالمطلوب حينئذ إذا ذَكَرتَ أي النهي يا محمد ﷺ فلا تقعد مع هؤلاء المشركين الظالمين[1]، "لأنه إعراض فيه توقيف دعوتهم زمانًا أوجبه رَعْيّ مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة، فلا يضر توقيف الدعوة زمانًا، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلهم لأنها تمحضت للمصلحة"[2].

فيمكن أن يُستنتجَ من محصلة ما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة أن هناك اعتبارين اثنين لا بد للمتأدب بأدب الإعراض من ملاحظتهما وهما يشكلان ضابطين للإعراض هما :

أولًا: الإعراض بالانصراف يكون في مدة وزمن الخوض في آيات الله.

ثانيًا: المسلم يقوم بواجبه في الدعوة والتذكير، ولكن إذا أنساه الشيطان واستمر في قعوده مع الخائضين فليقطع قعوده معهم بعد الذكرى.

المطلب الخامس: الانتظار حتى حين:

قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[3].

في خضم الدعوة والمواجهة للمعاندين، واستحكام الصد والمعاداة والرفض لدين الله تعالى من قبل المشركين تتنزل الآيات لتعطي وَمْضَةَ أملٍ وشعلةَ ترجيةٍ للرسول ﷺ ولأصحابه وأتباعه من بعده، بأن هذا العناد والصدود ستكون له لحظة نهاية، ووقت انقضاء، فيأتي الأمر بالإعراض والانتظار حتى حين وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَٱنتَظِرۡ ﴾ تفسيرات شتى فقيل:

- حين وقوع العذاب الموعود[4].
- حين قيام الساعة[5].
- يوم فتح مكة[6].

---

[1] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (14/7)

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (289/7).

[3] سورة السجدة الآية: 30.

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (116/21). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (255/4).

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (166/21). والسمرقندي: **بحر العلوم**. (38/3). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (112/14).

[6] انظر: السمرقندي: **بحر العلوم**. (38/3). والشوكاني: **فتح القدير**. (258/4).

- عند تحقق النصر والغلبة[1].

وأيًا كان الزمن المقصود فإن "كلَّ ما هو آت قريب"[2]، وفي الدعوة للانتظار حتى حين ترجية وتأميل للمؤمنين، ووعيد وتهديد للمعاندين وكما قال سيد قطب: "وفي طياته تهديد خفي بعاقبة الانتظار بعد أن ينفض الرسول ﷺ يده من أمرهم ويَدَعَهُم لمصيرهم المحتوم"[3].

وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[4].

في الآية الكريمة، "تسلية الرسول ﷺ إثر تسلية، وتأكيد لوقوع الميعاد"[5] وفي ذلك شحذ لهمة الرسول ﷺ وهو يقاسي معارضة الجاحدين ومعاندتهم وصلفهم ، وشدّ للأزر، وفتح لباب الرجاء وانتظار الفرج.

قال سيد قطب: "فتول عنهم وأعرض ولا تحفلهم؛ ودعهم لليوم الذي تراهم فيه، ويرون هم ما ينتهي إليه وعد الله فيك وفيهم... ويكرر الأمر بالإعراض عنهم، والإهمال لشأنهم، والتهديد الملفوف في ذلك الأمر المخيف ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾"[6].

فهذا الإعراض منضبط بالانتظار والترقب، إذ لا بد أن يكون له نهاية، وإلا تسلل اليأس إلى النفوس من طول المكابدة وشدة المعارضة والمعاندة.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7].

---

[1] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (361/4). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (331/2). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (88/7). والآلوسي: **روح المعاني**. (141/21).

[2] الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي. ت: 333هـ: **المجالسة وجواهر العلم**. 1مج. ط1. لبنان - بيروت: دار ابن حزم. 1423هـ- 2002م. (ص: 360).

[3] قطب: **في ظلال القرآن**. (2816/5).

[4] سورة الصافات الآيات: 174- 178.

[5] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (211/7).

[6] قطب: **في ظلال القرآن**. (3002/5 -3003).

[7] سورة البقرة الآية: 109.

قال ابن عاشور: "والظاهر أنه غاية مبهمة للعفو والصفح تطمينًا لخواطر المأمورين حتى لا ييأسوا من ذهاب أذى المجرمين لهم بطلًا، وهذا أسلوب مسلوك في حمل الشخص على شيءٍ لا يلائمه؛ كقول الناس حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا[1]، فإذا جاء الأمر بترك العفو انتهت الغاية"[2].

المطلب السادس: التولي مع رفع الملام

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[3].

قال الزمخشري: "فأَعْرِضْ عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، وعرفت عنهم العناد، واللجاج، فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة، ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله"[4].

لقد رفع الله تعالى الملام عن رسوله ﷺ لِما عَلِمَه من أدائه للرسالة حق أداء، وقيامه بالدعوة حق قيام، فلا بأس بالإعراض عن هؤلاء المدعوين الذين بلغوا في العناد واللجاج كل مبلغ، ففي ذلك الحين لا لوم عليه ﷺ، ولكن ذلك لا يعني التوقف التام عن الدعوة والقيام بحق الرسالة، يقول الرازي: "هذه تسلية أخرى؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان من كرم الأخلاق ينسب نفسه إلى تقصير، ويقول: إن عدم إيمانهم لتقصيري في التبليغ، فيجتهد في الإنذار والتبليغ، فقال تعالى: قد أتيت بما عليك، ولا يضرك التولي عنهم، وكفرهم ليس لتقصير منك، فلا تحزن فإنك لست بملوم بسبب التقصير وإنما هم الملومون بالإعراض والعناد"[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾، "احتراس[6] كي لا يتوهم أحد أن الإعراض إبطال للتذكير بل التذكير باقٍ، فإن النبي ﷺ ذكّر الناس بعد أمثال هذه الآيات فآمن بعض من لم يكن

---

[1] مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾. سورة الأنفال الآية: 42.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (671/1).

[3] سورة الذاريات الآية: 54.

[4] الزمخشري: **الكشاف**. (408/4).

[5] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (198/28).

[6] الاحتراس: "هو أن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه؛ أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام". الجرجاني: **التعريفات**. (ص:25). وانظر: الخطيب القزويني، أبا عبد الله محمد بن سعد الدين. ت: 937هـ: **الإيضاح في علوم البلاغة**. 1مج: تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.ط4. بيروت: دار إحياء العلوم. 1419هـ - 1998م. (ص: 192).

آمن من قبل، وليكون الاستمرار على التذكير زيادة في إقامة الحجة على المعرضين ولئلا يزدادوا طغياناً"[1].

وهكذا ينضبط الإعراض في هذا المقام بهذا الضابط الذي يستقيم به الأمر، وتتضح الرؤية والطريق للسالكين درب الأنبياء والدعاة على مدى العصور والدهور.

المطلب السابع: الصفح الجميل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[2].

جاء الأمر بالصفح مقروناً بوصف الجمال؛ فكان وصف﴿ ٱلْجَمِيلَ ﴾ ضابطًا ومحددًا لهذا الصفح المطلوب والمأمور به.

قال ابن عطية: "وأكد الصفح بنعت الجمال إذ المراد منه أن يكون لا عتب فيه ولا تعرض"[3]

وذهب بعض المفسرين إلى أن وصف الصفح الجميل يعني: الحِلْم والإغضاء عن المسيء المذنب[4]، وهو ما ظهر من خُلق رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:"لمّا قَسَمَ النبي ﷺ قِسْمَةَ حُنين[5]، قال رجل من الأنصار: ما أرادَ بِهَا وجهَ اللهِ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُهُ، فتغيَّرَ وجهُهُ، ثمَّ قالَ: رَحْمةُ اللهِ على موسى لقدْ أُوذِيَ بأكثرَ مِنْ هذا فَصَبَر"[6]

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (24/27).

[2] سورة الحجر الآية: 85.

[3] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (372/3)..

[4] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (548/2). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (163/19- 164). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (380/3). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (670/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (88/5).

[5] "وادي حنين: وهو وادٍ من أودية تهامة له مضايق وشعاب". الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد. ت: 207 هـ: كتاب المغازي .2مج. تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ-2004م. (311/2). ووادي حنين: "قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز ... وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا". الحموي: **معجم البلدان**. (313/2).

[6] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: المغازي. باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. رقم الحديث. (4080). (1576/4).

فيظهر من هذا الحديث صبر رسول الله ﷺ وصفحه، وكيف كان جميلًا إذ لم يتعرض للقائل بتوبيخ أو عتاب بل بحلم وإغضاء.

ولكن هل الصفح الجميل مطلوب في كل حال؟ يجيب على ذلك السعدي بقوله: "فلا يُصْفَحُ حيث اقتضى المقام العقوبة؛ كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة"[1] فالصفح الجميل مطلوب ولكن في محله، فلو كان مطلقًا في كل حال لكان في ذلك إغراء لذوي النفوس المريضة، وتشجيع للعصاة والمجرمين وهذا لا يكون مرادًا لله تعالى.

المطلب الثامن: الصبر مع الهجر الجميل:

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[2].

يظهر للباحث من هذه الآية الكريمة ضابطان للهجر، الأول منهما وهو الأساس: الصبر والثاني: هو الهجر بوصفه جميلًا.

فالصبر المأمور به صبر يكون على " الأذى والسب والاستهزاء"[3]، وفي حقيقة الصبر معنى للإعراض؛ إذ "الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[4]، وبالصبر يحوز المرء خير الدنيا، وخير الآخرة، فهو طريق الأنبياء، وعدة الدعاة، وزاد الأولياء. وفي الحديث الشريف، عن أبي سعيد الخُدْري[5] رضي الله عنه: إنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نَفِدَ ما عنده، فقال: "ما يكون عندي من خير فلن أدَّخِرَه عنكم، ومن يستعفف يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يستغنِ يُغنِهِ اللهُ، ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وما أُعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر"[6].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ت: 1376هـ: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 1مج. تحقيق: ابن عثيمين. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421هـ - 2000م. (ص: 434).

[2] سورة المزمل الآية: 10.

[3] ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (469/19).

[4] الجرجاني: **التعريفات**. (ص: 172).

[5] أبو سعيد الخدري هو: "سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري... له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين". ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص: 232).

[6] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الزكاة. باب: الاستعفاف عن المسألة. رقم الحديث. (1400). (534/2).ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الزكاة. باب: فضل التعفف والصبر. رقم الحديث. (1053).(729/2).

يقول سيد قطب: "فإننا نجد التوجيه إلى الصبر، بعد التوجيه إلى القيام والذكر، وهما كثيرًا ما يقترنان في صَدَدِ تزويد القلب بزاد هذه الدعوة في طريقها الشاق الطويل، سواء طريقها في مسارب الضمير أو طريقها في جهاد المناوئين وكلاهما شاق عسير"[1].

وأما **ضابط الهجر بوصفه جميلًا** فمعناه عند الطبري: "هو الهجر في ذات الله"[2]. وقول الطبري يمثل الغاية الخالصة من الهجر.

ومعينًا فهو إعراض ومعه طمأنة؛ لأن المعنى : أمر للرسول بالتوكل على الله فهو حسبه وكافيه شرهم وناصره[3].

وبهذا ينضبط أدب الإعراض بضابط التوكل على الله تعالى لئلا يتطرق الوهن إلى النفوس فتثبت على الجادة تستمد العون والمدد من خالق الأسباب مع الأخذ بالأسباب.

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (3747/6).

[2] الطبري: **جامع البيان**. (133/29).

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (179/5). والزمخشري: **الكشاف**. (571/1). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (156/10). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (225/2). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (268/1). والخازن: **لباب التأويل**. (563/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (207/2). وقطب: **في ظلال القرآن**. (720/2).

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في عرض أدب الإعراض والتوجيه إليه

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة لأدب الإعراض بصريح اللفظ:

إذا أُنْعِمَ النظر في الآيات الكريمة الداعية لأدب الإعراض فإن الناظر سيجد أن هناك آيات عِدَّة تدعو لهذا الأدب باللفظ الصريح وذلك من خلال صورتين هما:

الفرع الأول: الأمر بالتأدب بأدب الإعراض:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[1].

"وهذا يفيد أمرين:

الأول: أن لا يقبل منهم العذر ويصبر على سُخطه، فإن من لا يقبل العذر فقد يوصف بأنه مُعرَض عنه غير مُلتفَت إليه.

الثاني: أن هذا يجري مجرى قوله: اكتف بالإعراض ولا تهتك سترهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم فإن من هتك ستر عدوه، وأظهر علمه بما في قلبه فربما يُجَرِئُهُ ألَّا يبالي بإظهار العداوة فيزداد الشر وإذا تركه على حالِهِ بقي في خوف ووجل فيقل الشر"[2].

ومن الآيات التي ورد فيها الأمر بالإعراض صريحًا أيضًا، قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[4] وغير ذلك من الآيات الكريمة.

---

[1] سورة النساء الآيات: 61 - 63.

[2] ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (460/6).

[3] سورة الأعراف الآية: 199.

[4] سورة النجم الآية: 29.

الفرع الثاني: الإخبار عن الإعراض:

فقد ورد في كتاب ربنا ﷻ آيات كريمة تخبر عن الإعراض إخبارًا في سياق الإشارة إلى الأدب وحسن التعامل مع الآخرين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1] ومعنى الإعراض هنا: " لم يعرفها إياه"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[4]، فهذه الآيات الكريمة تخبر عن أدب الإعراض الواقع من الرسول ﷺ والمؤمنين وهي ترد في معرض الإقرار لهذا الأدب والمدح والثناء لمن يلتزمه ويتأدب به.

المطلب الثاني: الإشارة والتوجيه لأدب الإعراض بأسلوب الكناية والتعريض (الأسلوب الضمني):

وردت في القرآن الكريم نصوصٌ يلمح قارئها ومنعم النظر فيها توجيهًا لأدب الإعراض، وكيف أن القرآن الكريم يربي المسلم على منهج مراعاة الأهم فالمهم والتطلع إلى ما هو أجدى وأفضل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[5]، فهذا التوجيه القرآني يدعو المسلم إلى الإعراض عن الخلال السيئة والإقبال على الحسنة ومن ذلك الصبر عند الغضب من إساءة الغير والعفو عمن أساء والحِلْم عمن جهل[6].

---

[1] سورة التحريم الآية: 3.

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القران**. (187/18). الخازن: **لباب التأويل**. (117/7).

[3] سورة القصص الآية: 55.

[4] سورة المؤمنون الآية: 3.

[5] سورة فصلت الآية: 34.

[6] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (956/2). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (52/5). والزمخشري: **الكشاف**. (205/4).

قال ابن عاشور في شأن هذه الآية الكريمة: "آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك عن الناس ومخالطتك لهم بالغفلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفِعْلات، فمن ذلك: بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ والسماحة في القضاء والاقتضاء"[1]، وهو بلا شك تهذيب لنفس المسلم وترويض لها على احتمال المكروه لقاء ما هو أفضل وأنفع للدين والدنيا، "وليس له أن يرد بالسيئة، فالحسنة لا تستوي أثرها - كما لا تستوي قيمتها مع السيئة والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر، يَردُّ النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة فتتقلب من الخصومة إلى الولاء ومن الجماح إلى اللين... وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزّمام، ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجًا وغضبًا وتبجحًا ومرودًا... غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها. حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفًا... وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها"[2].

ومن النصوص القرآنية الدالة على التوجيه للاهتمام بما هو أهم قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

قال الآلوسي: "فيكون في هذا الجواب إشارة إلى أن الأَوْلى على تقدير وقوع السؤال أن يسألوا عن الحكمة لا عن السبب؛ لأنه لا يتعلق به صلاح معاشهم ومعادهم والنبي إنما بعثه

---

[1] ابن عاشور: **المحرر الوجيز**. (16/5).

[2] قطب: **في ظلال القران**. (3121/5 -3122).

[3] سورة البقرة الآية: 189.

لبيان ذلك"[1]، ويفصل ابن عاشور احتمالات السؤال عن الأهلة مع التوجيه فإن كان السؤال عن الحكمة فالجواب: ﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ جاء على وَفق السؤال. وإن كان السؤال عن السبب فالجواب غير مطابق وذلك لصرف السائل إلى ما هو أهم وأنفع في صلاح دنيا المسلمين وأخراهم، ولذلك صرفهم عن بيان مسئولهم إلى بيان فائدة أخرى[2].

المطلب الثالث: أدب الإعراض من أخلاق الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين:

عند الحديث عن أدب الإعراض في القرآن الكريم يلحظ الباحث أن هذا الأدب أصيل في سلوك الأنبياء والمرسلين والمؤمنين ويظهر هذا سواء أكان في حياتهم العامة أم في حياتهم الخاصة في بعض الأحيان، وحتى لا يقع التكرار في هذه الدراسة فسيكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض النصوص ومعانيها ليدلل على ما يذهب إليه دون تكرار لتفاصيل سابقة أو لاحقة ترد في أثناء هذه الدراسة.

- **الفرع الأول: أدب الإعراض عند الأنبياء عليهم السلام :**

وأكتفي بإيراد نموذجين هما:

المسألة الأولى: أدب الإعراض عند النبي محمد ﷺ:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾[3].

"فأمر الله تعالى نبيه(ﷺ) في هذه الآية إذا سأله منهم أحد (الفقراء) فلم يجد عنده ما يعطيه فقابله رسول الله ﷺ بالإعراض تأدبًا منه في أن لا يرده تصريحًا"[4].

---

[1] الآلوسي: **روح المعاني**. (71/2).

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (194/2 -195).

[3] سورة الإسراء الآية: 28.

[4] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (450/3).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1]. وهي في حياة النبي ﷺ الخاصة؛ أي مع زوجته حفصة رضي الله عنها.

المسألة الثانية: أدب الإعراض عند النبي يعقوب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2].

يقول الرازي: "واعلم أن يعقوب عليه السلام لمّا سمع كلام أبنائه ضاق قلبه جدًا وأعرض عنهم وفارقهم"[3].

إلى غير ذلك من إعراض الأنبياء عن أقوامهم في مقامات معينة وأحوال خاصة سبق الحديث عنها في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة.

- **الفرع الثاني: أدب الإعراض عند المؤمنين:**

ما دام الأنبياء هم منارات الهدى ومشاعل الرشاد فإن أتباعهم يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ، ومن ذلك قوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[4].

لقد أثنى الله تعالى على المؤمنين المفلحين في هذه الآية كما أشار في غير هذا الموضع، كقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[5]، ومرورهم باللغوكرامًا يعني إعراضهم عنه وعدم مشاركتهم[6].

---

[1] سورة التحريم الآية: 3.

[2] سورة يوسف الآية: 84.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (154/18).

[4] سورة المؤمنون الآية: 3.

[5] سورة الفرقان الآية: 72.

[6] انظر: الشنقيطي: **أضواء البيان**. (307/5).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1] فحاصل ما في هذه الآيات الكريمة ثناء ومدح للمؤمنين المعرضين عن اللغو في شتى الأحوال.

المطلب الرابع: التأدب بأدب الإعراض يكون مع المؤمنين و مع الكافرين:

ينبغي أن يكون سلوك المسلم وَفق تصوره الإسلامي، ووفق منظومة الأخلاق والقيم والآداب التي يستقيها من أصول دينه، وهذا السلوك يعكس مدى فهمه والتزامه بآداب دينه بصرف النظر عمن يقابل ومع من يتعامل، فيأتي التأدب بأدب الإعراض ضمن هذا السياق وفي إطار هذا الفهم ؛ فالمسلم متأدب مع المسلم ومع غير المسلم، ولبيان ذلك يشير الباحث بإيجاز واقتضاب لما يأتي:

الفرع الأول: أدب الإعراض مع المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2].

والمعنى على ما قاله الطبري: "﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾، يعني: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، يقال: كظم فلان غيظه إذا تجرعه فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكانها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها... ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾، فإنه يعني: والصافحين عن عقوبة ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون"[3].

---

[1] سورة القصص الآية: 55.

[2] سورة آل عمران الآية: 134.

[3] الطبري: **جامع البيان**. (93/4).

الفرع الثاني: أدب الإعراض مع المشركين:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

ومعنى الإعراض هنا: عدم الاحتفال بأقوال المشركين والالتفات إلى آرائهم وسفههم[2].

وقيل: "اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم"[3].

وعلى كلا المعنيين يكون التوجيه للرسول ﷺ إلى التأدب بأدب الإعراض مع المشركين.

المطلب الخامس: القرآن الكريم يقيم النكير والذم على المعرضين إعراضًا سلبيًا:

لقد تعرض القرآن الكريم للإعراض بنوعيه الإيجابي وهو موضوع البحث، وكذلك للإعراض السلبي، وبناء على ذلك فإن إنكار القرآن الكريم وذمه للإعراض السلبي هو في حد ذاته دعوة إلى خلافه وتوجيه نحو ما يحقق النفع في العاجل والآجل، فيكون العكس والمقابل للإعراض السلبي أدبًا وخلقًا فإن الأشياء تعرف بأضدادها ومغايراتها .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[4] " ﴿ وَتَوَلَّواْ ﴾، عن طاعة الله ﴿ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ ، وهم قوم عادتهم الإعراض عنها"[5]، فالقرآن الكريم يصف سوء أخلاق المعرضين من عدم الوفاء ونقض للعهد، وعليه فإن الأدب يكون على خلاف ذلك. وهو كما قال ابن عاشور: "والإعراض: إعراضهم عن عهدهم وعن شكر نعمة ربهم"[6]، وهذا من رذائل الأخلاق

---

[1] سورة الأنعام الآية: 106.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (113/13). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (440/2). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (171/3).

[3] ابن كثير: تفسير **القرآن العظيم**. (164/2).

[4] سورة التوبة الآية: 76.

[5] البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (160/3).

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (272/10).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾[1].

يشير الزمخشري إلى سوء السلوك في مقابلة النعمة، فيقول: "هذا أيضًا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة، وكأنه لم يلق بؤسًا قط، فنسى المُنْعِمَ وأعرض عن شكره، ﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؛ أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم. وإن مسه الضر والفقر: أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع"[2].

فهذا درس عظيم وتوجيه بليغ لأولي الألباب، فإن الَفطِنَ تكفيه الإشارة، والأدب أن لا يعرض المرء عن شكر المنعم، فإن هذا محض سوء أدب، ومؤشر على رقة في دينه وضمور في فهمه وتقديره .

المطلب السادس: تخصيص القرآن الكريم وتشريفه للمتصفين بأدب الإعراض:

فمن منهج القرآن في عرض هذا الأدب والتوجيه إليه أنه يُشَرِّفُ ويكرِّم من يتصف بأدب الإعراض وذلك يبدو ظاهرًا في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[3]، حيث أضاف الله تعالى العباد إلى اسمه الرحمن وذكر من أوائل صفات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون أعرضوا عنهم بقولهم لهم سلامًا. وإضافة العباد إلى اسم الرحمن للتخصيص والتفضيل[4]. وذكر بعض المفسرين: إنها للتشريف والإكرام[5].

---

[1] سورة فصلت الآية: 51.

[2] الزمخشري: **الكشاف**. (210/4).

[3] سورة الفرقان الآية: 63.

[4] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (296/3). والبيضاوي: **أنوار التنزيل**. (227/4). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (196/2). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (563/14). والآلوسي: **روح المعاني**. (43/19).

[5] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القران**. (67/13). والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (81/3). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (468/6).

ولا تعارض بين هذه التفسيرات فكلها منصبة على الثناء والمدح لمن اتصف بما جاء من صفات "فأضافهم إليه رفعةً لهم وإن كان كل الخلق عباده، وأضافهم إلى صفة وصف الرحمة الأبلغ الذي أنكره أولئك تبشيرًا لهم"[1].

المطلب السابع: الرَّبط بين أدب الإعراض والتقوى:

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

فالعفو بين الأزواج المتفارقين دليل التقوى؛ لأن المقام مقام نزاع وشقاق، وهنا يكون دين الإنسان وتقواه تحت الاختبار، فهل سينتصر المسلم لشرع الله ﷻ أم لهوى نفسه الأمارة بالسوء.

يقول ابن عاشور: "ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد؛ لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة فتكون التقوى أقرب إليه لكثرة أسبابها فيه"[3].

المطلب الثامن: اقتران أدب الإعراض بالوعيد والتهديد:

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[4].

قال السمعاني: "وانتظر عذابهم ووعيدنا فيهم فإنهم منتظرون"[5]. وقال الكلبي: "وفي هذا تهديد لهم"[6].

---

[1] البقاعي: **نظم الدرر**. (334/5).

[2] سورة البقرة الآية: 237.

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (464/2).

[4] سورة السجدة الآية: 30.

[5] السمعاني: **تفسير القرآن**. (255/4).

[6] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**. (132/3).

وقال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

يذهب عدد من المفسرين إلى أن المقصود من الآية: تهديد ووعيد[2].

المطلب التاسع: التأديب والتعزير يكونان بأدب الإعراض:

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4].

فقد هجر الرسولُ ﷺ وأصحابُهُ الثلاثةَ الذين خُلِّفوا وكان ذلك تعزيرًا لهم وتأديبًا، قال ابن تيمية في أنواع الهجر: "الهجر على وجه التأديب؛ وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ولم يهجر من أظهر الخير"[5].

و"التعزير: هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود"[6] ومن العقوبات التعزيرية في الشريعة الهجر، وقد ورد به القرآن تعزيرًا للمرأة في قوله تعالى: ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[7][8].

---

[1] سورة الحجر الآية: 3.

[2] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (350/3). وابن الجوزي: **زاد المسير**. (382/4). والقرطبي: **الجامع لأحكام القران**. (2/10). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (65/5).

[3] سورة التوبة الآية: 106.

[4] سورة التوبة الآية: 118.

[5] ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم الحرَّاني الدمشقي. ت: 728هـ: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه**. 17مج. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. ط2. مكتبة ابن تيمية.(204/28).

[6] عودة، عبد القادر. ت: 1373هـ: **التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي**. 2مج. بدون ط. بيروت: دار الكاتب العربي.(685/1).

[7] سورة النساء الآية: 34.

[8] عودة: **التشريع الجنائي**. (702/1).

المطلب العاشر: الإعراض الأُخروي:

كما يكون أدب الإعراض في الدنيا وهو مدار هذا البحث، فإن هناك من الآيات الكريمة ما تشير إلى الإعراض في الآخرة وهذا يكون من الله تعالى عقوبةً للعصاة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

فإعراض الله تعالى عن تكليم هؤلاء المذكورين معناه: "ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون فأما بما يسوؤهم ويكرهون فإنه سيكلمهم"[2]، وذكر الزمخشري أن المراد من نفي الكلام تعبير عن الغضب عليهم[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[4]

والمعنى أن الله تعالى سيعاقبهم بالسخط والتجاهل لهم وعدم الرضى عنهم[5]. فالله تعالى معرض عمن أغضبه وعصاه، وهذا فعل رباني يمثل عقوبة للعصاة والمذنبين جاء بهذه الصورة ومن أعرض الله تعالى عنه فقد خسر خسرانًا عظيمًا.

---

[1] سورة البقرة الآية: 174.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (90/2).

[3] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (242/1).

[4] سورة آل عمران الآية: 77.

[5] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (403/1). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (460/1).

الفصل الخامس

نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم وجزاء المتأدبين بهذا الأدب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم

المبحث الثاني: جزاء المتأدبين بأدب الإعراض

تمهيد

في هذا الفصل يتطرق الباحث للحديث عن نماذج قرآنية يظهر من خلالها أدب الإعراض ثم جزاء المتأدبين بهذا الأدب؛ فأما النماذج فيستعرض الباحث أربعة منها ذكرها القرآن الكريم وهي: أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام، ومن خلال قصة أصحاب الكهف، ومن خلال حادثة الإفك وفي ثنايا قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك.

ثم يختم الباحث هذه الدراسة بالتعرض لما أعده الله تعالى للمتأدبين بأدب الإعراض من جزاء دنيوي وأخروي ينبئ عن ذلك كله ما سيرد في المبحثين الآتيين من هذا الفصل بحول الله تعالى وتوفيقه.

المبحث الأول

نماذج من أدب الإعراض في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أدب الإعراض من خلال مقطع من قصة إبراهيم عليه السلام:

تعددت المقاطع القرآنية التي تتناول قصة إبراهيم عليه السلام من خلال عدد من سور القرآن الكريم. ولكنَّ هَمَّ الباحث يقتصر على إبراز أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام، ويختار لذلك ما ورد في سورة مريم من حوار دار بينه وبين أبيه آزر إلى أن انتهى بالاعتزال.

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[1].

قال سيد قطب: "وتبدو في هذه الحلقة شخصية إبراهيم الرضيّ الحليم، تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته التي يحكي القرآن الكريم ترجمتها بالعربية، وفي تصرفاته ومواجهته

[1] سورة مريم الآيات: 41 - 50.

للجهالة من أبيه. كما تتجلى رحمة الله به وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذريةً صالحَةً تنسل أمةً كبيرةً فيها الأنبياء وفيها الصالحون"[1].

ويمكن تسليط الضوء على أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر في هذا المقطع من سورة مريم من خلال المحاور الآتية:

1- الإعراض عن التعبير صيغة الأمر، أو الظهور بمظهر المُعلِّم والآمر لأبيه: وهو فقهٌ يلزم الدعاة والمربين أن يتقنوه؛ فالداعية والمربي عليه أن يُلمَّ بالأساليب المُقَرِّبة للآخرين فيكون لَبِقًا في أسلوبه يوصل رسالته للآخرين دون صدام أو إغراء بمواجهة؛ لأن المسلم داعية وناصح يسعى لانتشال من خرج عن الجادة إلى سواء السبيل، فهو عطوف شفوق على من يدعوه، قال الطبري: "اذكره حين قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع، يقول: ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ولا يبصر شيئا ولا يغني عنك شيئا. يقول: ولا يدفع عنك ضر شيء إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع"[2]، وهكذا استخدم إبراهيم عليه السلام أسلوب الإقناع على صورة سؤال يعصف بذهن كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وعليه "إن الهادي إلى الحق لا بد وأن يكون رفيقًا لطيفًا يورد الكلام لا على سبيل العنف لأن إيراده على سبيل العنف يصير كالسبب في إعراض المستمع فيكون ذلك في الحقيقة سعيًا في الإغواء"[3].

وقد وصف أبو السعود ما قام به إبراهيم عليه السلام قائلًا: "ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج، بحسن أدب وخلق جميل؛ لئلا يركبَ متن المكابرة والعناد ولا يَنْكُبَ بالكلية عن مَحَجَّةِ الرشاد"[4].

وبعد هذه المقدمة اللطيفة من إبراهيم عليه السلام وهذا التمهيد المقتضب يخبر إبراهيم عليه السلام أباه بما جاءه من العلم؛ علم النبوة والدين، فيدعوه للهداية، ويطلب منه اتباع الصراط السوي، ويلحظ من هذا كيف يتجلى أدب الإعراض عند إبراهيم عليه السلام الذي "لم يَسِمْ أباه بالجهل

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (2311/4).

[2] الطبري: **جامع البيان**. (89/16).

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (194/21).

[4] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (267/5).

المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له"[1]، وهكذا أعرض إبراهيم عمّا يمكن أن يكون سببًا في العناد والتعنت والتمادي في الباطل .

2 - إبراهيم ﷺ يدعو أباه إلى الإعراض عن عبادة الشيطان:

وهي دعوة و"مخاطبة بر واستعطاف على حالة كفره"[2]، وهي عبارة تنبئ عن درجة عالية من الفهم والحرص على المدعو المخاطب والقلق لما يؤول إليه حال متبع الشيطان فإن الداعية الناجح من يظهر بمظهر الحريص على الآخرين والمهتم بشأنهم فلسان حال ابراهيم ﷺ أن"من أطاع من هو عاصٍ لله سبحانه فهو عاصٍ لله والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النعم وتحل به النقم"[3]، وهذا ما لا يريده إبراهيم لأبيه.

3 - إبراهيم ﷺ متأدب بأدب الإعراض بشهادة أبيه:

قال تعالى: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[4] "أي أمعرض ومنصرف أنت عنها؟ بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب، كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلًا عن ترغيب الغير عنها"[5]. إنه الاختلاف في التصور والاختلاف في الفكر، فما كان في نظر آزر مكروهًا ومستنكرًا فهو في نظر إبراهيم ﷺ طاعة وعبادة وأدب وفضيلة.

يقول سيد قطب: "ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك الجاسي[6]، فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد... أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم وكاره لعبادتها ومعرض عنها؟ أو بلغ بك الأمر إلى هذا الحد من الجراءة؟... فاغرب عن وجهي وابعد عني طويلًا... بهذه الجهالة تلقّى الرجل الدعوة إلى الهدى وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب وذلك شأن الإيمان مع الكفر"[7].

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (267/5).

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (18/4).

[3] الشوكاني: **فتح القدير**. (336/3).

[4] سورة مريم، الآية: 46.

[5] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. (268/5).

[6] الجَاسِي: من "جَسَأ الشيء يَجْسَأُ جُسُوْءًا وهو جَاسِيء إذا كانت فيه صلابة وخشونة". الفراهيدي: **العين**. (161/6).

[7] قطب: **في ظلال القرآن**. (2312/4).

4 - إبراهيم ﷺ يقابل قسوة الرد بأدب الإعراض وبالابتعاد عن الانفعال:

ويبدو ذلك من خلال قوله تعالى: "﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾ يا أبت، يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت ولدعائك إلى ما توعدتني عليه بالعقوبة"[1] . وفي السلام هنا وجهان: الأول: سلام هجران ومفارقة وتوديع. والثاني: سلام تلطف وبر"[2].

وإبراهيم ﷺ في كل الأحوال يتسم بالصبر والحِلْم والملاطفة مع أب قسا عليه وأغلظ له في القول والوعيد، كيف لا وهو نبي مرسل بل هو من أولي العزم من الرسل الذين يُقتدى بهداهم. وفي معنى تسليم إبراهيم على أبيه ما يدل على جواز مفارقة ومتاركة المدعو إذا كان بهذه المنزلة[3].

5 - إبراهيم ﷺ يصرح بالخطوة القادمة أَلَا وهي الإعراض والاعتزال لقومه ومعبوداتهم مع الثبات على الصلة بربه ﷻ.

فعندما تغلق الأبواب وتوصد السبل في وجه الدعوة وتبقى تراوح مكانها فعندئذ لا ضير من البحث عن أرض أخرى تصلح لنبات بذور الدعوة، وهذا ما قام به إبراهيم ﷺ عندما اعتزل قومه وفارقهم في المكان والطريقة[4].

المطلب الثاني: أدب الإعراض من خلال قصة أصحاب الكهف:

" تجيء قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجًا للإيمان في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة ويقيها الفتنة ويشملها بالرحمة"[5].

قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا... وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[6].

---

[1] الطبري: **جامع البيان**. (92/16).

[2] انظر: السمعاني: **تفسير القرآن**. (296/3). والماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. ت: 450هـ: **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**.6مج. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بدون ط. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. (374/3- 375).

[3] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (23/3). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (195/21).

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (196/21).

[5] قطب: **في ظلال القرآن**. (2260/4 -2261).

[6] سورة الكهف الآيات: 9 -26.

من خلال هذا المقطع القرآني الذي يقص ما حدث مع أصحاب الكهف يمكن أن تستخلص عدة أمور يبرز من خلالها أدب الإعراض، وهي كما يأتي:

1 - الإعراض عن مكان الشرك ومتعلقاته إلى الكهف:

فتحدثنا الآيات التي في صدر قصة أصحاب الكهف أنهم أووا إلى الكهف، وهذا يشعر بكل جلاء أنهم اعتزلوا بلدهم وأعرضوا عنه، وتوجهوا للمقام في الكهف حيث لا شرك ولا فتنة في الدين، داعين الله تعالى أن يرزقهم رحمة من عنده، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدا، وهكذا جعل الفتية الكهف لهم مأوى ومكاناً يعتصمون فيه من فتنة الكافرين[1]، وهذا إعراض عن المكان وما فيه؛ أي بلد الشرك والمشركين. و"إذا أردت أن تبتعد عن أهل الشرك، فينبغي أن تبتعد عن ملهياتهم وعن شهواتهم ، وأهدافهم، وطرائقهم، وتقاليدهم، وعن عاداتهم، وعن كل ما يمت لهم بصلة؛ لأن هذا الشيء الذي يمت لهم بصلة قد يجرّك إليهم"[2]

2 - أصحاب الكهف يعرضون عن الشرك والكفر ويتلقون من الله التأييد والمعية.

تخبر الآيات الكريمة أن هؤلاء الفتية آمنوا بربهم، وهذا يعني بوضوح إعراضهم عن الشرك والوثنية التي كانت تنتشر في أوساط قومهم واستمساكهم بعروة الإيمان الوثقى، فقد زادهم ﷻ "إلى إيمانهم بربهم إيماناً وبصيرةً بدينهم حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله تعالى... ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ يقول عز ذكره: وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عَزَفَت أنفسهم عما كانوا عليه من خَفْضِ العيش"[3].

قال أبو السعود في قوله تعالى﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾: "أي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف"[4]. "فإذا هي ثابتة راسخة مطمئنة إلى الحق الذي عرفت، معتزة بالإيمان الذي اختارت"[5].

---

[1] انظر: أبا حيان: **البحر المحيط.** (99/6). والشنقيطي: **أضواء البيان.** (214/3).

[2] النابلسي، محمد راتب: **موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية.** http://www.nabulsi.com/green/ar/print.php?art=2296

[3] الطبري: **جامع البيان.** (207/15).

[4] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم.** (210/5).

[5] قطب: **في ظلال القرآن.** (2262/4).

المطلب الثالث: أدب الإعراض من خلال حادثة الإفك:

"هذا الحادث؛ حادث الإفك قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل. وعلق قلب رسول الله ﷺ، وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل شهرًا كاملًا؛ علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق"[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ...أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

لقد جاءت السنة الصحيحة شقيقة القرآن الكريم، بإيراد دقائق هذه الحادثة وتفاصيلها التي عصفت بالكيان الإسلامي مجتمعًا عقب غزوة المريسيع[3]، ويختار الباحث رواية البخاري لبيان هذه الحادثة[4] بشكل أساسي وبعض الشواهد من رواية مسلم المشار إليها في الحاشية.

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (2495/4).

[2] سورة النور الآيات: 11 -22.

[3] غزوة المُرَيْسِيْع: وهي غزوة وقعت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة مع بني المصطلق الذين كانوا ينزلون على بئر لهم يقال له: المُرَيْسِيْع*، وقد خرجت في هذه الغزوة مع الرسول ﷺ من زوجاته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما. وانتهت الغزوة بنصر المسلمين. انظر: ابن الجوزي: **المنتظم**. (214/3- 219).

* المُرَيْسِيْع: اسم لبئر ماء في منطقة القديد* باتجاه الساحل (للبحر الأحمر)، أقام عنده بنو المصطلق من قبيلة خزاعة. انظر: الحموي: **معجم البلدان**.(118/5).

* قديد: اسم موضع قرب مكة. **المرجع السابق** .(313/4).

[4] "عن عائشة زوجِ رضي الله عنها النبي ﷺ حين قال لها أَهْلُ الْإِفْكِ ما قالوا... وكان صفْوان بن الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ، فَعرفَنِي حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب فَاستَيقَظتُ باسترْجاعه حين عرفَني فَخمَّرت وجْهِي بِجلبابِي، ووالله ما تَكَلَّمنَا بِكَلمة ولا سمعت منه كَلمةً غير استرجاعه... وكان الذي تَولَّى كبْر الْإِفْك عبد اللَّه بن أُبيٍّ بن سَلُولَ... لم يُسمَّ من أَهْلِ الْإِفْك أيضًا إلا حَسَّانُ بن ثَابِت ومِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ وحمْنَةُ بِنْتُ جَحْش... قالت عَائشةُ: فَقَدمنَا الْمدينَة فَاشتَكَيت حين قَدمت... وهو يرِيبُنِي في وجعي أَنِّي لَا أَعرف من رسول اللَّه ﷺ اللُّطْف الذي كنت أَرى منه حين أَشتَكي إنما يدخل علَيَّ رسول اللَّه ﷺ فَيسلِّم، ثمَّ يقول: كَيف تِيكُمْ؟ ثُم ينصرف فَذَلك يَرِيبُني... فَانْطلقْت أنا وأُمُّ مِسْطَحٍ... فَعثَرت أُمُّ مِسْطَحٍ في مرطها، فقالت: تَعس مسطَح= فقلت لها: بِئْسَ ما قُلْت، أَتَسُبِّينَ رجلًا شهِد بدرًا؟! ... فلما رجعْتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ فَسلَّم ثُمَّ قال: كَيْف تِيكُمْ؟ فقلت له: أَتَأذن لي أن آتيَ أَبويَّ ؟ قالت: وأريد أن استيقن الْخبر من قبلهما. قالت: فَأَذن لي رسول اللَّه ﷺ فقلت لِأُمِّي: يا أُمَّتَاهُ ماذا يَتَحَدَّث الناس؟ قالت: يا بنَيَّةُ هوِّني علَيك فَواللَّه لَقَلَّما كانت امرأَةٌ قَطُّ وضيئَةً عند رجلٍ يحبُّها لها ضرائر إلا أكثرن عليها... قالت: ودعا رسول اللَّهِ ﷺ عليَّ بن أبي طَالبٍ وأُسامةَ بن زيدٍ حين استَلْبث الْوحي يسأَلُهما ويستَشيرهما في فراق أَهْله، قالت: فَأَمَّا أُسامةُ فَأَشار على رسول اللَّه ﷺ بِالَّذِي يعلَم من براءة أَهْله وبالَّذي يعلم لهم في نَفْسه، فقال أُسامَةُ: أَهْلَك ولا نَعلم إلا خَيْرًا، وأَمَّا عليٌّ فقال: يا رسول اللَّه لم يُضَيِّق الله علَيك والنِّساء سواها كَثير وسلْ الْجاريَة تَصْدُقْكَ، قالت: فَدعا رسول اللَّه ﷺ بَرِيرَةَ، فقال: أَيْ بَرِيرَةُ هل رأَيت من شيء يَرِيبُكِ؟ قالت له بريرَةُ: والّذي=

وبإنعام النظر في الآيات الكريمة النازلة بشأن حادثة الإفك، والسنة الصحيحة المُفَصِّلَةِ لمجريات أحداث تلك الحادثة يمكن للباحث أن يستخلص الأمور الآتية فيما يتعلق ببيان أدب الإعراض هي:

1 - صفوان بن المعطل ﷺ يتحلى بأدب الإعراض:

فقد ذكرت السيدة عائشة ﷺ أن صفوان لما رأى سواد إنسان نائم وعرفها لم تسمع منه سوى الاسترجاع. أي قوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فقد استيقظت على ذلك، وجاء في رواية مسلم المشار إليها في الحاشية (و والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه) وهذا يظهر بجلاء كم كان هذا الصحابي الجليل صاحب ذوق رفيع وأدب عظيم وتقوى لله ﷻ! منعته وعصمته عن الكلام والحديث مع زوج رسول الله ﷺ فكان في غاية التَصوّن والتأدب بأدب الإعراض عما قد يكون مدخلًا لوسوسة الشيطان والوقوع في مصائده وحبائله.

=بعتُك بِالْحقِّ ما رأيت عليها أَمْرًا قَطُّ أَغْمصه أكثر من أنها جاريةٌ حديثَةُ السِّنِّ تَنَام عن عجينِ أَهلها فَتَأتي الدَّاجنُ فَتَأكلُهُ، قالت: فَقَام رسول اللَّهِ ﷺ من يومه فَاسْتَعْذَرَ من عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ وهو على الْمنْبر، فقال: يا معْشَر الْمسلِمِين من يَعْذِرُني من رجلٍ قد بلَغَني عنه أَذَاه في أَهلي، والله ما علمت على أَهْلي إلا خيرًا ولَقَدْ ذَكَروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما يدخل على أَهلي إلا معي ... فَبيْنَا نحن على ذلك دخل رسول اللَّهِ ﷺ علَينا، فَسَلَّمَ ثمَّ جلس، قالت: ولم يجلس عنْدي منْذ قيل ما قيل قَبْلَها وقد لَبِثَ شهرًا لَا يوحَى إليه في شأْني بِشيءٍ، قالت: فَتَشَهَّدَ رسول اللَّه ﷺ حين جلَس... والله لقد علمْت لقد سمعتُم هذا الحديث حتى اسْتَقَرَّ في أَنْفسكم وصدَّقْتُمْ به، فَلَئن قلت لكُم: إني بريئَةٌ لَا تصدقونني ولَئن اعتَرفْت لَكم بِأَمرٍ واللَّهُ يعلم أَنِّي منه بريئَةٌ لَتُصَدِقُنِّي، فو الله لَا أَجد لي ولَكم مثَلًا إلا أَبا يوسُف حين قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (سورة يوسف، الآية: 18) ... فَكَانَتْ أَوّل كَلمةٍ تَكَلَّم بها أَنْ قال: يا عائشةُ أَمَّا الله فَقَدْ بَرَّأَك، قالت: فقالت لي أمي: قُومي إليه، فقلت: والله لَا أَقُوم إليه فَإِنِّي لَا أَحمد إلا اللَّهَ عز وجل ... قال أبو بكْر الصِّدِّيق وكان يُنفقُ على مسْطَحِ بن أُثَاثَةَ لقَرابته منه وَفَقْره: والله لَا أُنْفق على مِسْطَحٍ شيئًا أَبدًا بعدَ الذي قال لعائشةَ ما قال فَأَنْزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، قال أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى والله إني لَأُحبُّ أَن يغْفر الله لي، فَرجع إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَة التي كان يُنفقُ عليه، وقال: والله لَا أَنْزِعُها منه أَبدًا... قال: ابن شهابٍ فَهذَا الذي بلَغَني من حديث هؤلَاءِ الرَّهْط ...". البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: المغازي. باب: حديث الْإِفْك والإفك وَالْأَفَكِ بِمَنْزِلَة النِّجْس وَالنَّجَس. رقم الحديث. (3910). (1517/4- 1521).. وانظر **المرجع السابق**. كتاب: الشهادات. باب: تعديل النساء بعضِهِن بعض. رقم الحديث. (942/2 - 945). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: التوبة. باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف. رقم الحديث. (2770). (2129/4 -2136).

2 - في هذه الحادثة توجيه للتأدب بأدب الإعراض عن الخوض في الشائعات المغرضة:

جاء التوجيه لهذا الأدب على صورة العتاب؛ "عتاب لجميع المؤمنين؛ أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه"[1].

فقد كان الواجب في مثل هذا الموقف على المؤمنين إحسان الظن وظن الخير وعدم المسارعة لاتهام من عرف بالطهارة[2].

بل إن ابن عاشور عَدَّ ما خوطب به المؤمنون أَنَّه "توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قولٍ ينادي حاله ببهتانه، وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره"[3].

يقول سيد قطب: "نعم كان هذا هو الأولى؛ أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة، وامرأة نبيهم الطاهرة، وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم فظن الخير بهما أولى، فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله ﷺ ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيرًا"[4].

إنه درس بليغ وعبرة لكل ذي عقل بأن لا يكون الإنسان المسلم عجولًا مندفعًا لترديد كل ما يشاع خصوصًا من أخبار السوء وأنباء الشر بل يعرض بنفسه عن تلقفها ونشرها دون إعمال للعقل والمنطق السليم إذ لا بد من التثبت والتأكد حينئذ. وفي هذا يقول سيد قطب: "هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور؛ خطوة الدليل الباطني الوجداني. فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي... هاتان الخطوتان... غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك"[5].

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (171/4). وانظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (205/12)، فقد أضاف كلمة الصلاة قبل كلمة السلام.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (154/23). وأبا حيان: **البحر المحيط**. (402/6).

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (175/18).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (2501/4).

[5] **المرجع السابق**. (2502/4).

3 - إعراض الرسول ﷺ عن زوجه عائشة رضي الله عنها :

لم يكن إعراضه ﷺ إعراضًا بالكلية وإنما ظهر ذلك من خلال جملة من الملاحظات هي:

- عندما كان يدخل رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها وهي مريضة لا يزيد على قوله: (كيف تِيْكُمْ؟)[1]، فقالت: فذاك يريبني)، وهذا السؤال والاطمئنان بهذه العبارة المقتضبة التي تلقي بظلال الجفوة تثير في النفس مشاعر الشك والريب ولا تشعر سامعها بالطمأنينة والحنو المعهود من رسول الله ﷺ ، واللطف الذي كانت تشعر به عائشة من رسول الله ﷺ حين تشتكي كما أفادت رواية مسلم المتعلقة بحادثة الإفك المشار إليها سابقًا.
- لم يجالس الرسول ﷺ عائشة رضي الله عنها منذ أشيع حديث الإفك حتى إنه جلس يسألها بعد مرور شهر كامل قضاه الرسول ﷺ مُعرِضًا وممتنعًا عن سؤالها حول ما يشاع ويُتناقل في المدينة.

4 - أعرض الرسول ﷺ عن سؤال صفوان بن المعطل فيما يشاع فلم يُنْقل خبرٌ واحدٌ في حدود إطلاع الباحث يثبت ذلك، وكل ما قاله رسول الله ﷺ في حقه: "ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي".

ويلاحظ إعراض الرسول ﷺ حتى عن ذِكْرِ اسم الرجل المُتَهَم ولجوئه إلى الإبهام، ولعل في ذلك دلالة على حرص الرسول ﷺ وحذره وعدم تيقنه وتصديقه لِمَا يُشاع، فلا يريد حتى أن يذكر اسم صحابي جليل في هذا السياق، وهذا درس نتعلمه وفقه نفهمه بأن نُعْرِضَ فلا نتعجل في ذكر الأسماء والأشخاص ما دام الأمر في دائرة الرَّيْبِ والشَّكِّ وعدم الوثوق، فإن في ذلك إساءة للشخص، وتلويثًا لسمعته وقد يكون بريئًا.

5 - يظهر من القصة إعراض أبي بكر رضي الله عنه وزوجه عن مساءلة ابنتهم فيما يشاع عنها ويجري على بعض الألسنة ، حتى إن زوج أبي بكر رضي الله عنها تجيب ابنتها عندما سألتها عمّا سمعته:

---

[1] (تِيْكُمْ): "هي إشارة بالتنبيه للمؤنث، مثل ذا للمذكر". القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي المالكي. ت: 544هـ: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**. 2مج. بدون ط. المكتبة العتيقة ودار التراث. (125/1).

(هَوِّني على نفسك الشأن فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها)، وكأن لسان حالها الإعراض عن الدخول في هذا النقاش والجدل وإغلاق بابه إلى درجة أنها تقول لابنتها: إنه قد يكون مجرد حديث ضرائر لا قيمة له وفي هذه العبارة تسكين وتسكيت لعائشة ﵂ وإعراض عن الدخول في الجدل بهذا الشأن.

والباحث يلمح في هذا المقام والدين كريمين وصحابيين جليلين يعتصر قلبيهما الألم، ويتجرعان مرارة الموقف، ولكن بصبر وثبات وإعراض إلى أن يأذن الله تعالى بفرج من عنده.

6 - إعراض عائشة ﵂ وقد ظهر ذلك من خلال المواقف الآتية:

- رفضها لِمَا قالته أم مسطح: (تَعِسَ مسطح)، فلم ترتضِ دعوة السوء على رجل شهد بدرًا، فهي تعرض عن التلفظ بالإساءة وترفض استماعها من أمه.
- أعرضت عائشة ﵂ عن سؤال رسول الله ﷺ حول ما يشاع عندما علمت بالخبر، واستأذنته للذهاب إلى بيت أبيها؛ لتستيقن من الخبر من قِبَلِهِمَا.
- أعرضت عائشة ﵂ عن الاجتهاد في إثبات صدقها وبراءتها فلم تحشد الأدلة، ولم تُقْسِمُ الأَيْمَان المغلظة، واكتفت بقولها كما يقال على لسان يعقوب: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1].
- أعرضت عائشة ﵂ عن القيام لرسول الله ﷺ حينما دعتها أمها لذلك بعد نزول براءتها، واكتفت بحمد الله تعالى الذي برّأها، ولعل هذا يعكس ثقل المِحْنة ومرارة الموقف، وكم تأزمت نفس عائشة ﵂! "وهي فتاة صغيرة... في تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة[2] الشفيفة[3،4]. إن إعراض عائشة ﵂ عن القيام والكلام

---

[1] سورة يوسف الآية: 18.

[2] "الرَّفْرَفَة: تحريك الطائر جناحيه وهو في الهواء فلا يبرح مكانه". ابن منظور: **لسان العرب**.(125/9).

[3] الشَّفِيْفَة: "الشَّفَفُ:الرِّقَّةُ والخِفةُ". ابن منظور: **لسان العرب**. (182/9). "وثوب شَفِيْف أي رَقِيْق" الفيومي: المصباح المنير. (317/1).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (2498/4).

مع رسول الله ﷺ قد يبدو فيه شيء من عدم اللباقة تجاهه، غير أن الظرف والحالة هما اللذان أمليا عليها مثل ذلك الموقف[1].

7 - إعراض نفر من الصحابة عن التشكيك في براءة عائشة ﵂؛ ومنهم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، وزينب بنت جحش، والجارية بريرة ﵃ جميعًا؛ فما منهم من أحد غمزها بعيب، أو لمزها بفاحشة على الرغم من تفاوتهم في عبارات الرد على سؤال رسول الله ﷺ لهم.

8 - إعراض الله تعالى عن المعاقبة للمؤمنين:

لقد كان فضل الله تعالى على المسلمين عظيمًا، وإلا كما قال ابن عطية: "لفضحكم بذنوبكم ولعذبكم فيما أفضتم فيه من قول الباطل والبهتان"[2]، وهذا "تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة"[3].

فإعراض الله تعالى عن إيقاع العقوبة؛ رأفة ورحمة وفضل منه تعالى وهو يصنع هذا المجتمع ويشكل هذا النموذج على عينه، فكأن مشيئة الله تعالى أن تحدث المحنة لتصقل نفوسًا بل ومجتمعًا ومن بعده أمة بأكملها صقلًا قويًا لتعرف كيف ينبغي عليها أن تواجه وتعالج محنًا وشدائِدَ من هذا القبيل لتخرج منها بسلام.

9 - القرآن الكريم يوجه إلى الإعراض عن اتباع الشيطان:

قال الطبري: "لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذاعَتِكُموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به؛ فإن الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول"[4].

10 -الإعراض عن إقامة حد القذف في حق من خاضوا في حديث الإفك:

وقع خلاف بين أهل العلم حول إقامة حد القذف وعدم إقامته والذي "عليه الأكثر أن النبي ﷺ لم يحد حد القذف أحدًا من العُصبة الذين تكلموا في الإفك... إما لعفو عائشة وصفوان

---

[1] انظر: البوطي، الدكتور محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**. 1مج. ط11. بيروت- لبنان، دمشق- سوريا: دار الفكر المعاصر، دار الفكر.1417هـ- 1996م. (ص: 212).

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (172/4).

[3] البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (179/4).

[4] الطبري: **جامع البيان**. (101/18).

وإما لأن كلامهم في الإفك كان تخافتًا وسِرارًا ولم يجهروا به ولكنهم أشاعوه في أوساطهم ومجالسهم وهذا الذي يُشْعِرُ به حديث عائشة في الإفك في (صحيح البخاري)[1،2].

11 -إعراض أبي بكر ﷺ عن إساءة مسطح ﷺ، واستئناف الإنفاق عليه وسيتم بحث هذا قريبًا في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

وأختم هذا النموذج بقول سيد قطب: "لقد كانت (حادثة الإفك) معركة خاضها رسول الله ﷺ، وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك وخاضها الإسلام، معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ، وخرج منها منتصرًا كاظمًا لآلامه الكبار محتفظًا بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره، فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره، وضعف احتماله والآلام تتناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته"[3].

المطلب الرابع: أدب الإعراض من خلال قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك:

يمكن تَلَمُّسُ ذلك الأدب من خلال ما ورد في سورة التوبة بشأن الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4]. وقول الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ... لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[5].

---

[1] انظر: البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الشهادات. باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا. رقم الحديث. (2518). (2/942-945). **والمرجع السابق**: كتاب: المغازي. باب: حديث الإفك والإفك بمنزلة النجس... رقم الحديث. (3910). (4/1417 - 1521).

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (18/177).

[3] قطب: **في ظلال القرآن**. (4/2501).

[4] سورة التوبة الآية: 106

[5] سورة التوبة الآيات: 117 -121.

ولتفصيل هذا الأمر وبيانه يورد الباحث ما جاء في سورة التوبة بهذا الخصوص وحديث الثلاثة الذين خُلِّفُوا في الصحيحين[1] مقتصرًا على مواضع الشواهد؛ لأن السنة شارحة ومفصلة لِمَا أُجْمِلَ في القرآن الكريم.

ولاستجلاء أدب الإعراض من خلال هذه القصة يمكن الوقوف عند المحطات الآتية:

1 - إعراض الرسول ﷺعن الثلاثة الذين خُلِّفُوا بإرجاء أمرهم إلى الله تعالى:

---

[1] "قال كَعب: لم أَتَخَلَّف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوَةٍ غزاها إلا في غزوة تَبُوكَ ... فلما قيل: إنَّ رسول اللَّه ﷺ قد أَظلَّ قَادمًا... فَأَجمعتُ صدقَه ... فَجِئْتُه، فلما سلَّمت عليه، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ... فقال رسول اللَّه ﷺ: أَمَّا هذا فَقَد صدق، فَقم حتى يقضيَ الله فيك فَقمت وثَار رجال من بني سلِمة ... ثمَّ قلت لهم: هل لَقِي هذا معي أَحدٌ؟ قالوا: نعم رجلَانِ ... مُرَارَةُ بن الرَّبِيع الْعَمْرِيُّ وهِلَالُ بن أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ... ونَهى رسول اللَّه ﷺ الْمسلمين عن كَلَامنَا أَيُّها الثَّلَاثَةُ من بين من تَخلَّف عنه، فَاجتَنَبنَا الناس وتَغَيَّروا لنا حتى تَنَكَّرَتْ في نَفْسي الْأَرضُ؛ فما هي التي أَعرف. فَلبثنا على ذلك خمسين ليلَة، فَأَمَّا صاحباي فَاستَكَانَا وقَعدا في بُيُوتهما يبكيانِ وَأَمَّا أنا فَكنت أَشَبَّ الْقَوم وأَجلَدَهُم فَكنت أَخرج فَأَشهدُ الصلَاةَ مع المسلمين وأَطوف في الْأَسواق ولا يكَلِّمني أَحد وآتي رسول اللَّه ﷺ فَأُسلِّمُ عليه وهو في مجلِسه بعد الصَّلَاة فَأَقُول في نَفسي: هل حرَّك شفَتَيه بِرَدِّ السَّلَام عليَّ أَم لَا؟ ثُم أُصلِّي قَريبًا منه فَأُسارقه النظر، فإذا أَقْبلت على صَلَاتِي أَقْبل إلي وإذا الْتَفَتُّ نَحوه أَعْرَضَ عَنِّي، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفْوَةِ الناس مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ جدارَ حائطِ أبي قَتَادَةَ وهو ابن عَمِّي وأَحبُّ الناس إلي فَسلَّمت عليه، فَوَاللَّه ما رَدَّ علَيَّ السَّلام. فقلت: يا أَبا قَتَادةَ أَنْشدُك بِاللَّه هل تَعلَمني أُحِبُّ اللَّه ورسوله؟ فَسكَت، فَعدت له فَنشدتُه، فَسكَت، فَعدت له فنشدتُه، فقال: الله ورسولُه أَعلم. ففَاضت عَيْنَايَ وتَولَّيتُ حتى تَسورت الْجدار. قال: فَبينَا أنا أَمشي بِسوقِ الْمدِينَة إذا نَبَطِيٌّ من أَنْباطِ أَهلِ الشام ... حتى إذا جاءني دفَع إلي كتَابًا من مَلِكِ غَسَّان* ... فقلت لَمَّا قَرأتها: وهذَا أَيضًا من الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بها. حتى إذا مضت أَربعون ليلةً من الخمسين إذا رسول رسول اللَّه ﷺ يأْتيني فقال: إنَّ رسول اللَّه ﷺ يَأْمرك أَنْ تَعتَزلَ امرأَتَكَ. فقلت: أُطلِّقها أَم ماذَا أَفْعل؟ قال: لَا بل اعتَزلْها ولا تَقْربها. وأَرسل إلى صاحبيَّ مثْل ذلك. فقلت لِامرأَتي: الْحقي بِأَهْلِك فَتَكوني عنْدهم حتى يقْضِي الله في هذا الْأَمر. قال كَعبٌ: فَجاءت امرأَة هِلَالِ بن أُميَّة رسول اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّه إنَّ هِلَال بن أُمَيَّةَ شيخ ضائعٌ ليس له خادمٌ فَهل تَكْره أَن أَخدُمَه؟ قال: لَا ولَكن لَا يقرَبْكِ... فَلَبِثْت بعد ذلك عشر لَيالٍ حتى كَملَت لنا خمسون لَيْلَةً من حين نهى رسول اللَّه ﷺ عن كَلَامنَا فلما صلَّيت صَلَاةَ الْفَجر صُبْحَ خَمسين لَيلَة ... قد ضاقَت علَيَّ نَفْسي وضاقَت علَيَّ الْأَرضُ بِما رحُبَت. سمعت صوت صارخٍ ... يا كَعبُ بن مالك أَبشرْ ... وعرفْتُ أَنْ قد جاء فَرجٌ ... وانْطَلَقْت إلى رسول اللَّه ﷺ ... قال كَعبٌ: فلما سلَّمْتُ على رسول اللَّه ﷺ، قال رسول اللَّه ﷺ وهو يَبْرُقُ وجهُهُ من السُّرور: أَبْشرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عَلَيْك منذ ولَدتْك أُمُّك ... فلما جلَست بين يديه، قلت: يا رسول اللَّه إنَّ من تَوبتي أَن أَنخلع من مالي صدقَةً إلى اللَّه وإِلَى رسول اللَّه ... فقلت: يا رسول اللَّه إن اللَّه إنما نَجَّاني بِالصِّدقِ...". البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**.كتاب: المغازي. باب: حديث كعب بن مالك. رقم الحديث.(4156).(4/ -1603 -1608) . ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: التوبة. باب: حديث كعب بن مالك وصاحبيه. رقم الحديث. (2769). (4/2120- 2127).

*ملوك غسان: أصلهم من اليمن من بني الأزد بن الغوث بن سبأ، خرجوا من اليمن، ونزلوا بالشام على ماء يقال له: غسان، ونسبوا إليه وكانوا عمالًا للقياصرة على عرب الشام. انظر: ابن كثير: أبا الفداء عماد الدين إسماعيل. ت: 774هـ: **المختصر في أخبار البشر**. 2مج. بيروت - لبنان: دار المعرفة.(72/1).

"عن مجاهد قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[1]: هلال بن أمية، ومرارة ابن الربيع، وكعب بن مالك من الأوس والخزرج"[2]، فهؤلاء الثلاثة "مؤخرون بين الرجاء والخوف﴿ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾، أي لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذي له الأمر كله لا يدرون أيعذبهم أو يرحمون"[3]، فإرجاء أمرهم بالإعراض عنهم تأديب لهم وزجر لهم عما اقترفوه من التخلف عن الجهاد مع القدرة وعدم العذر. وكما قال صاحب مختصر السيرة: "خلفهم الله وأخّرَ توبتهم ليمحِّصَهم ويطهرهم من ذنب تأخرهم؛ لأنهم كانوا من الصادقين"[4].

2 - أمر الرسول ﷺ المسلمين بالإعراض عنهم في الكلام والمحادثة:

يظهر ذلك من خلال رواية البخاري: (ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صَاحِبَيّ ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا)، ولا شك في أن هذا من أمضى الأساليب التي تستخدم لتشعر النفوس بالوِحْدَةِ والأشخاص بالعزلة وإن كانوا يعيشون بين الناس، فإن لهذا الأسلوب وقعه الجسيم على النفس بما يولده من شعور بالمرارة والقسوة الباردة، فتألم النفس لذلك وتتلظى ولكن من غير لهب أو نار، فتكوى النفس لتستقيم وتصفو من خبثها كما النار تخرج خبث الذهب.

لقد أعرض الناس عن محادثة الثلاثة حتى الأقارب كأبي قتادة[5] ابن عم كعب بن مالك. "هكذا كان الضبط، وهكذا كانت الطاعة في الجماعة المسلمة على الرغم من كل ما وقع من خلخلة بعد الفتح ومن بلبلة في ساعة العسرة... فلا مخلوق يفتح فمه بكلمة، ولا مخلوق يلقى كعبًا يأنس به... ولا يجيبه عن سؤال، فإذا أجاب بعد الإلحاح لم يطمئن لهفته، ولم يسكن قلقه إنما قال: "الله ورسوله أعلم""[6].

---

[1] سورة التوبة، الآية: 106.

[2] الطبري: **جامع البيان**. (22/11).

[3] البقاعي: **نظم الدرر**. (384/3).

[4] ابن عبد الوهاب، محمد. ت: 1206هـ: **مختصر السيرة**. 1مج. تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، الدكتور محمد بلتاجي والدكتور سيد حجاب. ط1. الرياض: مطابع الرياض. (ص: 237).

[5] أبو قتادة الأنصاري هو: الحارث، ويقال: عمرو أو النعمان بن رِبْعي بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها مهملة بضم الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة السلمي بفتحتين المدني، شهد أحدًا وما بعدها، ولم يصح شهوده بدرًا ،ومات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين والأول أصح وأشهر". ابن حجر: **تقريب التهذيب**. (ص:666).

[6] قطب: **في ظلال القرآن**. (1731/3).

3 - الإعراض عن الكذب واللجوء للصدق مَنْجَاة:

إن الصدق سبيل النجاة من العقاب، وهو طريق الخلاص من عذاب الله الأليم[1].

وهذا ما برز من موقف كعب بن مالك ﷺ ، فقد قاوم وساوس الشيطان وهواجس النفس اللَّذَيْنِ يدفعان لتحقيق راحة النفس في العاجل ولو بالكذب، ولكنه صدق رسول الله ﷺ وكذلك أصحابه فصدقهم ﷺ وأرجأ أمرهم حتى يقضي الله تعالى فيهم بحكمه.

4 - تَبَسُّمُ الرسول ﷺ تَبَسُّمُ المغضب صورة من صور الإعراض:

إن التبسم في الأصل سُنّة في الدين؛ فعن أبي ذَرٍّ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : "تبسُّمك في وجه أَخيك لك صدقة..."[2]. ولكن لكل مقام فَهْم خاص به ؛ ففي هذا المقام مع كعب بن مالك وأصحابه ﷺ كان التبسم من رسول الله ﷺ تفوح منه رائحة الغضب، وتشم منه معاني الإنكار وعدم الرضا، وهذا يمثل صورة للاتصال الصامت الذي له دلالاته وإيحاءاته القوية النافذة إلى أعماق النفوس والحاملة لرسائل التوبيخ والزجر والإنكار، وهذا أدب رفيع نتعلمه من رسول الله ﷺ في مثل هذا المقام.

5 - الأمر للزوجات باعتزال أزواجهن الثلاثة ورجوعهن إلى بيوت أهلهنَّ.

الأمر بالإعراض يتصاعد؛ لِتَسْخُنَ الأجواء أكثر، فتكون ثمرة التوبة أنضج، "ولما جَرى على هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب وهَجْر المسلمين (وعلى رأسهم زوجاتهم) إياهم نحوًا من خمسين ليلة، فصبروا على ذلك واستكانوا لأمر الله، فرّج الله عنهم بسبب صدقهم جميع ذلك وتاب عليهم، وكان عاقبة صدقهم وتقواهم نجاة لهم وخيرًا"[3]. لقد صدر الأمر النبوي لزوجات

---

[1] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (62/11).

[2] الترمذي: **سنن الترمذي**. كتاب: البر والصلة. باب: ما جاء في صنائع المعروف. رقم الحديث. (1956). (339/4). "قال أبو عيسى الترمذي: "هذا حديث حسن غريب". **المرجع السابق**. (339/4). وابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي البستيّ. ت: 354هـ: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. 9مج. ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. ت: 739هـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1414هـ - 1993م. كتاب: البر والإحسان. باب: حسن الخلق. ذكر كتبة الله جل وعلا الصدقة للمسلم بتبسمه في وجه أخيه المسلم . رقم الحديث. (474). (221/2).

[3] العيني: **عمدة القاري**. (279/18).

الثلاثة باعتزالهم واللحاق بأهلهن إلا أن امرأة هلال بن أمية استأذنت رسول الله ﷺ لخدمة زوجها الشيخ الكبير فأَذِن لها شريطة ألا يقربها، وكان هذا الأمر بعد مضي أربعين يومًا من بداية القصة كما ورد في سياق ما أورده ابن هشام.

تمت المقاطعة الكلية والإعراض التام حتى من الزوجات فلا ملاذ ولا أنيس داخل البيت وخارجه[1]. وهذا بلا شك يؤلم النفوس ويشعرها بمرارة عواقب المخالفة والتخلف عن ركب رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.

6 - النفوس تضيق فتشعر أن كل الموجودات من أرض رحيبة، ونفس عزيزة مُعْرِضَةٌ عنهم:

لقد كان شعورًا قاسيًا مؤلمًا جراء المقاطعة التامة والكلية، فالنبي ﷺ وأصحابه وزوجات الثلاثة الذين خُلّفوا جميعًا معرضون عنهم لأيام طويلة ، فأصيبت النفوس بالضيق والحرج بسبب الهم والغم والوحشة فلا أُنْسَ ولا سرور؛ لمجانبة الناس لهم[2].

لقد كان الشعور يضيّق الأرض رغم رحابتها وسعتها، "وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانًا يقرّون فيه، قلقًا وجزعًا ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[3] أي قلوبهم لا يسعها أُنْس ولا سرور؛ لأنها حَرِجَت[4] من فَرْط الوحشة والغم"[5].

قال سيد قطب: "فما الأرض؟ إن هي إلا بأهلها، إنْ هي إلا بالقيم السائدة فيها، إنْ هي إلا بالوشائج والعلاقات بين أصحابها، فالتعبير صادق[6] في مدلوله الواقعي، فوق صدقه في جماله الفني الذي يرسم هذه الأرض تضيق بالثلاثة المخلفين وتتقاصر أطرافها وتتكمش رقعتها، فهم منها في حرج وضيق. ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم ولا تسعهم وتضغطهم فيتكرب أنفاسهم"[7].

7 - الإعراض عن المغريات ومحاولات شراء الذمم.

---

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**. (1731/3).

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (304/2). والرازي: **مفاتيح الغيب**.(173/16).

[3] سورة التوبة، الآية: 118.

[4] الحَرِج : ضَيِّقُ الصَّدْر الذي لا يَنْشَرِح. انظر: الأزهري: **تهذيب اللغة**. (84/4).

[5] النسفي: **مدارك التنزيل**.(523/1).

[6] عبارة: (فالتعبير صادق). للباحث على هذا التعبير المستخدم من قِبَلِ سيد قطب تَحَفُّظ، فقد يشعر المستمع أن هناك تعبيرًا في القرآن غير صادق والحق إن كل حرف وكل كلمة في القرآن صدق، ولكن الباحث يلتمس لسيد قطب العذر فلعله استخدمه جَرَّاءَ تأثره بالأدب والصياغة الأدبية من غير قصد أو من باب التأكيد والله أعلم.

[7] قطب: **في ظلال القرآن**. (1732/3).

يبدو ذلك جليًا حين أعرض كعب بن مالك ﷺ عن السقوط في شَرَكِ المشركين حين وصله كتاب من ملك غَسَّان يستضيفه للمواساة بعد جَفْوة الرسول ﷺ له، فقد أدرك ذلك الصحابي أن هذا من الفتنة، فعمد إلى الكتاب فأحرقه في التنور[1].

8 - إعراض كعب بن مالك عن أمواله تعبيرًا عن الشكر لله تعالى على قبول توبته.

عندما جاءت البشارة بقبول التوبة، وأقبل كعب بن مالك ﷺ إلى مجلس رسول الله ﷺ كان من بين ما قاله: (إنَّ من توبتي إلى الله ﷻ أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قلت: إني ممسك سهمي الذي بخيبر)، لقد قضى الثلاثة نفر أيامًا طويلة من الترقب والانتظار للمصير ورافق ذلك شعور بالألم والقلق والمرارة مع صدق توبة وإنابة ودموع وندم انهمرت لتغسل أثر الذنب، ثم جاء بعد ذلك كله الفرج من الله تعالى والقَبول والتوبة، فكأن لسان الحال بكعب بن مالك وهو ينخلع من ماله إنه يعلن زهده بالدنيا ويقطع علاقاته بها فهي التي قد تثبطه عن الطاعة والامتثال، وهو تعبير صادق عن الشكر لرب حنّان منّان توّاب.

9 - التأديب والتوجيه بعدم التخلف أو الرغبة بالنفس والإعراض عن رسول الله ﷺ ومنهجه، فكان التوجيه القرآني أن "لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة"[2].

" وفي التعبير القرآني ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾[3]، تأنيب خفي فما يؤنب أحد يصاحب رسول الله ﷺ بأوجع من أن يقال عنه: إنه يرغب بنفسه عن نفس رسول الله ﷺ، وهو معه، وهو صاحبه، وإنها لإشارة تلحق أصحاب هذه الدعوة في كل جيل فما كان لمؤمن أن يرغب بنفسه عن مثل ما تعرضت له نفس رسول الله في سبيل هذه الدعوة، وهو يزعم أنه صاحب دعوة، وأنه يتأسى فيها برسول الله ﷺ"[4]، وفي هذا تأديب وتوجيه إلى الإعراض عن كل ما يَحُوْل بين المسلم وطاعة الله ورسوله ﷺ.

---

[1] التَّنُّور: نوع من الكوانين، وهو أيضًا الذي يُخْبَزُ فيه، وهو في جميع اللغات كذلك. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (95/4).

[2] النسفي: **مدارك التنزيل**. (524/1).

[3] سورة التوبة، الآية: 120.

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (1733/3).

ويضيف الباحث إلى ما سبق بعض الحِكَمِ والفوائد من قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا ذات العلاقة بأدب الإعراض وهي ما يأتي[1]:

1 - جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسولهﷺ ... .

2 - إن الستر والكتمان إذا تضمن مفسدة لم يجز... .

3 - إن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها وإلا حِيْلَ بين قلبه وإرادته... .

4 - إن الإمام والمطاع لا ينبغي له أن يهمل من تخلف عنه بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب...

5 - ترك الإمام والحاكم رد السلام على من أحدث حدثًا تأديبًا له وزجرًا لغيره... .

6 - إن التبسم قد يكون عن الغضب، كما يكون عن التعجب والسرور... .

7 - توفيق الله تعالى لكعب وصاحبيه فيما جاؤوا به من الصدق... .

إن الشدة والقسوة مع الثلاثة المخلفين مظهر للإكرام والتشريف وهو مما لا يستأهله المنافقون، وكيف يستأهل المنافقون أن ينزل قرآن في قبول الله ﷻ توبتهم [2]

---

[1] انظر: ابن القيم، أبا عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت: 751هـ: **زاد المعاد في هدي خير العباد**. 5مج. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط14. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية. 1407هـ- 1986م. (3/573 -576).

[2] انظر: البوطي: **فقه السيرة النبوية**. (ص: 306 -307).

المبحث الثاني

جزاء المتأدبين بأدب الإعراض

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الكفاية والطمأنة بعدم وقوع الضرر:

لقد ظهرت معية الله تعالى لرسوله ﷺ وكفايته شرور أعدائه في كل مراحل الدعوة الإسلامية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾[1].

والباحث ليس بصدد الكلام عن هؤلاء المستهزئين المشار إليهم في الآية الكريمة بقدر ما يهمه في هذا المقام أن الله تعالى تكفل بكفاية رسوله ﷺ منهم بعد أن أمره بالصدع بالدعوة والإعراض عن المشركين، فالله تعالى قد كفى رسوله شرورهم وكيدهم[2]. ولقد تم قمعهم بإهلاكهم وبما أصابهم من بوائق فزال شرهم وكيدهم بتدبير الله تعالى[3].

فالآية الكريمة تدل على وعد بالكفاية والطمأنة لرسول الله ﷺ ، ويرى الباحث أن هذا وعد لكل من سار على الطريق ذاته المحفوف بالمكاره، فإنه لا يخلو زمان من هؤلاء المستهزئين، وعليه فليكن الدعاة على ثقة عظيمة بأن لهذا الدين ربًّا عظيمًا يدافع عنه وعن أوليائه وأنصاره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : "إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افْتَرَضْتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصَرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأُعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يَكْرَهُ الموتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه"[4].

---

[1] سورة الحجر الآيتان: 94- 95.

[2] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (69/14). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (171/19).

[3] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**. (383/3). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (92/5). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (375/3). والبقاعي: **نظم الدرر**. (240/4).

[4] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الرقاق. باب: التواضع. رقم الحديث. (6137). (2384/5).

ويقول تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[1].

تَرِدُ هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن تخيير رسول الله ﷺ في الحكم بين أهل الكتاب وعدمه، فإذا ما أعرض الرسول ﷺ عنهم ورفض الحكم بينهم؛ فإن ذلك مما يشق على نفوسهم فيصيرون له أعداء، فبين الله تعالى أنه لا ضرر من عداوتهم[2]، قال أبو حيان: "أي أنت آمن من ضررهم منصور عليهم على كل حال"[3].

وبناء على ما سبق فإن الطمأنة بعدم وقوع الضرر جزاء دنيوي للإعراض عن الحكم بين أهل الكتاب.

ويذهب ابن عاشور في تفسير نفي الضرر إلى منحى آخر فيقول: "فذلك تطمين للنبيء ﷺ لئلا يقول في نفسه: كيف أُعْرِضُ عنهم؟ فيتخذوا ذلك حجة علينا. يقولون: ركنا إليكم ورضينا بحكمكم فأعرضتم عنا فلا نسمع دعوتكم من بعد، وهذا مما يهتم به النبيء ﷺ؛ لأنه يؤول إلى تنفير رؤسائِهم دهماءَهم من دعوة الإسلام، فطمنه الله تعالى بأنه إنْ فعل ذلك لا تنشأ عنه مضرة، ولعل في هذا التطمين[4] إشعارًا بأنهم لا طمع في إيمانهم في كل حال، وليس المراد بالضرِّ ضرّ العداوة أو الأذى؛ لأن ذلك لا يهتم به النبيء ﷺ ولا يخشاه منهم خلافًا لما فسر به المفسرون هنا"[5].

---

[1] سورة المائدة الآية: 42.

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (669/1). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (186/11). وابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب**. (343/7). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (39/3).

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**. (502/3).

[4] لم يجد الباحث أحدًا من أصحاب أمَّات معاجم اللغة الموجودة في الجامع الكبير أورد هذا المصدر (التطمين) إلا الزبيدي نقلًا عن مفردات الراغب، وبالرجوع لمفردات الراغب، وجد الباحث أن الكلمة الموجودة فيه هي: (تطهير) وليس (تطمين) ولعل هذا خطأ في النقل أو في الطباعة. ووجدت أن المفسرين الذين استخدموا لفظة (التطمين) هم: أبو حيان وابن عادل وابن عاشور، ولا أدري ما مستندهم في ذلك الاستخدام؟، "وطمن غير مستعمل في الكلام". ابن منظور: **لسان العرب**. (268/13).

[5] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (203/6).

فالقاسم المشترك بين ما قاله ابن عاشور وغيره من المفسرين أن في الآية طمأنةً للرسولﷺ ونفيًا لِمَا قد يسبب له المَسَاءَة، فالطمأنينة خير دنيوي وجزاء عاجل للإعراض عن الحكم بين أهل الكتاب.

المطلب الثاني: المُرَاغَم والسَعَة:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

الفرع الأول: المُرَاغَم:

ورد في معناه: "عن ابن عباس: ... المراغم: التحول من الأرض إلى الأرض... عن مجاهد: ... متزحزحًا عمّا يكره"[2]. "وأصله: لصوق الأنف بالرَّغَام؛ وهو التراب، يقال: راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك"[3].

فالمعنى للمراغم كجزاء هو: أن يجد المهاجر متحولًا ومكانًا يتحقق له فيه الخير والنعمة والمنعة ما يكون سببًا لرغم أنوف أعدائه وقومه الذين ألجأوه إلى ذلك السلوك وتلك المفارقة[4]. وقيل: "فإن المراغمة: اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل"[5]. فإذا غيظ الأعداء وسيئت نفوسهم فإن في ذلك دليلًا على معية الله ﷻ وتأييده للمؤمنين وهو جزاء في العاجل. "وَقَدَّمَ مراغمةَ الأعداء على سعة العيش؛ لأن الابتهاج برغم أنوف الأعداء لسوء معاملتهم أشد من الابتهاج بالسعة"[6].

---

[1] سورة النساء الآية: 100.

[2] ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن.** (1049/3).

[3] النسفي: **مدارك التنزيل.** (277/1).

[4] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز.** (101/2). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (348/5). والنسفي: **مدارك التنزيل.** (277/1). والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل.** (154/1). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم.** (224/2).

[5] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن.** (ص:196).

[6] أبو حيان: **البحر المحيط.** (350/3).

الفرع الثاني: السَعَة:

وقد فسرت السَعَة في الآية الكريمة: بالرزق والرخاء وسعة البلاد[1]، وهذه المعاني المذكورة متلازمة متوافقة "فإن بسعة الأرض وكثرة المعاقل تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفَرَج"[2].

وبناء على ما سبق فإن المهاجر في سبيل الله، المُعْرِضَ عن كفر الكافرين وديارهم، الناصر لدينه يجزى بالخير الجزيل والعطاء الكبير بما يصلح دينه ودنياه.

لقد أشارت الآية الكريمة إلى أن الأجر يقع حتى لمن شرع بالهجرة فاستوفاه الأجل قبل بلوغ مراده، قال تعالى:﴿ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، "يعنى فقد وجب أجر هجرته على الله بإيجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم"[3].

وذكر النسفي في تفسيره: "قالوا: كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدًا أو ابتغاءَ رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله"[4].

وفي السنة المطهرة ما يؤكد وقوع أجر المهاجر ما دام مخلصًا في هجرته، وبرهان ذلك الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[5].

قال أبو حيان في قوله تعالى:﴿ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ "وهذه مبالغة في ثبوت الأجر ولزومه، ووصول الثواب إليه فضلًا من الله وتكريمًا"[6].

---

[1] انظر: ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن**. (1049/3).

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (348/5).

[3] الخازن: **لباب التأويل**. (584/1).

[4] النسفي: **مدارك التنزيل**. (277/1).

[5] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: الإيمان. باب: ما جاء أن الأعمال بالنية. رقم الحديث. (54). (30/1). ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإمارة. باب: قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنية". رقم الحديث. (1907). (1515/3).وفي لفظ مسلم:" إنما الأعمال بالنية...". **المرجع السابق**. (1515/3).

[6] أبو حيان: **البحر المحيط**. (350/3).

يقول سيد قطب: "إنها صفقة رابحة دون شك، يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى خطوة الخروج من البيت مهاجرًا إلى الله ورسوله والموت هو الموت في موعده الذي لا يتأخر، والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة، ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده، ولخسر الصفقة الرابحة فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة، بل هناك الملائكة تتوفاه ظالمًا لنفسه وشتان بين صفقة وصفقة! وشتان بين مصير ومصير!"[1].

المطلب الثالث: هبة الذرية لإبراهيم عليه السلام وجعلهم أنبياء كرماء:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[2].

قال الطبري: "فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان، آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم فوهبنا له ابنه إسحاق وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكلًا جعلنا نبيا... وكان الذي وهب لهم من رحمته ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله"[3].

قال رسول الله ﷺ: "إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ألا أَعْطَاكَ خَيْراً منه"[4].

وفي الأثر عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: "ما من عبد ترك شيئًا لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب..."[5].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (746/2).

[2] سورة مريم الآيتان: 49- 50.

[3] الطبري: **جامع البيان**. (93/16).

[4] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني. ت 242هـ **: مسند الإمام أحمد**. 50 مج. تحقيق: شعيب الارناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1422هـ- 2001م. رقم الحديث. (20739). (342/34).وحكم شعيب الأرناؤوط على الحديث بصحة إسناده. انظر: **المرجع السابق**. (342/34).

[5] ابن السري: **الزهد**. (466/2).

فالاعتزال والإعراض لأجل الله تعالى فيهما الفرج وهما الصفقة الرابحة، وهذا يظهر جليًا من خلال ما حدث مع إبراهيم عليه السلام، فلا خسر نبي الله ﷻ لمّا اعتزل الكفار الفسقة لوجه الله تعالى ، فقد عوضه الله ﷻ أولادًا أنبياء[1].

لقد وهب الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام إسحاق ويعقوب، كما وهبه إسماعيل، فلماذا خصت الآية إسحاق ويعقوب دون غيرهما؟ يجيب عن ذلك البقاعيُّ قائلًا: "وخصهما بالذكر للزومهما محل إقامته، وقيامهما بعد موته بخلافته فيه وأما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولي لتربيته بعد نقله رضيعًا إلى المسجد الحرام"[2].

وتتضاعف الهبة ويَعْظُمُ الجزاء؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ أي ثناءً حسنًا عند أهل الأديان إلى يوم القيامة[3].

ويجمل ابن عاشور ما حظي به إبراهيم عليه السلام من جزاء على اعتزال قومه قائلًا: "وقد رتب جزاء الله إبراهيم على نبذه أهل الشرك ترتيبًا بديعًا؛ إذ جُوزي بنعمة الدنيا وهي العقب الشريف، ونعمة الآخرة وهي الرحمة وبأثر تينك النعمتين وهو لسان الصدق إذ لا يذكر به إلا من حَصَّل النعمتين"[4].

ويذهب الباحث إلى القول بناء على ما سبق من فهم للآية الكريمة: أن من أسباب تحصيل الذرية الصالحة: صلاح الأصل والهجرة إلى البيئة الصالحة والإعراض عن السكنى في بيئة الظلمة والفسقة والعصاة والمكوث بين ظهرانيهم والانتقال إلى البيئة التي يعبد المرء ربه فيها بحق، فقد يكون من مواساة الله تعالى في مثل هذا المقام الرزق بذرية صالحة ذكور يكونون له عونًا وعضدًا ومؤنسين له في وحدته ووحشته.

---

[1] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (24/3). والرازي: **مفاتيح الغيب**. (197/21). والنسفي: **مدارك التنزيل**. (42/2).

[2] البقاعي: **نظم الدرر**. (539/4).

[3] انظر: الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (683/2). والسمعاني: **تفسير القرآن**. (297/3). وابن عطية: **المحرر الوجيز**. (19/4).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (126/16).

المطلب الرابع: زكاة النفس وطهارتها:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[1].

لا يخفى على ذي عقل وبصيرة أثر النظر المحرم وخطره وما يجره على صاحبه، فإذا غض المؤمنون أبصارهم وحفظوا فروجهم وداوموا على ذلك كان أزكى وأطهر لهم وهذا من قبيل المدح والثناء لهم[2]. قال ابن كثير: "قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته"[3].

فالتزكية أثر وجزاء وهي مظهر من مظاهر الرضا والتوفيق وبها تكون الجُنّة من ارتكاب المعاصي والوقوع في شَرَك الذنوب العظيمة[4]، ولا شك في أن هذا جزاء من أطاع ربه ﷻ؛ فغض بصره، فإن الله ﷻ يتعهده بالتوفيق والحفظ والصون من الوقوع في الشرور والآثام.

المطلب الخامس: محبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[5].

فمن اتصف بما ذكر سبحانه في الآية الكريمة فإن الله تعالى يحبه[6]، فالمراد من الآية هنا الإثابة على الإحسان وعظم الدرجة[7]. يقول البقاعي: "فإن الله يحبهم لإحسانهم ... أي يكرمهم بأنواع الإكرام على سبيل التجديد والاستمرار"[8]، فهو جزاء الله وعطاؤه المديد وكرمه وسخاؤه للطائعين المنفقين والمعرضين عن زلات الناس.

---

[1] سورة النور الآية: 30.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (178/23).

[3] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (283/3).

[4] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (204/18).

[5] سورة آل عمران الآية: 134.

[6] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (93/4).

[7] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (208/4). والخازن: **لباب التأويل**. (421/1).

[8] البقاعي: **نظم الدرر**. (157/2).

يقول سيد قطب: "والذين يجودون بالمال في السراء والضراء محسنون، والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون،﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، والحب هنا: هو التعبير الودود الحاني المشرق المنير الذي يتناسق مع ذلك الجو الوضيء الكريم"[1]

المطلب السادس: المغفرة والرحمة والتقوى والأجر:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

هذه الآية الكريمة فيها دعوة إلى العفو والصفح والإعراض عمن أساء تربية للنفوس المؤمنة على احتمال المكروه، وهي وإن كان المقصود منها أبا بكرﷺ فإنها في معناها ودلالتها تشمل كل مسلم؛ لأن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[3]، "والاستفهام في قوله:﴿ أَلَا تُحِبُّونَ ﴾ إنكاري مستعمل في التحضيض على السعي فيما به المغفرة وذلك العفو والصفح"[4] فذكر صيغة الجمع ﴿ تُحِبُّونَ ﴾ للتعظيم، وعلق الله تعالى غفرانه على العفو والصفح، فلما حصل الشرط ترتب الجزاء[5]، "فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك"[6].

ففي الآية دليل على أن العفو والصفح عمن أساء من المسلمين موجب لغفران الذنوب[7] وهذه غاية عظمى عند المسلم أن يلقى الله تعالى مغفورًا له، ولذلك قال أبو بكرﷺ: "بَلَى والله

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**. (475/1).

[2] سورة النور الآية: 22.

[3] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ت: 505هـ: **المستصفى في علم الأصول** 1مج. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافعي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ - 1992م. (ص: 236).

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (189/18).

[5] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (165/23).

[6] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (277/3).

[7] انظر: الشنقيطي: **أضواء البيان**. (488/5).

إني لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لي فرجعَ إلى مِسْطَحٍ الذي كان يُجْرِي عليه"[1]؛ رجاءً لمغفرة الله تعالى له.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[2].

قال أبو حيان: "المعنى: إنه سبحانه سيبسط علينا رحمته، ويهيئ لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا"[3]، والآية وإن جاءت على وجه الدعاء من الفتية الذين آمنوا إلا أن فيها ما يدل على أن الرحمة جزاء للمعرضين عن الشرك والمشركين.

قال الشنقيطي: "وهذا يدل على أن اعتزال المؤمن عن قومه الكفار ومعبوديهم من أسباب لطف الله به ورحمته"[4].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[5].

قال السمرقندي في قوله: " ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم، ﴿ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾: أي ثواب وافر يعني في الجنة، يعني يجعل ثوابهم في الدنيا أن يخلص قلوبهم للتقوى، وفي الآخرة أجر عظيم"[6].

ففي الآية الكريمة ما يدل على أن جزاء التأدب بالإعراض عن رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ يترتب عليه عطاء كثير؛ بأن يخلص قلوب المؤمنين للتقوى، ثم مغفرة وأجر عظيم. قال سيد قطب: "والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم، وهيأها لتلقي تلك الهبة؛ هبة التقوى، وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم"[7].

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**.كتاب: الشهادات. باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا.رقم الحديث. (2518). (945/2).

[2] سور الكهف الآية: 16.

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**. (103/6).

[4] الشنقيطي: **أضواء البيان**. (217/3).

[5] سورة الحجرات الآية: 3.

[6] السمرقندي: **بحر العلوم**. (308/3).

[7] قطب: **في ظلال القرآن**. (3340/6).

المطلب السابع: دخول الجنة ووراثة الفردوس والخلود فيها:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ... أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[1]

تأتي هذه الآية الكريمة لتذكر جزاء من وُصفوا فيما سبق في آيتين كريمتين، ومن بينهم الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس الذين أعرضوا عن الانتقام والمجازاة فكظموا غيظهم وعفوا عمن أساء، فكان جزاؤهم المغفرة، ودخول الجنات، قال السعدي في وصف الجنات: "فيها من النعيم المقيم والبهجة والحبور والبهاء والخير والسرور والقصور والمنازل الأنيقة العاليات والأشجار المثمرة البهية والأنهار الجاريات في تلك المساكن الطيبات ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يحولون عنها ولا يبغون بها بدلا"[2].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3].

لقد جاءت الآيتان الكريمتان (10 11) المرقومتان أعلاه صريحتين في جزاء المؤمنين المتصفين بما ذكر من صفات؛ ومنهم المتأدبون بأدب الإعراض ومن "ذلك أن الله تعالى جعل لكل امرئ بيتًا في الجنة، فمن عمل عملَ أهل الجنة ورث بيته في الجنة، والفردوس خير الجنان"[4].

والمعلوم أن المسلم لا يدخل الجنة بعمله بل برحمة الله ﷻ فعن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: "ما من أَحدٍ يدخله عملُه الجنة، فقيل: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: ولا أنا إلا أن يَتغمَّدني

---

[1] سورة آل عمران، الآيات: 134 - 136.

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**. (ص: 149).

[3] سورة المؤمنون الآيات: 1- 11 .

[4] الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (744/2).

ربِّي برحمة"[1]، ولكن جاء التعبير على هذا النحو " قصدًا لتفخيم هذه الوراثة... واستعيرت الوراثة للاستحقاق الثابت لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال"[2].

وقد ذكر المفسرون وُشّراح الحديث تفسيرات شتى لمعنى الفردوس لا يرى الباحث ضرورة لعرضها ويكتفي بالثابت في السنة الصحيحة. عن رسول الله ﷺ أنه قال: "... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسطُ الجنة، وأعلى الجنة، وفَوْقَه عرشُ الرحمن ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة"[3].

فدخول الجنة ووراثة الفردوس "تلك غاية الفلاح الذي كتبه الله للمؤمنين، وليس بعدها من غاية تمتد إليها عين أو خيال"[4]، ولا يقف هذا الجزاء العظيم عند حد وراثة الفردوس على ما سبق عرضه ووصفه، وإنما تختم الآية بتقرير الخلود للوارثين، وهذا يعني المكوث بلا تحول ولا خروج ولا موت[5].

إذن دخول الجنة ووراثة الفردوس والخلود فيها جزاء المتصفين بما ذكرته الآيات الكريمة السابقة ومن بينهم المذكورون المعرضون عن اللغو، فما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، فيكون جزاء المتأدبين بأدب الإعراض وراثة الفردوس أعلى درجات الجنة والخلود فيها أسأل الله تعالى أن أكون وسائر المسلمين من ساكنيها والمقيمين فيها إنه سميع مجيب.

---

[1] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: المرضى. باب: نهي تمني المريض الموت. رقم الحديث. (5349). (2147/5). وقد ورد في **المرجع السابق** في أكثر من موضع. ومسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: لن يدخل أحدٌ الجنَّةَ بِعمله بل برحمة اللَّه تَعالَى. رقم الحديث. (2816). (2169/4)

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (20/18).

[3] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**. كتاب: التوحيد. باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾. رقم الحديث (6987). (2700/6).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (2457/4).

[5] انظر: الطبري: **جامع البيان**. (7/18). وأبا السعود: **إرشاد العقل السليم**. (125/6). والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن**. (ص: 548).

الخاتمة

الحمد لله الذي بِمَنِهِ وكرمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الباحث يخلص من هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، يسطر أهمها موجزةً في النقاط الآتية:

أولًا: أهم النتائج:

1 - يتمثل أدب الإعراض في كونه فضيلة تدعو صاحبها لكف نفسه عن مباشرة ما فيه إخلال بصلاح دينه ودعوته وكريم مقامه في معاشه ومعاده.

2 - ينقسم الإعراض في القرآن الكريم إلى إعراض محمود وهو يشكل ما نسبته 37% من الآيات الناطقة بالإعراض بلفظه الصريح وفي دائرته يكون أدب الإعراض ، والإعراض المذموم وهو بنسبة 62%.

3 - للإعراض في القرآن الكريم نظائر متعددة من أهمها؛ التولي والإباء والصد والصدف والصفح والصَّعَر والهجر والاعتزال وذره تركًا والعفو والغض والزهد.

4 - المتأدبون بأدب الإعراض في القرآن الكريم هم؛ الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون.

5 - ورد إعراض المتأدبين بأدب الإعراض في القرآن الكريم في مقامات عِدَّة فكان الإعراض عن المشركين والجاهلين والخائضين في آيات الله ﷻ ، واليهود من أهل الكتاب والمنافقين والمستهزئين، ولغو الحديث وغير ذلك من المقامات ؛ كل ذلك على نحو يبرز تميز المسلم بسمو ذوقه ورقي فكره وجمال أدبه.

6 - الإعراض القلبي (النفسي) عند المتأدبين بأدب الإعراض يُعد من مظاهر أدب الإعراض ويدل على ذلك السلوك المعبر عن هذه النفرة القلبية والنفسية.

7 - الإعراض الجسمي -الجزئي و الكلي يُعد من مظاهر أدب الإعراض، وهو ما يعرف عند بعضهم بالاتصال الصامت أو الرمزي الذي يحمل في طياته رسائل قوية معبرة عن الرأي تجاه الأشخاص والمواقف المقابلة.

8 - الإعراض السلوكي المتمثل في أخلاقيات راقية وخِلال كريمة تُعد أيضًا من مظاهر أدب الإعراض التي أشار إليها القرآن الكريم ودعا إليها على وجه التأديب والتهذيب للطباع البشرية ارتقاء بها إلى المعالي والمكارم.

9 - لم يترك القرآن الكريم أدب الإعراض دون ضبط أو تنظيم؛ بل وضع جملة من الضوابط والمحددات تعد مُوجِهات ومُصوِبات للصورة التي يجب أن يكون عليها أدب الإعراض عن المُعْرَضِ عنهم؛ كالقول الميسور والوعظ والقول البليغ والصفح والصبر والهجر الجميل وغير ذلك من الضوابط.

10 كان للقرآن الكريم منهج بَيِّنٌ في التأديب بأدب الإعراض والدعوة إليه؛ من خلال صيغة الأمر المباشر أو الأسلوب الضمني، وكذلك وروده بصور عِدَّة كالتخصيص والوعيد والتعزير وغير ذلك.

11 برز أدب الإعراض من خلال موقف إبراهيم عليه السلام في أثناء دعوة أبيه آزر للإيمان في أكثر من محطة خلال الحوار الذي دار بين الابن النبي والأب الكافر.

12 كان أدب الإعراض جليًا من خلال اعتزال أصحاب الكهف المؤمنين لقومهم المشركين ومعبوداتهم الوثنية.

13 تجلّى أدب الإعراض في أبهى صوره من خلال حادثة الإفك؛ وذلك من خلال مواقف الأطراف المسلمة الصادقة في هذه الحادثة وعلى رأسهم رسول الله ﷺ.

14 ظهر أدب الإعراض من خلال قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك وبدا من أفراد المجتمع الإسلامي عمومًا انضباطًا وطاعةً لا نظير لهما لأمر رسول الله ﷺ بالإعراض عن النفر الثلاثة الذين لم يشاركوا رسول الله ﷺ وصحبه ﷺ في الخروج للجهاد وذلك كان تأديبًا وزجرًا لهؤلاء الثلاثة على تقاعسهم.

15 تبين أن المتأدبين بأدب الإعراض يحوزون على الكفاية والطمأنة وسعة العيش والذرية الصالحة والمحبة الربانية وهذا من الجزاء الدنيوي، وكذلك الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة ووراثة الفردوس الأعلى وهذا من الجزاء الأُخروي وهو غاية مأمول المسلم الملتزم بدين ربه ﷻ.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

1 - توجيه طلاب الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم لدراسة أنواع الأدب ومتعلقاته من خلال القرآن الكريم.

2 - عقد دورات تأهيلية وتثقيفية يقوم بها متخصصون في مجال الأدب في القرآن والسنة موجهة للمسلمين عمومًا وَمَنْ هُمْ في موقع القدوة والتأثير خصوصًا؛ كأئمة المساجد، والمدرسين على اختلاف مراحل التعليم، وأولياء الأمور....الخ؛ ليتم نقل الأدب ونشره في البيئات المختلفة.

3 - طرح مساق علمي في الجامعات ضمن المساقات العامة للتخصصات العلمية كافَّة بعنوان "الأدب في القرآن والسنة" بقصد تزويد الطلبة برصيد علمي ومعرفي في هذا المجال، بالإضافة إلى توجيههم وتهذيبهم بآداب الإسلام .

4 - الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة كافَّة من خلال شبكات الاتصال والتواصل وعبر قنواته المتنوِّعة ومن خلال وسائل الإعلام ومنابر الرأي المختلفة؛ لنشر الأدب في القرآن والسنة ومخاطبة الآخرين بهذا الخصوص.

وفي الختام أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا في الأول والآخر والظاهر والباطن على عونه لي بإتمام هذه الدراسة، وأسأله تعالى أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وعباده إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

1- فهرس الآيات الكريمة

2- فهرس الأحاديث الشريفة

3- فهرس الأشعار

4- فهرس الأَعلام

5- فهرس الأماكن

6- فهرس الغريب

7- فهرس المراجع والمصادر

8 - الملاحق

فهرس الآيات الكريمة

الآيــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾	البقرة	34	61
﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ ﴾	البقرة	83	52
﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	البقرة	109	171،102
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	البقرة	174	189
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ	البقرة	189	181
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى	البقرة	222	137
﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾	البقرة	237	187
﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ ﴾	البقرة	263	165
﴿ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	آل عمران	23	20
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ	آل عمران	77	189
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ... ﴾	آل عمران	134 - 136	216،184،110
﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾	آل عمران	159	72
﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ	النساء	6	157
﴿ فَإِنۡ تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ	النساء	16	50،47
﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾	النساء	34	188،133
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ ... ﴾	النساء	61 -63	156،117،103، 166

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	النساء	81	49،104،156، 177
﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	النساء	100	212
﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا ﴾	النساء	128	44،86،130،146
﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ	النساء	129	87،116
﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ ﴾	النساء	135	46،51،113
﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ	النساء	140	105،126
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ	النساء	174	1
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ	المائدة	13	102
﴿ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا ﴾	المائدة	42	46،50،101،211
﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾	الأنعام	34	44
﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾	الأنعام	35	44،51
﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾	الأنعام	46	65
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾	الأنعام	68	48،99،125،169
﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا	الأنعام	70	70،106
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾	الأنعام	91	100
﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾	الأنعام	106	48،83،92،144، 185
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ﴾	الأنعام	108	93
﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾	الأنعام	120	122

﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ ﴾	الأنعام	157	65
﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا	الأعراف	45	63
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾	الأعراف	79	79
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾	الأعراف	93	80
﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	الأعراف	199	179،147،96،49
﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾	التوبة	76	185
﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ ﴾	التوبة	92	128
﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾	التوبة	95	121،105،47،46
﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ ﴾	التوبة	96	151
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾	التوبة	106	205،203،188
﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾	التوبة	114	159
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾	التوبة	117 - 121	207،203،188
﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾	هود	76	147،77،49
﴿وَمَآ تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ	هود	88	1
﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ ﴾	يوسف	18	201
﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ	يوسف	20	74
﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن ﴾	يوسف	23 -28	158
﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾	يوسف	29	153،87،51
﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾	يوسف	84	183،127،81

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	يوسف	86	82
﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ	الحجر	3	188
﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ	الحجر	85	173،67
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ ...يَعۡلَمُونَ	الحجر	96- 94	210،92،91
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾	النحل	125	167،147،94
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ	الإسراء	23	32
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾	الإسراء	24	32
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ ﴾	الإسراء	26	111
﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	الإسراء	27	118
﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ﴾	الإسراء	28	165،153،49،46 182،
﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ ﴾	الإسراء	67	45
﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ...﴾	الكهف	26- 9	218،195،121
﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾	الكهف	28	176
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ ﴾	الكهف	96	64
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ ... نَبِيًّا ﴾	مريم	56- 41	192،135،32، 194
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾	طه	44	166
﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	طه	56	61،60
﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾	طه	124	56،55،54
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا ﴾	طه	131	141

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ... ﴾ .	الأنبياء	1	54
﴿ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُون ﴾	الأنبياء	42	52
﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾	الأنبياء	83	29
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ...﴾	المؤمنون	1 -11	145،180،183، 219
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ... رَّحِيمٌ ﴾	النور	11 -22	112،154،197، 217
﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾	النور	30	73،216
﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾	النور	31	139
﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	النور	48	54
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ ﴾	النور	51	29
﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا	النور	60	157
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ . ۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾	الفرقان	63 -76	31،98،109،127
﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾	الشعراء	5	52،54
﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾	الشعراء	80	29
﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾	القصص	24	80،128
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ...ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	القصص	52 -55	45،48،85،108، 144،163
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم ﴾	الروم	21	146
﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	لقمان	13	95
﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾	لقمان	18	68،132

﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن ﴾	لقمان	19	73
﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾	السجدة	30	187،170
﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾	سبأ	16	51،45
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾	سبأ	28	83
﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾	فاطر	8	94
﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ ...حَتَّىٰ حِينٖ ﴾	الصافات	174 - 178	171
﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾	فصلت	3	53
﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ ﴾	فصلت	4	52
﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾	فصلت	34	180
﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ ﴾	فصلت	51	186،55
﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا ﴾	الشورى	48	53،45
﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾	الزخرف	89	164
﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾	الدخان	21	70
﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾	الفتح	9	30
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ ﴾	الحجرات	3	218
﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾	الذاريات	54	172
﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾	النجم	29	179،148،93
﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ ﴾	القمر	2	47
﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾	الجمعة	11	89
﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾	التحريم	3	183،84،50

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾	التحريم	6	180،25
﴿ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ ﴾	الجن	17	56،47
﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ ﴾	المزمل	10	174
﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾	المدثر	5	69
﴿ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	القيامة	32	60
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ...تَلَهَّى ﴾	عبس	1 -10	115
﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ... زَكَّىٰهَا ﴾	الشمس	7 -9	31
﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾	الكافرون	6	163

فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث	المرجع	رقم الحديث	الصفحة
"أَتدْرونَ أَي يومٍ هذا؟ قلنا: الله ورسولُه أَعلم..."	صحيح البخاري	1654	30
"اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح..."	صحيح البخاري/ مسلم	1016/6174	131
"إذا أدّب الرجل أَمَتَه فأحسن تأديبها..."	صحيح البخاري	3262	25
" أراد أن يباشرها..."	صحيح البخاري/ مسلم	293/295	138
"اصنعوا كل شيء إلا النكاح..."	صحيح مسلم/الجامع الصحيح	2977/302	137
" أعددت لعبادي الصالحين..."	صحيح البخاري/ مسلم	2824/4501	143
"الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى..."	صحيح البخاري/ مسلم	1907/54	213
"أقبلت عير ونحن نصلي مع النبي ﷺ ..."	صحيح البخاري/ مسلم	863/1958	89
"أَمَرني أَنْ أَصْرِفَ بصري"	صحيح مسلم	2159	140
"أمرها أن تتزر في فَوْرِ حيضتها..."	صحيح البخاري/ مسلم	293/295	138
"إن في الجنة مائة درجة ..."	صحيح البخاري	6987	220
" إنك امرؤ فيك جاهلية"	صحيح البخاري/ مسلم	1661/30	96
"إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ..."	مسند أحمد بن حنبل	20739	214
"إن الله قال: من عادى لي وليًا..."	صحيح البخاري	6137	210
"إياكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث..."	صحيح البخاري/ مسلم	2563/5717	129
"بَلَى والله إني لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ ..."	صحيح البخاري	2518	218
"تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ..."	صحيح البخاري/ مسلم	2769/4156	204
"تبسُّمك في وجه أَخيك لك صدقة..."	سنن الترمذي/ صحيح ابن حبان	474/1956	206

"الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر..."	صحيح البخاري	2318	87
"رَحْمَةُ الله على موسى لقد..."	صحيح البخاري	4080	173
"قال: عَائِشَةُ فقلت: من الرِّجَالِ؟ فقال: أَبُوهَا..."	صحيح البخاري/ مسلم	2384/3462	87
"فاسْتَقْطَعَهُ الْمِلْحَ ... فقطَعَهُ له..."	سنن أبي داود/ الترمذي	1380/3064	129
"كان رسول الله ﷺ لَا يُفضِّلُ بعضَنا..."	سنن أبي داود/ الترمذي	1140/2135	87
"كَيْفَ تِيكُمْ؟... فَأَقْبَلْتُ أنا وَأُمُّ مِسْطَحٍ..."	صحيح البخاري/ مسلم	2770/2518	198
"لا ومقلب القلوب"	صحيح البخاري	6956	117
"ما كان ينبغي لابن أبي قحافة..."	صحيح البخاري/ مسلم	421/6767	25
"ما من أحد يدخله...."	صحيح البخاري/ مسلم	2816/5349	220
"ما نقصت صدقة من مال..."	صحيح مسلم	2588	154
"ما يكون عندي من خير فلن أدَّخِره..."	صحيح البخاري	1400	174
"من سَرَّه أَن يُبْسَطَ له في رزقه..."	صحيح البخاري/ مسلم	2557/1961	32
"من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما..."	سنن أبي داود /النسائي/ الدارمي	/8890/2133 2206	88
"وعظنا رسول الله ﷺ يومًا..."	سنن الترمذي/ ابن ماجه/الدارمي	/43،42/2676 95	167
"... ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت"	سنن أبي داود/ ومسند أحمد بن حنبل	20027/2142	135

فهرس الأشعار

الأبيات الشعرية	الصفحة
وَسِعَ العالمينَ عِلمًا وحِلْمًا فهو بَحرٌ لمْ تُعيِّهِ الأَعْباءُ	150
جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيّهِ فَأَغْضَى وَأَخو الحِلْمِ دأبُهُ الإِغضاءُ	150
وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ	157
وَكُنْ صَاحِبًا للحِلْمِ في كُلِ مَشْهَدٍ فما الحِلْمُ إلا خَيرُ خِدْنٍ وَصَاحِبِ	98
فاحْرِصْ عَلى أَدَبٍ تَحْيا النُّفُوْسُ بِهِ فإنَّما قِيْمَةُ الإِنسانِ بالأَدَبِ	28
إذا نَطَقَ السَّفِيهُ فلا تُجِبْهُ فَخَيرٌ مِنْ إِجَابتِهِ السُّكُوتُ	97
فَإِنْ كَلَّمْتَه فَرَّجْتَ عَنْهُ وَإِنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ	97
وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً علَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ	112
فَضْلُ الْمُقِلِ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثِرٍ فِي الغِنَى سِيَانٌ فِي الجُوْدِ	165
لا يَعْدَمُ السائلونَ الخَيرَ مِنْ خُلُقي إمّا نَوالي وإمّا حُسْنُ مَردودي	177
أَلَا لَا فَتى بَعدَ ابن نَاشِرةٍ الفَتَى وَلَا خَيّرَ إِلّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا	130
سَأَلْتُكِ هَلْ للنَّاقِضِ العَهْدِ والذي يَخُوْنُ سِوى الإِعْراضِ والصَدِّ والهَجْرِ	68
وَكُنْتَ مَتى أرْسَلتَ طَرْفَك رَائدًا لِقَلبِكَ يَوْمًا أَتعبَتْكَ المَنَاظِرِ	139
تُشِيحُ إِذا يُثنى بخيرٍ لَدَيّهِمُ رُؤوسُهُم عَنّي وَمَا بِهم وَقْرُ	132
فقُلْتُ لَه: إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى فَذَرْنِي فَهَذَا كُلُهُ قَبْرُ مَالِكِ	78
وَهُنَّ يُصَرِّفْنَ النَّوَى بَيّنَ عَالِجٍ وَنَجّرانَ تَصْرِيفَ الأَدِيْبِ المذَلَّل	16
صُنِ النَّفسَ واحْمِلْهَا على ما يَزِيْنُها تَعِشْ سَالِمًا والقولُ فيكَ جَمِيْلُ	27
هَذِهِ تُكْسِبُ المَحَامِدَ والأَجْرَ وهذي تَجِيءُ بالآثَامِ	156
تَنَزَّه عَنْ مُجَالَسَةِ اللِّئَامِ وَأَلْمِمْ بِالكِرَامِ بَنِي الكِرَامِ	109
لَذَةُ العَفوِ إِنْ نَظَرْتَ بِعَيْنِ العَدْلِ أَشْفَى مِنْ لَذَةِ الانتِقَامِ	155
وبَالعَوْرَاءِ لَا تَنْطِقْ وَلَكِنْ بِمَا يُرْضِي الإِلَهُ مِنَ الكَلَامِ	109
وَلِلْكَفِ عَنْ شَتْمِ اللئيمِ تَكرُّمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ	148

160	إنّ مِنَ الحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عارِفُهُ والحِلْمُ عنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ	
150	وَكَلامٌ سَيّءٌ قَدْ وَقَرَتْ أُذُني عَنْه وَما بِي صَمَمُ	
98	أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فنَجْهَل فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا	
97	وَاصْبِرْ عَلَى ظُلْمِ السَفِيْهِ وَلِلزمَانِ عَلَى خُطُوْبِهِ	
97	وَدَع الجَوَابَ تَفَضُّلًا وَكِلِ الظَّلُوْمَ إِلَى حَسِيْبِهِ	
110	مَقَاْوِيْلٌ بِالمَعْرُوْفِ خُرْسٌ عَن الخَنَاْ كِرَاْمٌ مَعَاْطٍ لِلعَشِيْرَةِ سُوْلِهَا	

فهرس الأعلام

العَــلَم	الصفحة
أبيض بن حَمَّال المأربي	129
أَبَيُّ بن كَعْب بن قَيْس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي	141
ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد	20
الأعمش، أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي	153
الأقرع بن حابس بن عقال بن تميم	129
أكثم بن صيفي، ابن رياح(وقيل: رباح) بن الحارث بن مخاشن التميمي	149
ابن أم مكتوم، عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري	115
ابن أوس، أسيد التميمي	157
التميمي، متمم بن نويرة بن حمزة اليربوعي	82
الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق	84
جرير بن عبد الله البجلي اليماني	140
جعفر الصادق، ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	96
الجليلي: كان يكنى بأبي السموال، كناه أبو بكر بأبي مسلم	131
الحَرَّالي، أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الأندلسي	58
أبو حُزَابَة، الوليد بن حنيفة	130
الحسن البصري، ابن أبي الحسن يسار الأنصاري البصري	27
الخزاعي، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين	68
أبو الدرداء، عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري	160
الزَّجَّاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي	17
أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الأنصاري البصري النحوي	19
أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري	174
سعيد بن المسيب، ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو المخزومي	95

شبيب بن شيبة، ابن عبد الله بن عمرو بن الأهتم البصري الخطيب	149
صَعْصَعَةُ بن صُوْحَان، ابن حجر العبدي الكوفي	104
عباس بن مِرْدَاس، ابن أبي عامر السلمي	129
عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار ، يكنى بأبي موسى الأشعري	25
عرباض بن سارية السلمي، كنيته أبو نجيح	167
العُقيلي، مُزاحِم بن الحارث	16
أبو علي الجوزجاني، الحسن بن علي	66
الفضيل بن عياض، أبو علي التميمي اليربوعي المروزي	155
أبو قتادة الأنصاري ، الحارث، ويقال: عمرو أو النعمان بن ربْعي	205
كعب بن الأشرف، من طيئ	101
لوريل ج. دون	43
مالك، ابن نويرة بن حمزة اليربوعي التميمي	82
ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن المروزي	26
المُتَقِّبُ العَبْدي، عائذ بن محصن بن واثلة بن عدي بن عبد القيس	150
المُحارِبي، المُؤَمَّلُ بنُ أُمَيْل بن أُسيد المُحَارِبِي الكوفي	148
ابن مُحْرِز، أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي	23
محمد بن بشير	166
محمد بن يسير	166
مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي	136
ملوك غسان، من بني الأزد بن الغوث بن سبأ	204
ابن ناشرة، عبد الله من بني عامر بن مجاشع	130
هاريسون، راندل	124
ابن وابصة، سالم بن وَابِصة بن مَعْبَد الأَسَدي الرَّقي	160
ابن يسار، أبو محمد عطاء الهلالي المدني	160

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
الأَبْوَاءُ	131
سَبَأ	45
السُّلَاسِل	85
صفين	104
عالج	16
قُبَاء	139
قديد	167
اللِّوَى	78
مَأرِبٌ	129
المُرَيْسِيْع	197
نجران	16
وادي حنين	173
وَبَار	16

فهرس الغريب

المفردة الغريبة	الصفحة
أَبْطَرَتْهُ	55
الاتصال غير اللفظي	43
الاحتراس	172
أشْرَاكِهِ	92
انْثَالَتْ	55
أوْضَار	113
الأيِّم	89
البروتوكول	126
التَثْرِيْب	66
التَّقِيَّة	107
التَّثُّور	208
تِيْكُمْ	200
التِّلْم	127
الجَاسِي	194
جَمْزًا	26
حَجَفَة	142
الحَرِج	217
الحَيْنُ	139
الخِدْن	98
الخَنَا	110
الدبلوماسية	126
رَبْءٌ	109
الرَّسْل	131
الرِّعَةُ	98
الرَّفْرَفَة	201

الزَّبَرْجَد	142
سَبَكَ	30
السَخِيمَة	155
شَبب	101
الشَّفِيْفَة	201
الضَّرَاوَة	151
الطَّنَافِس	142
العِدُّ	129
عَزْلًا	16
علباء البعير	142
الفَرَق	131
قِدّ	142
القَنْطَرَة	142
الكَمَد	97
كِيْر	31
مُسْتَكْثِرٌ	87
مَعْلُوْب	142
المُنَاوَأَةُ	103
النسيب	101
النَّمِارِق	142
النَّوَى	16
الهجَار	133
وَقَرَت	150
الوَقْرُ	132

قائمة المصادر والمراجع

1 - **القرآن الكريم.**

2 - الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. ت: 1270هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** 30مج. بدون ط . بيروت: دار إحياء التراث العربي.

3 - أحمد الدكتور محمد الأمين موسى: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم.** 1مج. ط1 الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام. 1424هـ - 2003م.

4 - الأدنر وي أحمد بن محمد. ت: ق.11: **طبقات المفسرين.** 1مج. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. ط1. السعودية: مكتبة العلوم والحكم. 1417هـ - 1997م.

5 - الأزدي أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد .ت:412هـ: **طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات.** 1مج . تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1 .بيروت : دار الكتب العلمية .1419 -1998م.

6 - الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد. ت: 370هـ: **تهذيب اللغة.** 15 مج ت. تحقيق: محمد عوض مرعب ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1422هـ - 2001م.

7 - ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار. ت: 151هـ: **سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي).** 3مج. تحقيق: محمد حميد الله. بدون ط. مهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

8 - أبو أصبع الأستاذ الدكتور صالح خليل: **الاتصال الجماهيري.** ط1. عمان - الأردن: دار الشروق. 1420هـ - 1999م.

9 - الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي. 535هـ**: دلائل النبوة.**1مج. تحقيق: محمد محمد الحداد. ط1. الرياض: دار طيبة. 1409هـ - 1988م.

10 الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله. ت:430هـ**: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.** 10مج. ط4 . بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ -1984م.

11 -الأصفهاني، أبو الفرج. ت :356هـ: **ملحق الأغاني (أخبار أبو نواس).** 24مج. تحقيق: علي مهنا وسمير جابر. بدون ط . لبنان بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر.

12 -الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. ت: 502هـ: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء.** 2مج. تحقيق: عمر الطباع. بدون ط. بيروت: دار القلم. 1420هـ -1999م.

13 -الألباني، محمد ناصر الدين. ت: 1420هـ: **صحيح سنن أبي داود.** 3مج. اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش. بيروت - لبنان: مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض. توزيع: المكتب الإسلامي. 1409هـ 1989م.

14 ---------- : **صحيح سنن ابن ماجه**.2مج. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي. بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض. 1407هـ - 1986م.

15 -الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد النحوي.ت:577هـ: **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين.** 2مج. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بدون ط. دمشق: دار الفكر.

16 -الباجي أبو الوليد سليمان بن خلق. ت: 474هـ: **النصيحة الولدية/وصية أبي الوليد الباجي لولديه.** تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد. ط1. الرياض - السعودية: دار الوطن. 1417هـ - 1996م.

17 -البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. ت: 256هـ: **الجامع الصحيح المختصر**. 6مج: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3. بيروت - لبنان: دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ - 1987م.

18 -البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن. ت: 659هـ: **الحماسة البصرية.** 2مج. تحقيق: مختار الدين أحمد. بدون ط. بيروت: عالم الكتب.

19 -البصري أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي. ت:384هـ: **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة.** 2مج. تحقيق: مصطفى حسين عبد الهادي. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2004م.

20 ابغدادي أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي. ت: 281هـ: **الصمت وآداب اللسان**. 1مج. تحقيق: أبي إسحاق الحويني. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1410هـ - 1989م.

21 ابغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ت: 516هـ: **شرح السنة**. 16مج. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش. ط2. دمشق -بيروت: المكتب الإسلامي. 1403هـ - 1983م.

22 ---------- :**تفسير البغوي** الموسوم بـ**(معالم التنزيل)**. 4مج. تحقيق: خالد عبد الرحمن العك. بدون ط. بيروت: دار المعرفة.

23 ابقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. ت: 855ه : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 8مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بدون ط. بيروت: دار المكتبة العلمية. 1415هـ -1995م.

24 بكّار الأستاذ الدكتور عبد الكريم: **مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي**. ط1. دمشق - سوريا: دار التعلم. بيروت - لبنان: الدار الشامية. 1420هـ -1999م.

25 ابلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. ت:279هـ: **أنساب الأشراف**. 13مج. تحقيق:أ.د. سهيل زكار ود. رياض زركلي بإشراف: مكتب البحوث الإسلامية في دار الفكر. ط1. بيروت - لبنان: دار الفكر.1417هـ - 1996م.

26 ابوصيري، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصُّنْهاجي المصري.ت: 696هـ: **ديوان البوصيري**. 1مج. ط1. بيروت - لبنان: دار المعرفة. 1428هـ - 2007م.

27 ابوطي الدكتور محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**. 1مج. ط11. بيروت - لبنان، دمشق - سوريا: دار الفكر المعاصر، دار الفكر.1417هـ - 1996م.

28 -البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله. ت: 458هـ : **الزهد الكبير**. 1مج. تحقيق: عامر أحمد حيدر. ط3. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. 1417هـ - 1996م.

29 -أبو تمَّام ، حبيب بن أوس الطائي. ت: 231هـ: **ديوان الحماسة**.1مج. تحقيق: الدكتورعبد المنعم أحمد صالح. بدون ط. العراق: دار الرشيد للنشر. 1400هـ - 1980م.

30 -التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس. ت: 360هـ: **الإمتاع والمؤانسة**. 1مج. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2003م.

31 -ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني الدمشقي. ت:728هـ: **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**. 3مج تحقيق: د. محمد السيد الجليند. ط2. دمشق - سوريا: مؤسسة علوم القرآن. 1404هـ - 1983م .

32 ---------- : **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**. ط4. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي. 1392ه - 1972م.

33 ---------- : **الزهد والورع والعبادة**. 1مج. تحقيق: حماد سلامة محمد عويضة. ط1. الأردن: مكتبة المنار. 1407هـ -1986م.

34 ---------- : **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه**. 17مج. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. ط2. مكتبة ابن تيمية.

35 -الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. ت255هـ: **البيان والتبيين**. تحقيق: فوزي عطوي. 1مج. بدون ط. بيروت - لبنان: دار صعب.

36 ---------- : **كتاب تهذيب الأخلاق**. عني بنشره: محمد كرد علي. بدون طق - سوريا: مطبعة البطريركية الأرثوذكسية. 1342هـ - 1924م.

37 الجاسور، أ.د. ناظم عبد الواحد: **موسوعة علم السياسة**. 1مج. ط1.عمان الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .1425هـ - 2004م.

38 الجرجاني، علي بن محمد بن علي. ت:816هـ: **التعريفات**: 1مج: تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ - 1984م.

39 -جريشة، الدكتور علي محمد: **المشروعية الإسلامية العليا**. 1مج. ط1. مصر: مكتبة وهبة. 1396هـ - 1976م.

40 - ----------: **نحو نظرية للتربية الإسلامية**. ط1. مصر: مكتبة وهبة. 1406هـ - 1986م.

41 الجمحي محمد بن سلام. ت:231هـ: **طبقات فحول الشعراء**. 2مج. تحقيق: محمود محمد شاكر. بدون ط. جدة: دار المدني.

42 الجمل الشيخ سليمان. ت: 1204ه :**حاشية الجمل على الجلالين**. 4مج. بدون ط. المكتبة الإسلامية.

43 ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ت: 597هـ: **التبصرة**. 1مج. تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد. ط1. مصر ، لبنان: دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني. 1390هـ - 1970م.

44 ---- ----- : **زاد المسير في علم التفسير**. 9مج. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ - 1983م.

45 --------- : **صفة الصفوة**. 4مج. تحقيق: محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي. ط2. بيروت: دار المعرفة. 1399هـ - 1979م.

46 ---- ----- : **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. 16مج. ط1. بيروت: دار صادر. 1358هـ -1939م.

47 ---- ------- : **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. 1مج تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط1. بيروت - لبنان: 1404هـ - 1984م.

48 -الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. ت: 478هـ: **البرهان في أصول الفقه**. 2مج. تحقيق: د.عبد العظيم محمود الديب. ط4. المنصورة - مصر: الوفاء. 1418هـ - 1997م.

49 -ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. ت: 327هـ: **تفسير القرآن**. 10مج. تحقيق: أسعد محمد الطيب. صيدا - لبنان: المكتبة العصرية.

50 -ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي. ت: 737هـ: **المدخل**. 4مج. بدون ط. بدون بلد النشر: دار الفكر. 1401هـ 1981م.

51 -الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. ت: 405هـ: **المستدرك على الصحيحين**. 4مج. تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1990م.

52 -ابن حبان، أبو حاتم محمد التميمي البستيّ. ت: 354هـ: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. 9مج. ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. ت: 739هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1414هـ - 1993م.

53 ---------- : **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**. 1مج. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1397هـ -1977م

54 -ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. ت: 852هـ: **الإصابة في تمييز الصحابة**. 8مج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ - 1992م.

55 ----------: **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**. 1مج.تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي.

56 ---------- **تقريب التهذيب**. 1مج: تحقيق: محمد عوامة. ط1. سوريا: دار الرشيد. 1406هـ - 1986م.

57 ----------: **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**. 4مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.1419هـ - 1998م.

58----------: **تهذيب التهذيب**. 14مج . ط1.بيروت: دار الفكر. 1404هـ-1984م.

59 ----------: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 13مج. تحقيق: محب الدين الخطيب. بدون ط. بيروت: دار المعرفة.

60 ابن حرب أبو خيثمة زهير النسائي. ت: 234هـ: **العلم**. 1مج. تحقيق: محمد ناصر الألباني. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1403هـ -1983م.

61 حرب الشيخ عبد الجليل عيسى. ت:1401هـ: **تيسير التفسير**. 1مج. ط1 . 1377هـ - 1958م .

62 ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الظاهري. ت: 456هـ: **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1399هـ -1979م.

63 حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي الأنصاري. ت: 54هـ: **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**. 1مج. ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الأندلس للطباعة والنشر. 1386هـ - 1966م.

64 الحكمي حافظ بن أحمد. ت:1377هـ: **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**. 3مج. تحقيق: عمر بن محمود عمر. ط1. الدمام - السعودية: دار ابن القيم. 1410هـ -1990م.

65 الحلبي علي بن برهان الدين. ت: 1044هـ: **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**. 3مج. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. 1400هـ - 1980م.

66 -الحمادي الدكتور علي: **أمسك عليك هذا (مقدمات وعشر قواعد في فنون التعامل مع الآخرين)**. ط2 بيروت - لبنان: دار ابن حزم. 1418هـ -1998م.

67 -الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. ت: 626هـ: **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. 5مج. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ -1991م.

68 ---- ------- : **معجم البلدان**. 5مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر.

69 -ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي. ت: 241هـ: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. 6مج. بدون ط. مصر: مؤسسة قرطبة.

70---------- : **مسند الإمام أحمد**. 50 مج. تحقيق: شعيب الارناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1422هـ 2001م.(نسخة محققة، استخدمها الباحث في موقع واحد في الرسالة).

71 -حَوَّى سعيد محمد ديب محمود النعيمي. ت: 1409هـ: **أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري**. ط1. دار الأرقم. 1403هـ -1983م.

72 -أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي. ت:745هـ: **البحر المحيط**. 9مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور زكريا عبد المجيد النوقي والدكتور أحمد النجولي الجمل. ط1. لبنان بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ - 2001م.

73 -الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي. ت: 725هـ: **لباب التأويل في معاني التنزيل**. 7مج. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1399هـ - 1979م.

74 -الخالديان أبو عثمان سعيد بن هاشم. ت:371هـ. وأبو بكر محمد بن هاشم ت:380هـ: **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين**. بدون ط. الكتاب في الجامع الكبير. الإصدار الرابع.

75 -الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**. ط2. عمان - الأردن: دار النفائس. 1428هـ - 2008م.

76 -الخالدي، الدكتور محسن سميح: **الهوى: دراسة موضوعية للمصطلح القرآني**. مجلة دراسات. الجامعة الأردنية. المجلد 37. علوم الشريعة والقانون. العدد 2. 1431هـ -2010م.

77 ----------:**هوى النفس دراسة قرآنية موضوعية**. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). المجلد. 24. (4). 1431هـ - 2010م.

78 -الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم البستي. ت: 388هـ: **العزلة**. 1مج. ط2. القاهرة: المطبعة السلفية. 1399هـ - 1979م.

79 -الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي .ت: 463هـ : **تاريخ بغداد**. 14مج. بدون ط. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.

80 -الخطيب القزويني، أبو عبد الله محمد بن سعد الدين. ت: 937هـ: **الإيضاح في علوم البلاغة**. 1مج: تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.ط4. بيروت: دار إحياء العلوم. 1419هـ - 1998م.

81 -ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. ت: 681هـ: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. 8مج. تحقيق: إحسان عباس. بدون ط. لبنان: دار الثقافة.

82 -أبو خليل، الدكتور شوقي: **أطلس القرآن**. 1مج. ط 2. دمشق - سوريا: دار الفكر. 1423هـ - 2003م.

83 -ابن خياط، أبو عمر خليفة الليثي العصفري. ت: 240هـ: **الطبقات**. 1مج. تحقيق : د. أكرم ضياء العمري. الرياض: دار الطيبة. 1402هـ - 1982م.

84 -الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. ت: 255هـ: **سنن الدارمي**. 2مج. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ - 1987م.

85 -الدامغاني أبو عبد الله الحسين بن محمد ت:478هـ: **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**. 1مج. تحقيق: عربي عبد الحميد علي. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2003م.

86 -أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني. ت: 275هـ:

سنن أبي داود. 4مج. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بدون ط. دار الفكر.

87 داود، الدكتور محمد محمد : **معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم.** بدون ط. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. 1429هـ 2008م.

88 -الدجوي محمد سعيد: **فتح الخلَّاق في مكارم الأخلاق**: تحقيق: عبد الرحيم ماردیني. ط2. دمشق - سوريا: دار المحبة. 1418هـ - 1997م.

89 -الدينوري أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي. ت: 333هـ: **المجالسة وجواهر العلم.** 1مج. ط1. لبنان بيروت: دار ابن حزم. 1423هـ - 2002م.

90 -الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. ت:748هـ: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** 52مج. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. ط1. لبنان - بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ - 1987م.

91---------- : **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة.** 2مج. تحقيق: محمد عوامة.ط1.جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو. 1413هـ-1992م.

92 ---------- : **تذكرة الحفاظ.** 4مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

93 ---------- : **المقتنى في سرد الكُنى.** 2مج. تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد. ط1. المدينة المنورة - السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة. 1408هـ - 1987م.

94 -الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. ت: 721هـ: **مختار الصحاح.** 1مج. . طبعة جديدة. تحقيق: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1415هـ - 1995م.

95 -الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. ت:502هـ: **المفردات في غريب القران.** 1مج. راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن. بدون ط . مصر: المكتبة التوفيقية.

96 -الرّصافي معروف. ت: 1875هـ: **ديوان الرّصافي.**1مج. ط6. بيروت، بغداد: دار مكتبة الحياة، محمود حلمي.

97 رضا محمد رشيد علي. ت: 1354هـ: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار).** 12مج. ط4. مصر: دار المنار. 1373هـ 1954م.

98 الرُّمَّاني، والخَطَّابي، والجرجاني، أبو الحسن علي بن عيسى. ت: 386هـ، وأبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي.ت: 388هـ، وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن.ت: 471هـ: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.** 1مج. تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ودكتور محمد زغلول سلام. ط2. مصر: دار المعارف.1387هـ - 1968م.

99 الزبيدي محمد مرتضى الحسيني. ت:1205هـ: **تاج العروس من جواهر القاموس.**40مج . تحقيق: مجموعة من المحققين. بدون ط. دار الهداية.

100 -الزركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله. ت:794هـ: **البرهان في علوم القرآن.** 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بدون ط. بيروت: دار المعرفة. 1391هـ - 1971م.

101 الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ت:538هـ: **أساس البلاغة.** 1مج. بدون ط. دار الفكر. 1399هـ - 1979م.

102 ---------- : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.** 4مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

103 ابن زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت:399هـ: **تفسير القرآن العزيز.** 5 مج. تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز. بدون ط. مصر - القاهرة: الفاروق الحديثة. 1423هـ - 2002م.

104 زيتون، الدكتور وضَّاح: **المعجم السياسي.** 1مج. ط1. الأردن - عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. 1427هـ - 2006م.

105 -زيدان الدكتور عبد الكريم زيدان بهيج العاني: **أصول الدعوة.** 1مج. ط6. بغداد - العراق: مكتبة القدس، المنصورة - مصر: دار الوفاء.1413هـ - 1992م.

106 -الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي. ت: 762هـ: **نصب الراية لأحاديث الهداية**. 4مج. ط3. بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1407هـ - 1987م.

107 -السامرائي، الدكتور فاضل صالح: **التعبير القرآني**. 1مج. ط5. عمان - الأردن: دار عمار .1428هـ - 2007م.

108 - السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، ت330هـ: **غريب القرآن**. 1مج: تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. بدون ط. دار قتيبة. 1416هـ -1995 م.

109 -السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان. ت: 248هـ: **المعمرون والوصايا**.1مج. تحقيق: عبد المنعم عامر. بدون ط. مصر: دار إحياء الكتب العربية. 1381هـ - 1961م.

110 -السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد. ت: 902هـ: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**. 20مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414هـ - 1993م.

111 -ابن السري هناد الكوفي. ت: 243هـ: **الزهد**. 2مج. تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفربوائي. ط1. الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. 1406هـ - 1985م.

112 -السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ت: 1376هـ: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 1مج. تحقيق: ابن عثيمين. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1421هـ - 2000م.

113 -السعدي أبوالقاسم علي بن جعفر. ت:515هـ. **الأفعال**. 3مج. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1403هـ - 1983م.

114 -أبو السعود محمد بن محمد العمادي. ت: 951هـ: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. 9مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

115 -سلام الدكتور سيِّد أحمد جمعة: **المنهج القرآني في مجادلة أهل الكتاب**. 1مج. ط1. المنصورة مصر: مكتبة الإيمان. 1428هـ -2007م.

116 -السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي. ت :412 هـ: **تفسير السلمي** الموسوم بـ **(حقائق التفسير)**. 2مج. تحقيق: سيد عمران. ط1. لبنان بيروت: دار الكتب العلمية.1421 هـ -2001 م.

117 -السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. ت: 367هـ: **تفسير السمرقندي** الموسوم بـ **(بحر العلوم)**. 3مج. تحقيق: د. محمود مطرجي. بدون ط. بيروت: دار الفكر.

118 -السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. ت: 562هـ: **الأنساب**. 5مج. تحقيق: عبد الله عمر البارودي. ط1. بيروت: دار الفكر. 1419هـ - 1998م.

119 -السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. ت:489هـ: **تفسير السمعاني**. 6مج. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. السعودية: دار الوطن - الرياض. 1418هـ - 1997م.

120 ---------- : **المخصص**. 5مج. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1417هـ - 1996م.

121 -السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. ت: 911هـ: **الإتقان في علوم القرآن**. 2 مج. تحقيق: سعيد المندوب. ط1. لبنان: دار الفكر. 1416هـ - 1996م.

122 ---------- : **طبقات المفسرين**. 1مج. تحقيق: علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة. 1396هـ - 1976م.

123 ---------- **: لباب النقول في أسباب النزول**. 1مج. بدون ط . بيروت -لبنان: دار إحياء العلوم.

124 ---------- : **معجم مقاليد العلوم**. 1مج. تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم عبادة. ط1. القاهرة - مصر: مكتبة الآداب. 1424هـ - 2004م.

125 ---------- : **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. 3مج. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بدون ط. مصر: المكتبة التوفيقية.

126 الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس. ت204هـ: **ديوان الإمام الشافعي**. جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الجيل. مؤسسة الزعبي.

127 شحاتة والنجار الأستاذ الدكتور حسن والأستاذة الدكتورة زينب: **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**. 1مج. مراجعة: الأستاذ الدكتور حامد عمان. ط1. القاهرة - مصر: الدار المصرية اللبنانية. 1424هـ - 2003م.

128 الشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي. ت:1393هـ: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**.9مج. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بدون ط. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1415هـ - 1995م.

129 الشوكاني محمد بن علي بن محمد. ت:1250هـ: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**. 5مج. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر.

130 الشيباني: عبد الله بن أحمد بن حنبل. ت: 290هـ: **السنة**. 2مج. تحقيق: د.محمد سعيد سالم القحطاني. ط1. الدمام: دار ابن القيم. 1406هـ - 1985م.

131 الصاوي الشيخ أحمد المالكي. ت: 1240هـ: **الصاوي على الجلالين**. 2مج. بدون ط. مكتبة الرشاد.

132 الضبي المفضل بن محمد بن يعلى. ت: 178هـ: **المفضليات**. 1مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. بدون ط. بيروت.

133 -ابن أبي طالب علي. ت: 40هـ: **ديوان الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ. 1مج. شرح: الدكتور يوسف فَرَحات. ط5. بيروت لبنان: دار المعرفة. 1429هـ - 2008م.

134 أبو طالب المكي محمد بن علي عطية الحارثي. ت:286هـ: **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**. 2مج. تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي. ط2. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1426هـ - 2005م.

135 -الطالقاني أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس. ت: 385هـ: **المحيط في اللغة**.11مج. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين. ط1. بيروت -لبنان: عالم الكتب. 1414هـ - 1994م.

136 -الطَبَرسي أبو علي الفضل بن الحسن. ت:538هـ: **مجمع البيان في تفسير القرآن**. 6مج. بدون ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1380هـ - 1961م.

137 -الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد. ت: 310هـ: **تاريخ الطبري**. 5مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

138 ----------: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 30مج. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1984م - 1405هـ.

139 -ابن عادل أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. ت:880هـ. **اللباب في علوم الكتاب**. 20مج. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ - 1998م.

140 -ابن عاشور محمد الطاهر. ت:1284هـ: **التحرير والتنوير**. 30مج. بدون ط. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. 1418هـ - 1997م.

141 -عباس، الدكتور فضل حسن. ت: 1432هـ: **البلاغة فنونها وأفنانها**. 1مج. ط2. عمان - الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1409هـ -1989م.

142 -عبد الباقي محمد فؤاد. ت: 1388هـ: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. 1مج. ط2. بيروت -لبنان: دار الفكر. 1412هـ - 1992م.

143 -ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. ت: 463هـ: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. 448مج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ -1991م.

144 ---------- : **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**. 12مج. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. بدون ط. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1387هـ - 1967م.

145 ---------- : **جامع بيان العلم وفضله**. 1مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. 1398هـ - 1978م.

146 ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. ت: 328هـ: **تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين**. 1مج. تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم. بدون ط. مصر: مكتبة القرآن.

147 ابن العبد، طَرَفَة البكري. ت: حوالي: 51 ق.هـ= 569م: **ديوان طَرَفَة بن العبد**. 1مج. جَمع: الأَعْلَم الشَّنْتَمَريّ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى. ت: 476هـ. تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصّقال. بدون ط. دمشق - سوريا: مجمع اللغة العربية.1395 هـ - 1975م.

148 عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل: **معجم المصطلحات السياسية والاستراتيجية**.1مج. ط1.القاهرة مصر: العربي للنشر والتوزيع. 1429هـ - 2008م.

149 -عبد الله الدكتور عودة عبد عودة: **أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضَوْء القرآن الكريم**. 1مج. ط1. عمان الأردن: دار النفائس. 1425هـ 2005م.

150 ابن عبد الوهاب، محمد. ت: 1206هـ: **رسالة في الرد على الرافضة**.1 مج. تحقيق: الدكتور ناصر بن سعد الرشيد. ط1. الرياض: مطابع الرياض.

151 ----------: **مختصر السيرة**. 1مج. تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي الدكتور محمد بلتاجي والدكتور سيد حجاب. ط1. الرياض: مطابع الرياض.

152 ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبد الله. ت: 543هـ: **أحكام القرآن**. 4مج. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بدون ط . بيروت: دار الفكر.

153 ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله. ت: 571هـ: **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**. 80مج.

دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العَمْروي. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1415هـ - 1995م.

154 -العسكري الشيخ الأديب أبو هلال. ت: 382هـ: **جمهرة الأمثال**. 2مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. 1408هـ -1988م.

155 -ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. 5مج. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.1413هـ - 1993م.

156 -العظيم آبادي، محمد شمس الحق. ت: 1329هـ: **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. 7مج. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1416هـ - 1995م.

157 -العلي إبراهيم محمد. ت:1425هـ: **صور من أدب السلوك الاجتماعي في الإسلام**. بدون ط. عمان -الأردن: دار النفائس للنشر.

158 -عودة عبد القادر. ت: 1373هـ: **التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي**. 2مج. بدون ط. بيروت: دار الكاتب العربي.

159 -العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. ت: 855هـ: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**.12مج. بدون ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

160 -الغزالي أبو حامد محمد بن محمد. ت: 505هـ: **إحياء علوم الدين**. 4مج. بدون ط. بيروت: دار المعرفة.

161 ---------- : **المستصفى في علم الأصول** 1مج. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافعي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ - 1992م.

162 ---------- : **المنخول في تعليقات الأصول**. 1مج. تحقيق: د. محمد حسن هيتو. ط2. دمشق: دار الفكر.1400هـ - 1980م.

163 -الغَزّي أبو البركات محمد بن محمد بن محمد. ت:984هـ:**آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة.** بدون ط. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي. الإصدار الرابع. 1428هـ - 1429هـ/2007م 2008م.

164 -ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا ت:395هـ: **معجم مقاييس اللغة.** 6 مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط2. بيروت -لبنان: دار الجبل. 1420هـ - 1999م.

165 -الفراهيدي الخليل بن أحمد ت:175هـ: **كتاب العين.**8 مج. تحقيق د.مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي. بدون ط. دار ومكتبة الهلال.

166 -الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. ت:817هـ: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** 6مج. تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار. بدون ط. بيروت - لبنان: المكتبة العلمية.

167 ---- ------ : **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.** 1مج. تحقيق: محمد المصري. ط1. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي.1407هـ - 1986م.

168 ---- ------ : **القاموس المحيط.** 1مج. بدون ط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

169 -الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري. ت:770هـ: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.** 1مج. بدون ط. بيروت: المكتبة العلمية دار الكتب العلمية.

170 -القارئ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج. ت: 500هـ: **مصارع العشاق.** 1مج. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل أحمد رشدي شحاتة. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ - 1998م.

171 -القاري علي بن سلطان محمد. ت: 1014هـ: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.** 11مج. تحقيق: جمال عيتاني. ط1. لبنان بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ - 2001م.

172 -القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليَحْصبي. ت:544هـ**: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ. 1مج. قدَّم له وخرَّج أحاديثه: كمال بسيوني زغلول المصري. ط1. بيروت -لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية. 1416هـ - 1995م.

173 ---------- : **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**. 2مج. بدون ط. المكتبة العتيقة ودار التراث.

174 -ابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد. ت: 620هـ: **كتاب التوابين**.1مج. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1403هـ -1982م.

175 --------- : **الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل**. 4مج. بدون ط. بيروت - لبنان: المكتب الإسلامي.

176 --------- : **المغني**. 12مج.ط1. بيروت: دار الفكر. 1405هـ - 1984م.

177 -القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. ت:684ه : **الذخيرة**.14مج. تحقيق: محمد حجي. بدون ط. بيروت: دار المغرب. 1415هـ - 1994م.

178 -القرشي أبو زيد محمد بن أبي الخطاب. ت:170هـ: **جمهرة أشعار العرب**. 1مج. تحقيق: عمر فاروق الطباع. بدون ط. بيروت: دار الأرقم.

179 -القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ت: 671هـ: **الجامع لأحكام القرآن**. 20مج. بدون ط. القاهرة: دار الشعب.

180 -القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري. ت: 465هـ: **الرسالة القشيرية**. 1مج. تحقيق: خليل المنصور. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1422هـ -2001م.

181 ---------- :-**تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات**. 3مج. تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1420هـ - 2000م.

182 -قطب سيد إبراهيم. ت: 1387هـ: **في ظلال القرآن**. 6مج. ط17. بيروت القاهرة: دار الشروق. 1412هـ -1992م.

183 قطب محمد إبراهيم: **جاهلية القرن العشرين**. بدون ط . القاهرة بيروت: دار الشروق. 1408هـ - 1988م.

184 القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري. ت:453هـ: **زهر الآداب وثمر الألباب**. 2مج. تحقيق: أ.د. يوسف علي طويل. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1417هـ -1997م.

185 -ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ت:751هـ: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. 4مج. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بدون ط. بيروت: دار الجبل. 1393هـ - 1973م.

186 ---------- : **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**. 1مج. تحقيق: شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط. ط2. الكويت: دار العروبة. 1407هـ -1987م.

187 --- ------ : **الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه**. 1مج. تحقيق: الدكتور محمد جميل غازي. بدون ط. جدة - السعودية: مكتبة المدني.

188 --- ------ : **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. 1مج. بدون ط. بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ -1992م.

189 ---------- : **زاد المعاد في هدي خير العباد**. 5مج. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط14. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية. 1407هـ - 1986م.

190 ---------- : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. 3مج. راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. بدون ط. القاهرة: دار الحديث.

191 --- ------ : **الوابل الصيب من الكلم الطيب**. 1مج. تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي. 1405هـ 1985م.

192 -الكتبي محمد بن شاكر أحمد. ت: 764هـ: **فوات الوفيات**. 2مج. تحقيق: علي محمد بن يعوض الله عادل أحمد بن الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ -2000م.

193 -ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي. ت:774هـ: **تفسير القرآن العظيم**. 4مج. بدون ط. بيروت: دار الفكر. 1401هـ - 1981م.

194---------- : **المختصر في أخبار البشر**. 2مج. بيروت - لبنان: دار المعرفة.

195 -الكرمي حسن سعيد. ت: 1428هـ: **الهادي إلى لغة العرب**. 4 مج. ط1. بيروت - لبنان: دار لبنان للطباعة والنشر. 1412هـ -1992م.

196 -الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. ت:1094هـ: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. 1مج: تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. بدون ط بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ -1998م.

197 -كلثوم، عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي.ت: 52 ق.هـ - 570م: **ديوان عمرو بن كلثوم**. ط1. بيروت - لبنان. دار صادر. 1417هـ - 1996م.

198 -الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي. ت:741هـ: **التسهيل لعلوم التنزيل**. 4مج. ط4. لبنان: دار الكتاب العربي. 1403هـ - 1983م.

199 -ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت: 275هـ: **سنن ابن ماجة**. 2مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

200 -ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر. ت: 475هـ: **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. 7مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1990م.

201 -الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. ت:450هـ: **أدب الدنيا والدين**. 1مج. تحقيق وتعليق: مصطفى السَّقا. ط4. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1398هـ - 1978م.

202 ---------- : **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**.6مج. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

203 المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. ت:1353هـ: **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. 10مج. بدون ط.بيروت: دار الكتب العلمية.

204 مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي. ت:104هـ: **تفسير مجاهد**.2مج. تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي. بدون ط. بيروت: المنشورات العلمية.

205 المحاسبي، أبو عبد الله حارث بن أسد. ت:243هـ: **آداب النفوس**. 1مج. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. بدون ط. بيروت - لبنان: دار الجيل. 1405هـ -1984م.

206 المدائني أبو حامد عز الدين هبة الله بن محمد. ت: 655هـ: **شرح نهج البلاغة**. 11مج. تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1418هـ - 1998م.

207 المراغي أحمد مصطفى. ت:1371هـ: **تفسير المراغي**. 10مج. ط3. بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1394هـ -1974م.

208 المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج. ت: 742هـ: **تهذيب الكمال**. 35مج. تحقيق: د.بشار عواد معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1400هـ - 1980م.

209 ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. ت: 421هـ: **تهذيب الأخلاق**. 1مج. ط1. بيروت لبنان: دار الكتب العلمية. 1401هـ -1981م.

210 مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت:261هـ: **صحيح مسلم**.5مج . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بدون ط . بيروت: دار إحياء التراث العربي.

211 مسلم الأستاذ الدكتور مصطفى: **مباحث في التفسير الموضوعي**. ط5. دمشق سوريا: دار القلم. 1428هـ 2007م.

212 المطرزي أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي. ت:610هـ **: المغرب في ترتيب المعرب**. 2مج. بدون ط. المرجع في: الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي. الإصدار الرابع.

213 المغربي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن.ت: 954هـ.: **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**. 6مج. ط2. بيروت: دار الفكر. 1398هـ - 1978م.

214 ابن الملقن سراج الدين أبا حفص عمرو بن أبي الحسن النحوي الأنصاري الشافعي. ت: 804هـ: **تفسير غريب القرآن**. 1مج. تحقيق: سمير طه المجذوب. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1408هـ -1987م.

215 المِلْيَانِي موسى بن محمد الأحمدي.ت: 1420هـ: **معجم الأفعال المتعدية بحرف**: 1مج. ط1. 1397هـ -1977م.

216 المناوي، محمد عبد الرءوف: ت: 1031هـ: **التوقيف على مهمات التعاريف**. 1مج. تحقيق: د.محمد رضوان الداية. ط1. بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر دار الفكر. 1410هـ -1980م.

217 ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. ت:711هـ: **لسان العرب**.15مج. ط1 بيروت: دار صادر.

218 موسى، الدكتور محمد السيد: **الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم دراسة وتطبيق**. 1مج. ط1. المنصورة - مصر: مكتبة الإيمان. 1427هـ - 2006م.

219 الميداني، الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. 2مج. دمشق - سوريا: دار القلم.1420هـ - 1999م.

220 ابن نجيم، زين الدين الحنفي. ت: 970هـ: **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**. 8مج. ط2. بيروت: دار المعرفة.

221 -النَّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. ت :338 هـ: **معاني القرآن الكريم**.6مج. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.1409هـ - 1988م.

222 -النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. ت:303هـ: **السنن الكبرى**. 6مج. تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي حسن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ - 1991م.

223 -النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. ت: 710هـ: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. 2مج. ضبطه وخَرَّج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1415هـ - 1995م.

224 -النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري. ت: 676هـ: **تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)**. 1مج. تحقيق: عبد الغني الدقر. ط1. دمشق: دار القلم: 1408هـ - 1987م.

225 --- -------- : **صحيح مسلم بشرح النووي**. 9مج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ - 1972م.

226 -النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. ت: 733هـ: **نهاية الأرب في فنون الأدب**. 15مج. تحقيق: مفيد قمحية وجماعة. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2004م.

227 -الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد. ت:815هـ: **التبيان في تفسير غريب القرآن**. 1مج. تحقيق: فتحي أنور الدابلوي. ط1. مصر: دار الصحابة للتراث بطنطا.1412هـ - 1992م.

228 -هنداوي الدكتور عبد الحميد أحمد: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**. 1مج. ط1. عمان. إربد - الأردن: جدارا للكتاب العالمي عالم الكتب الحديث. 1429هـ - 2008م.

229 -ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. ت: 213هـ: **السيرة النبوية.** 3مج. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. ط1. بيروت: دار الجيل. 1411هـ - 1990م.

230 -الهيتمي ابن حجر. ت: 973هـ: **الزواجر عن اقتراف الكبائر.** 2مج. تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. ط2. لبنان/صيدا - بيروت: المكتبة العصرية. 1420هـ -1999م.

231 -الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. ت: 468هـ: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** 2مج. تحقيق: صفوان عدنان داودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1415هـ - 1994م.

232 -الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد. ت: 207 هـ: **كتاب المغازي** .2مج. تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا. ط1. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424هـ - 2004م.

233 -الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى.ت:325هـ: **الموشى أو الظرف والظرفاء.** 1مج. تحقيق: كمال مصطفى. ط2. مصر: مكتبة الخانجي. 1372هـ - 1953م.

234 -الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين الكتبي.ت: 718هـ: **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة.** 1مج. بدون ط. بيروت: دار صعب.

235 -الورَّاق، أبو الحسن محمد بن عبد الله. ت:325هـ: **علل النحو.** 1مج. تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. ط1. الرياض -السعودية: مكتبة الرشد.1420هـ- 1999م.

236 -اليماني، نشوان بن سعيد الحميري. ت:573هـ: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.**12مج. تحقيق: أ.د. حسين بن عبد الله العربي أ. مطهر بن علي الإرياني د. يوسف محمد عبد الله. ط1. بيروت: دار الفكر. 1420هـ -1999م.

237 -اليمني الحسين بن منصور بالله القاسم بن محمد بن علي. ت: 1050هـ: **آداب العلماء والمتعلمين.** بدون ط. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي. الإصدار الرابع. 1428هـ - 1429هـ/2007م 2008م.

238 اليمني صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري. ت: 923هـ: **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. 1مج. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط5. حلب/بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر. 1416هـ - 1995م.

239 موقع: **الدرجات العلمية عبر الانترنت**.

. http://www.onlinedegrees.org/calculator/degrees/communications

240 صفحة غلاف كتاب: **مقدمة في الاتصال غير اللفظي لهاريسون**.(مُتَرْجَم).

http://translate.googleusercontent.com/translate_c?hl=ar&langpair=en

241 النابلسي، محمد راتب: **موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية**. http://www.nabulsi.com/green/ar/print.php?art=2296

الملاحق

تضم مجموعة من الخرائط التي يظهر فيها عدد من الأماكن التي ورد ذكرها في الرسالة أو دارت فوقها أحداث تم بحثها في الرسالة

.

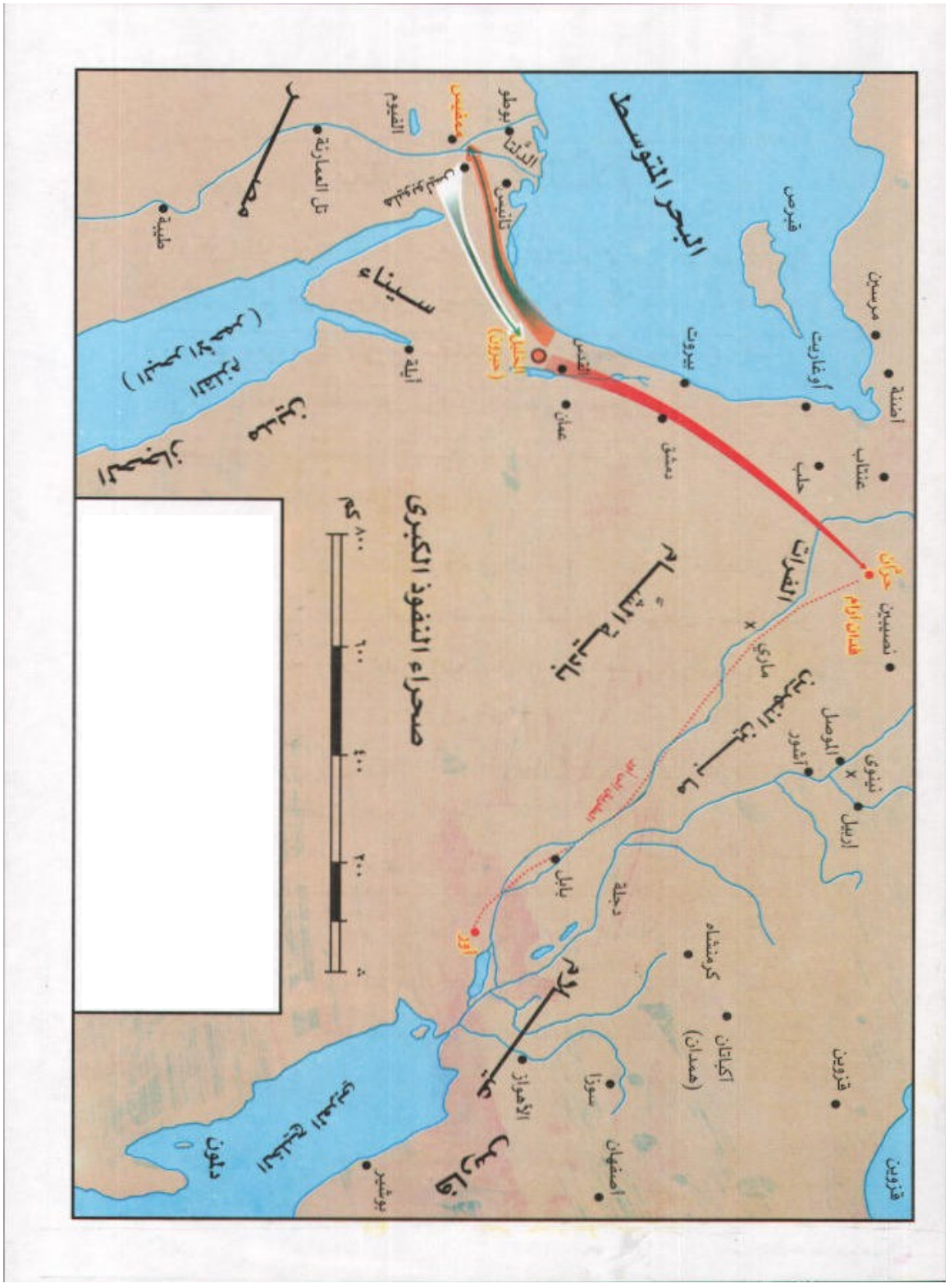

أبو خليل، الدكتور شوقي: **أطلس القرآن**. 1مج. ط 2. دمشق- سوريا: دار الفكر. 1423هـ-2003م (ص: 63).

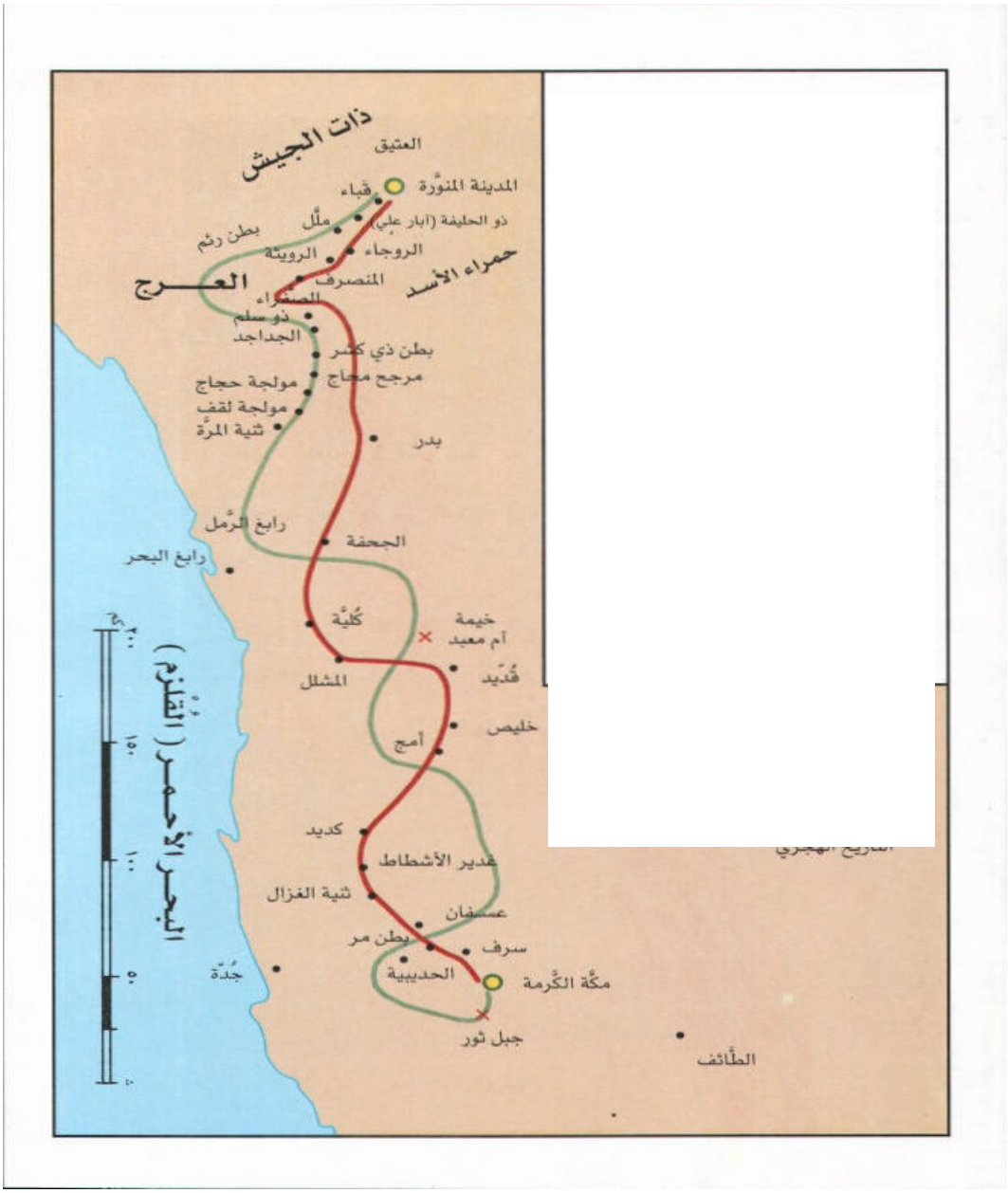

أبو خليل: **أطلس القرآن**. (ص: 190).

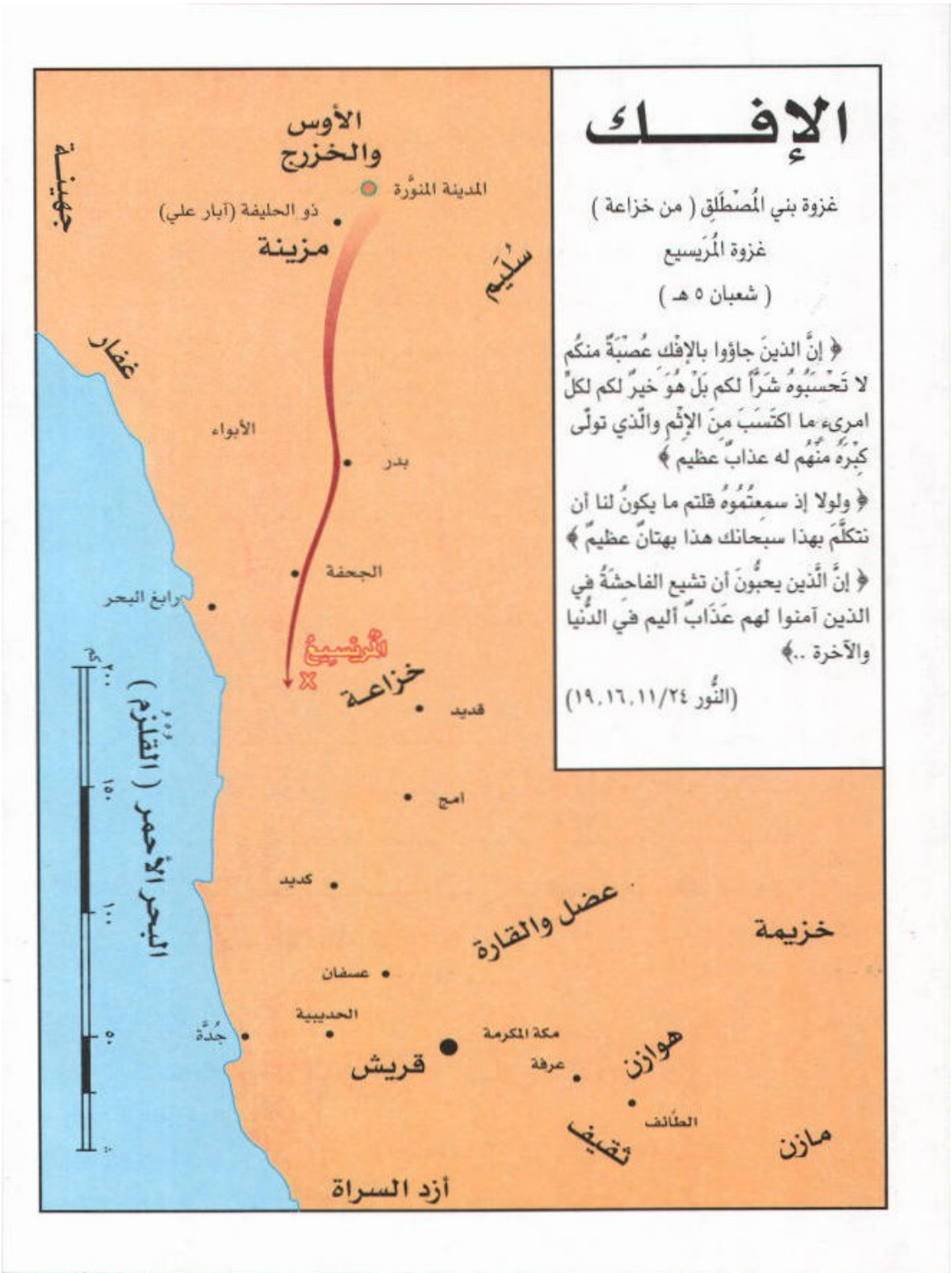

أبو خليل: **أطلس القرآن**. (ص: 34).

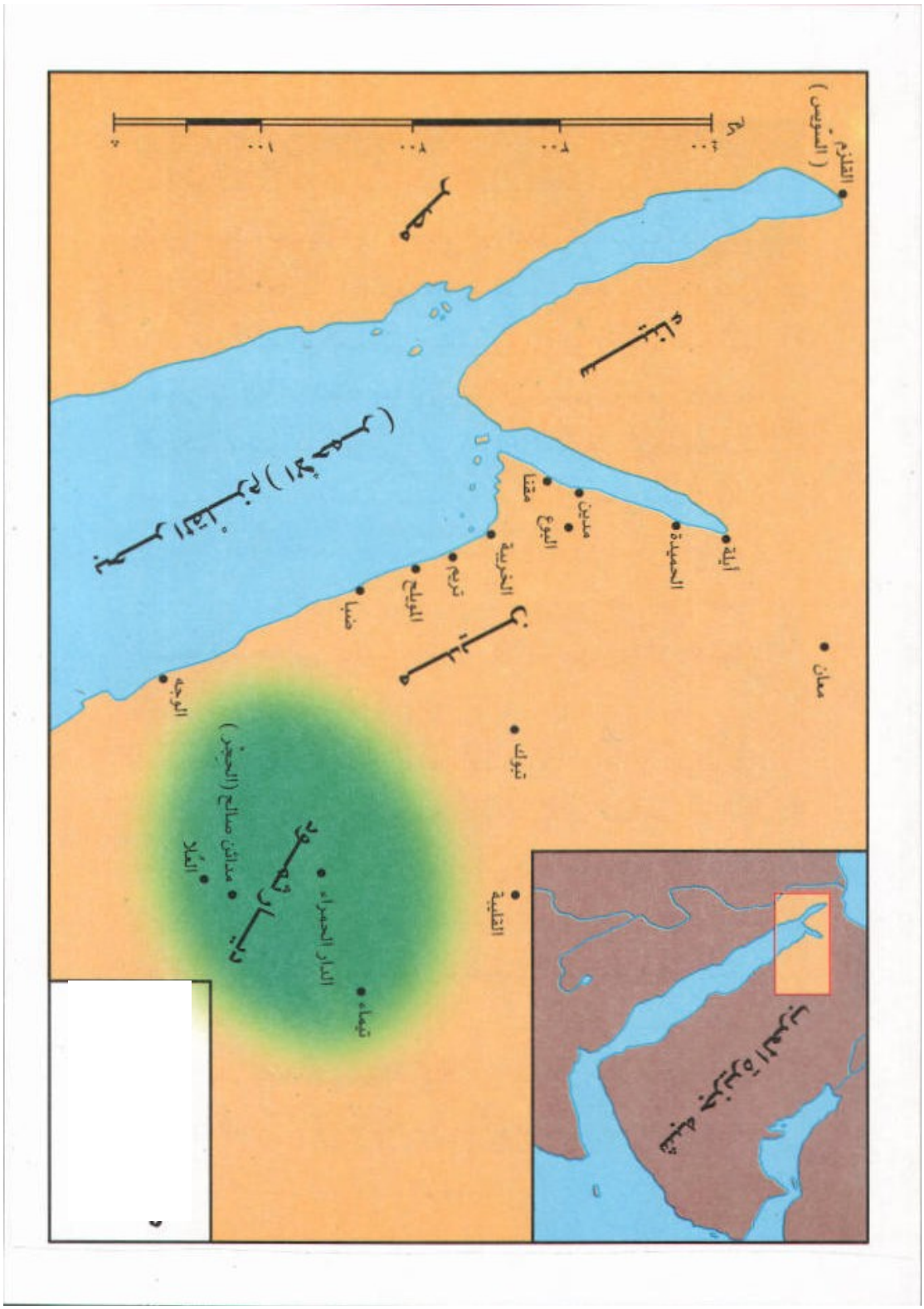

أبو خليل: **أطلس القرآن**. (ص: 34).

An - Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Virtue of Avoidance in the Holy Quran

By

Wa'el Khalil Abdel Aziz Abu Arqoub

Supervisor

Dr. Muhsen Sameeh Al-Khaldi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University , Nablus , Palestine .

2012

Virtue of Avoidance in the Holy Quran

Prepared by
Wa'el Khalil Abdel Aziz Abu Arqoub
Supervised by
Dr. Muhsen Sameeh Al-Khaldi

Abstract

This study addresses the issue of the virtue of Avoidance (I'rad) in the Holy Quran. The researcher depended on a collection of research methodologies such as the inductive, analytic, deductive and applied approaches.

The study deals mainly with the virtue of avoidance in the Holy Quran and the researcher sought to achieve a collection of objectives including the formulation of a clear and determined definition of the virtue of avoidance. The researcher has also explained the different ranks and aspects of this virtue and attempted to discuss its regulations. The study also sought to discover the Quranic approach in presenting this virtue through applied models along with mentioning the reward of those who adopt this virtue.

The researcher has divided this study into an introduction and five chapters. In the first chapter, the researcher defined the virtue of avoidance and the implications of its mentioning in the Quranic context. The researcher has provided a definition of the virtue of avoidance as being a virtue that urges the human being to keep himself away from anything that would disrupt or disturb his faith and status among people.

In the second chapter, the study addressed the different ranks of this virtue in the Holy Quran and showed how the virtue of avoidance has

been part of the personalities of many prophets and believes in their relationships with both believers and non believers.

In the third chapter, the researcher discussed the aspects of this virtue in the Holy Quran and divided them into three types. The first one is avoidance by heart which serves as the basis of all types of avoidance. The second one is the physical avoidance which is represented by total or partial body movement. The third and last type is the behavioral avoidance.

In the fourth chapter, the researcher talked about the regulations of avoidance virtue and the approach of the Holy Quran in presenting and directing this virtue. It turned out that there are regulations that govern this virtue and the Holy Quran has various direct and indirect methods in instilling this virtue in Muslims.

In the final chapter the researcher talked about some of the examples of the virtue of avoidance and the reward of those who possess such virtue. It was proved that Prophet Ibrahim, Peace be upon Him, was known for this virtue. Other examples include the story of the cave men, the believers who did not attend Tabouk Battle, and Al-Ifq event. The Holy Quran has explained the reward that those who possess such virtue would get both in life and in Heaven.

In the conclusion, the researcher included a summary of the results and the recommendations.

The conclusion was followed by an appendix in which he included a collection of maps that show the locations of some of the places that have been mentioned in the study.

Finally, the researcher included a page for the references arranged alphabetically.

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.